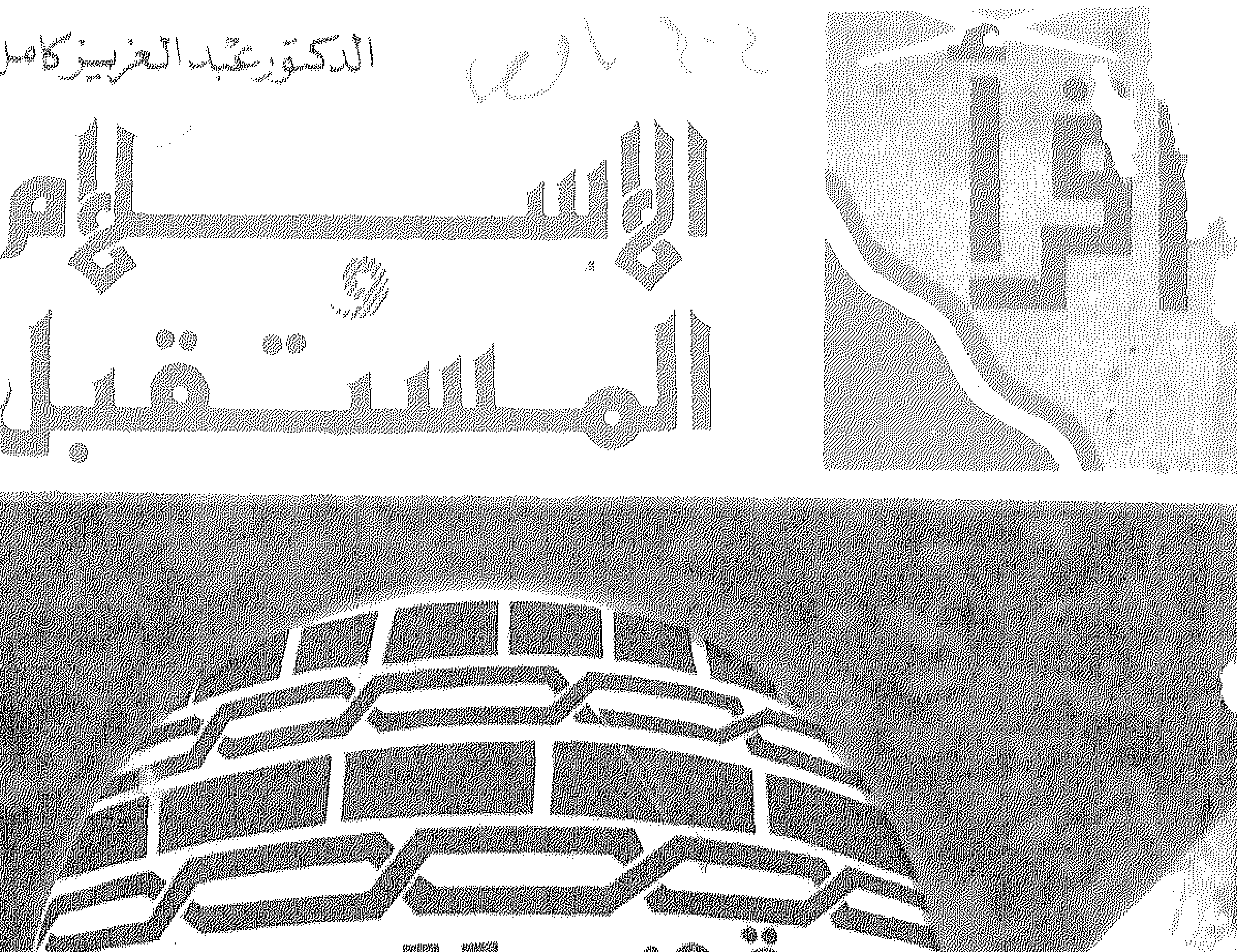
الدكتور عبد العزيز كامل

الإسلام والمستقبل



ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا



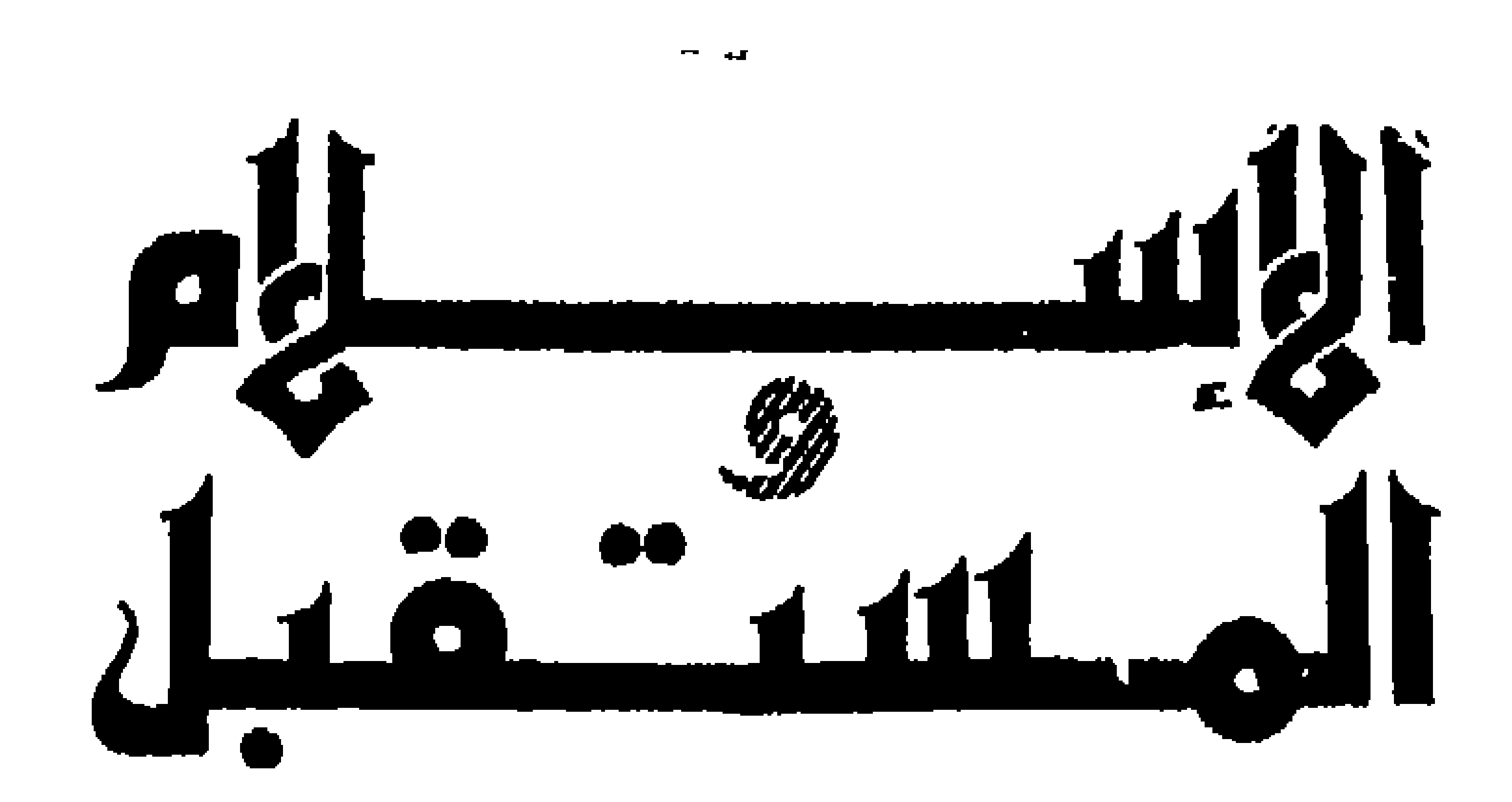
تصدر في أول كل شهر

رئيس التحرير: السيد أبو النجا



خذ المعارف من دار المعارف

الدكتور عبد العزيز كامل



اقرأ ٤٠١

دار المعارف بمصر

(اقرأ ٤٠١)

الناشر : دار المعارف بمصر – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج. م. ع.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

١

الحوار الديني ظاهرة سائدة فى عالمنا المعاصر ، تستهدف بحث الأرض المشتركة بين الأديان والتعاون فيها ، وتوفير المناخ الملائم ليفهم أهل كل دين ما عند الآخرين : ما يتفقون فيه وما يختلفون ، ليعرفوا فيم يتفقون ، ويحاولوا توسيع مجالات التعاون ، وليحددوا مجالات الاختلاف لتكون موطن دراسة وفهم علمى . .

ومن قديم عرف تراثنا دراسة « الملل والنحل » . إلا أن الصيغ المطروحة عالميًّا الآن لا تقتصر على مجرد البحث والتقرير العلمى ، أو مناقشة أهل كل دين ما عند الآخرين وإبداء الرأى فيه تأييداً أو تفنيداً ، ولكنها تحاول أن تنتقل بالدراسة خطوة إيجابية نحو إيجاد المعابر بين أهل الأديان ، وفتح مجالات رحبة للسماحة الدينية ، دون تهاون فى أمر الدين أو على حسابه . وفرق كبير بين التمسك بالدين والتعصب غير العاقل له ، وبين السماحة والتهاون .

وكأن الحوار الآن يستهدف تحسين العلاقات الإنسانية بين الأجيال الجديدة عن طريق فهم أفضل وتعاون أوسع . .

٢

هذا وقد أصبح المستقبل الآن علماً له مناهجه وأصوله ، ولا تقتصر دراساته على البيئة المادية وإنما تمتد لتشمل البيئة الحضارية في أوسع مدلولاتها بما فيها الدين . .

والنشاط الديني في الربع الأخير من القرن العشرين — وعلى الصعيد العالمي — يمر في مرحلة من مراحل الربط بينه وبين المجتمع تتخذ المسارات الآتية :

أولاً : كيف نستطيع أن نقدم الفكر الديني وأن نتعاون مع الأجيال الجديدة على الوصول إلى حقائق الدين لا بمجرد التلقين ولكن بالمشاركة الإيجابية .

ثانياً : ما يستطيع الدين أن يقدمه إلى المجتمع من عطاء .

ثالثاً : دراسة الأصول المشتركة في الفكر الديني في شموله وهي القاعدة العريضة التي يمكن أن ينطلق منها التعاون والتطوير الديني ، مع المحافظة على شخصية كل دين ودعم المعابر بينه وبين الأديان الأخرى.

٣

وإذا كانت هذه هي الخطوط الرئيسية للحوار الديني المعاصر ، فإن الصبغة المصرية للحوار لها طبيعتها المتميزة . . ذلك لأنها قائمة فعلا ، وتعتمد أساساً على المعايشة اليومية التي استمرت قروناً : تتجاور فيها المساكن ، ويلتقي فيها المواطنون ، يبنون الحياة معاً ، ويدافعون عنها معاً ، تشهدهم ساحات العمل والنضال الوطني أخوة . وتشهدهم أرض المعارك رفقاء سلاح يحمي كل منهم أخاه ويفديه ، يتلقى منه الأمر ويستمع إليه منه . .

والذى علينا — أول الأمر — فى هذه الصيغة ، أن نضع آذاننا على نبض مصر وقلبها نستمع منها إلى قصة هذه السماحة الطويلة ، ونحاول جاهدين أن نصونها . فهى كأى ظاهرة اجتماعية تتعرض للقوة والضعف وعلينا أن نرعاها صيغة كريمة للحياة فى ضوء من قول الله تعالى « لا إكراه فى الدّين » (البقرة : ٢٥٦) وقوله « شرعَ لكُم من الدّين ما وصى به نوحاً والذى أوْحَينا إليكَ وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » (الشورى : ١٣)

فنحن — عمليًّا — لا نبدأ من فراغ ، فالحوار — بمفهومه العلمى — مستمر ، إنه يجرى فى حياتنا كماء النيل ، وتنبت ثماره الطيبة كالسنابل السبع فى أرض الحب والإخاء .

ونحن نحاول أن نرصد هذه الظاهرة علميًّا ، كما نسجل ظاهرات حياتنا الطبيعية والحضارية . ثم نحاول ترشيدها والصعود بها . وفى ذات الوقت يمارس كل عابد شعائر دينه ويستجيب لأوامره مبتعداً عن هوى النفس والبغى فى الأرض بغير الحق ، سالكاً سبيل العدل مستمعاً إلى قول الله « فلذلكَ فادْع واستقم كما أمرتَ ولا تتبع أهواءهم : وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعْدل بينكم . الله ربنا وربُّكم لنَا أعمالُنا ولَكُم أعمالكم . لا حجّةَ بيننا وبَينَكُم . اللهَ يجْمَع بَيْنَنا وإليه المَصير» (الشورى : ١٥)

فالحوار بهذا عمل جاد وإذا كانت له اتجاهاته العامة العالمية، فله خصائصه المحلية ، وأهدافه التى ينبغى أن تكون واضحة فى الذهن عند تخطيطه ومرونته التى يستطيع أن يستجيب بها لتطورات الحياة .

٤

ويضم هذا الكتاب محاولات على طريق هذا الحوار : بعضها محلى وبعضها عالمى، إما فى مجال العمل الإسلامى أو الإسلامى المسيحى، مع نظرات فى علاقة الإسلام بقضايا الحياة الكبرى . .

أدعو الله أن يجعلها خالصة لوجهه ، وأن يرضاها إضافة على طريق الدعوة إليه ، والحب فيه ، والسماحة بين عباده .

(د . عبد العزيز كامل)

الدقى فى : ٢٣ من ذى الحجة سنة ١٣٩٤ هـ
٦ من يناير سنة ١٩٧٥ م

الكلمة والأصالة والتجديد *

* كلمة الافتتاح فى المؤتمر الأول للمؤسسات الإسلامية بأمريكا اللاتينية . ساوباولو : البرازيل .

١٨ - ٢٠ سبتمبر ١٩٧٠

كان الكاتب رئيس شرف المؤتمر ورئيس وفد جمهورية مصر العربية .

كلمة الافتتاح

فى مؤتمر المؤسسات الإسلامية بأمريكا اللاتينية [1]

١٨ — ٢٠ سبتمبر ١٩٧٠

ساوباولو — البرازيل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ، الذين أناروا الحياة بنور الوحى الإلهى ، وصدق كل نبي منهم من جاءوا قبله ، وبشر بعضهم ببعض فكانوا لنا مصابيح الهدى . وسجل الله هذا فى كتابه الكريم فقال : « آمن الرسولُ بما أنْزِل إليْه مِنْ رّبه والمؤمنُون ، كلٌ آمنَ بالله وملائكتِه وكُتبه ورسُله ، لانفرقَ بَيْن أحد منْ رسُله ، وقالوا سمعنا وأطَعْنا . غُفْرانَك ربّنا وإليك المصير » (البّقرة : ٢٨٥)

١ — تحية

وتحية طيبة — أيها الإخوة — فى هذه المناسبة الكريمة ، التى تجتمعون فيها لأول مرة فى أمريكا اللاتينية على هذا المستوى الشامل ، تتدارسون جوانب حياتكم الدينية والاجتماعية والثقافية ، وتعنون بدور النساء فى حياتنا الإسلامية ، وتنشئة الأجيال الجديدة ، لتكون امتداداً كريماً

---

(١) فى ١٨ سبتمبر ١٩٧٠ .

لجهود قمتم بها ، حفاظاً على دينكم ومقوماتكم ، التى حماتموها إلى الدنيا من أرض الوحى والنبوات . .

وهذه المقومات الفاضلة ، ليست ملكا لجيل من الناس ، أو حكراً على شعب، وإنما هى ملك للإنسانية على امتداد عصورها وأقطارها، لأنها هدية الله إلى الناس، جاءت بها النبوات كما سجل القرآن الكريم « قولوا آمنا بالله، وما أنزِلَ إلينا، وما أنزِلَ إلىَ إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرِّقُ بيَن أحدٍ منهم ، ونحنُ لَه مُسْلِمون » (البقرة : ١٣٦)

فاجتماعنا هذا يمد يده مصافحاً كل نبي ورسول : يجمع ولا يفرق . يبنى ولا يهدم . لا يدعو إلى عصبية أو عنصرية . وإنما يدعو إلى الانفتاح على كل فكر خلاق دون أن تعوقه عقد من النقص أو الاستعلاء .

حياكم الله أيها الإخوة : أن تفضلتم بتوجيه هذه الدعوة إلى إخوة لكم ، جاءوا من أقطار العروبة والإسلام ، ليسعدوا بلقائكم وليشاركوكم هذا المؤتمر المؤمن ، وإننى أعتقد أننى أعبر عما فى نفسى ونفوس إخوانى من وفود العالم الإسلامى حين أقدم إليكم خالص الشكر وعظيم الامتنان .

وإن قلوب إخوانكم فى العالم العربى الإسلامى — تتطلع إليكم : قلوب الحكام والحكومات والشعوب ، تبارك اجتماعكم ، وترجو أن يكون بداية مرحلة مثمرة على طريق التعاون والإخاء ، على الصعيدين المحلى والعالمى .

تتطلع إليكم قلوب تبنى الحياة ، تدافع عن حقها فى الحياة . وتبذل جهدها فى مواقع العمل والإنتاج ، كما تقف على خطوط المواجهة مدافعة عن المقدسات والأرض الطيبة المغتصبة ، وحقوق شعب فلسطين . أرضنا التى عاشت آلاف السنين عربية القلب واليد واللسان ، باسطة اليدين لكل زائر، واسعة الرحاب لكل دين، ترتفع فيها المساجد والكنائس والمعابد ، فى إخاء آمنا به ، وحافظنا عليه ، وعنده يلتقى جوهر الدين

بجوهر الإنسان وحريته فى العبادة ، ونضاله الشريف من أجل إقرار السلام العادل وإثراء الحياة . إنها الأرض التى شهدت مولد المسيح ودعوته وآلامه، وشهدت مسرى محمد ودعوات الأنبياء من قبلهما ، عليهم جميعاً من الله صلاة وسلام .

وأنتم هنا فى البرازيل تعيشون فى وطن سمح ، اجتذب سكانه من مشارق الأرض ومغاربها ، تتعدد فيه السلالات والأديان . ولكنها تتجمع فى حديقة إلهية : ألوانها شتى وخالقها واحد . تؤمنون أن الله خلق الإنسان كما خلق الزهر ، مختلفاً ألوانه ، وأن هذا الاختلاف لا يعدو أن يكون مظهراً لقدرة الله ، ومادة امتحان لنا ، ليرى منا ربنا الذى يرزق الجميع ، ويرعى الجميع ، كيف نعيش الإخاء والود والمحبة .

هذا هو الطابع الغالب فى أمريكا اللاتينية ، طابع عشت فيه عندما زرت البرازيل منذ أربع سنوات ممثلا لوطنى فى مؤتمر دعت إليه هيئة الأمم المتحدة عن التفرقة العنصرية فى جنوب أفريقية ، وعقد فى برازيليا فى شهرى أغسطس وسبتمبر ١٩٦٦ . وكانت مناسبة قرأت فيها ما قدمه الزملاء العلماء البرازيليون عن طبيعة الحياة هنا : . عن التسامح والمحبة ، والسمو، فوق فروق اللون والعقيدة ، إلى النظرة التى تجمع الإنسانية كلها فى إخاء كبير .

وإن قلوبنا لتحس بخالص التقدير والشكر للبرازيل ، رئيساً وحكومة وشعباً ، ولرؤساء وحكومات وشعوب أمريكا اللاتينية أن يسروا لنا هذا اللقاء فى جو من الإخاء الذى تتعايش فيه الأديان والسلالات ، على أساس من الاحترام المتبادل ، والرغبة الصادقة فى تطوير الحياة والتقدم بها .

وشكراً للتعاون الكريم الذى يلقاه المؤتمر والعاملون فيه من السيد / محافظ ولاية ساوباولو ، والأجهزة التنفيذية والنيابية التى أتاحت فرصاً من اللقاء والتحية ، يسرت السبيل أمام عقد هذا المؤتمر الإسلامى الأول

فى أمريكا اللاتينية ، وشكراً للسيد / حاكم ولاية باراناجوا على ترحيبه ومشاعره الطيبة التى لقيتها من سيادته فى طريقى إليكم .

وشكراً عميقاً للإخوة الأفاضل رجال الدين المسيحى الذين تفضلوا باللقاء والتحية ، فكانوا كالعهد بهم إخوان محبة حماوها معهم من أرض الأنبياء .

٢ ــ الكلمة الطيبة

أيها الإخوة . . نحن فى لقائنا هذا . . ماذا نريد ؟ وما هو هدفنا من القول واللقاء ؟

ولنبدأ بقضية من واقعنا :

قضية الأرض السليبة : لا نريد فيها أكثر من تطبيق قرار مجلس الأمن .

حقوق شعب فلسطين ، لا نريد فيها أكثر من تطبيق قرارات الأمم المتحدة ، وإعطاء هذا الشعب الأصيل المناضل حقوقه المشروعة الكاملة مع الحفاظ على عروبة القدس الشريف . كل ما نريده أن تجد هذه الكلمات القدرة على أن تحيا فى دنيا الناس . وكل جهودنا إنما هى من أجل الوصول إلى هذه الأهداف المشروعة التى صدرت عن أعلى مستويات المنظمات الدولية . ولكن ماذا تستطيع بذور السلام الطيبة أن تصنع . إذا ألقيت فوق أرض صلبة وعصفت بها رياح العدوان ؟

ونعود إلى الإسلام فنرى أن ميزته كانت فى إيمانه بالكلمة الخلاقة ، وميزة المسيحية أنها آمنت بالكلمة : فالحق كلمة طيبة . والأخوة كلمة طيبة مثل « كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلُها ثابتٌ وفرعُها فى السَّماء تؤتى أكُلها كلَّ حين بإذن ربِّها ويَضربُ الله الأمثالَ للناس لعلهم يتذكَّرُون » (إبراهيم : ٢٤ ــ ٢٥) .

ميزة الكلمة فى صدر الإسلام أنها كانت خلاقة مبدعة :

يأمر الله بالصلاة فإذا بالمساجد تقام وتنتشر وترتفع مآذنها . لم يتزل مع قول الله « أقيموا الصلاة » مساجد من السماء ولا كان عند الرسول مال . ولكن المساجد أقيمت ولا تزال تقام . ذلك لأن الكلمة كان لها رصيدها الضخم من الإيمان العملى . وهذه الكنائس : ما ترك المسيح عليه السلام وراءه مالا لبنائها ، وإنما قال كلمة الإيمان فتحولت الكلمة إلى إنشاءات فى المشرق والمغرب .

ويدعو الله الناس إلى العلم فى أول أمر أنزله فى القرآن : « اقرأ باسْم ربِّكَ الذى خَلَقَ » . فإذا بحضارة إسلامية وارفة الظلال تطلب العلم من كل مصادره ، وتترجم كتب الهند وفارس واليونان والرومان ، وتفتح صدرها لرهبان المسيحية وقساوستها ، وأحبار اليهود ، وتكفل الإخاء والسماحة ، وتعطى الدنيا صورة من التطبيق العملى لما تدعو إليه من حق — وتذويب الفوارق بين الناس فإذا العباد كلهم إخوة أمام خالق السموات والأرض . . كل هذا كان لأن الكلمة لها رصيدها من الإيمان وحياتها فى التطبيق .

ولم يحدث التدهور فى تاريخنا الإسلامى إلا عندما انفصلت الكلمة عن الفعل . . ثم هانت الكلمات وكثرت ما دامت عقيماً ليس لها رصيد فى الحياة . . ولكم أن تطبقوا هذا حتى على قرارات المحافل الدولية العالمية فى قضايا مصيرية .

وأقولها ويقولها معى الحق حزيناً : ما أغنى قضية فلسطين والأرض السليبة وحقوق اللاجئين بالقرارات الدولية ، وما أفقرها فى ترجمة هذه القرارات إلى عمل ؟ !

والذى نسعى إليه فى حياتنا الإسلامية المعاصرة هو أن نحلق فى آفاق آمالنا بجناحين من القول والعمل ، مصداقاً لقول الله : « إنَّ الذين قالوا ربُّنا الله ثم استقاموا » وهى ليست مشكلتنا وحدنا ، وإنما هى — فى الوقت ذاته — مشكلة قرارات مجلس الأمن والأمم المتحدة . . إنها المشكلة التى

تقابل أى قول صالح فى أى مجال من مجالات الحياة، حينما يضع الشر أمام الخير العقبات ، فلا يجد الخير سبيله إلى التطبيق .

٣ ـ أمجادنا وواقعنا

ولكننا وسط الغيوم نلمح أشعة المستقبل . وبرغم قسوة الحاضر فإن أقدامنا والحمد لله تدب على الطريق الصحيح .

لقد استطاع الوجود العربى المؤمن أن يؤكد ذاته فى كثير من مجالات الحياة ، وأخذ يقيم المعابر بين الكلمة والفعل ، ولم تعد لقاءاتنا ومؤتمراتنا مجرد قرارات تقال ، وإنما أصبحت كلمات الحق والسلام تنفخ فيها عزائمكم وعزائم إخوانكم قوة ـ أصبحت كائنات حية ، ومؤسسات قائمة وجهوداً تبذل من أجل الحق الذى تؤمنون به .

وستظل أرض آبائكم وأجدادكم ـ أرض السلام ـ تذكر مواقفكم وجهودكم . فلقد كنتم ـ وما زلتم والحمد لله ـ عند حسن ظن الأرض المقدسة السليبة وأهلها ، عاملين من أجل السلام الذى نؤمن به جميعاً .

ومن هنا جاء الربط السليم بين ماضينا وحاضرنا ، بين أمجادنا ومسئولياتنا، أقول الربط السليم ، ذلك لأننا مررنا فى فترة أكثرنا فيها الحديث عن أمجادنا الماضية ، دون أن نترجم هذا الحديث إلى واقع فى الحياة : وكانت لقاءاتنا طاقة مستهلكة فى الحديث عن أمجادنا الماضية ، حتى أصبح لهذا النوع من الحديث تأثير مخدر على إحساسنا . على حين تجرى الجراحات فى جسم العروبة والإسلام لا قتطاع أجزاء عزيزة غالية .

ونحن لا نريد أن نعيش فى ضباب ، ولو كان ضباب المجد القديم . . ضباباً يحول بيننا وبين الرؤية الواضحة التى نذكر معها حق الإنسان العربى من حيث هو إنسان فى بيته وحقله وعين الماء التى يشرب منها.. ضباباً يحجب عنا رؤية المسجد الأقصى المحترق ، والعدوان على المقدسات

الإسلامية والمسيحية فى أرض علّمت الدنيا كيف يتآخى أبناء الأديان ..
لقد عاش أتباع موسى وعيسى ومحمد عليهم وعلى جميع الأنبياء صلاة وسلام، قروناً طويلة .. فى رحاب الأرض المقدسة ، والأوطان العربية تتجاور فيها المساجد والكنائس والمعابد، ويعيش فى ظلال أمنها من يتلون التوراة والإنجيل والقرآن .

حديثنا الآن وربطنا بين الماضى والحاضر ، إنما يقوم على أساس من صناعة هذا الحاضر، وبناء الحياة لا مجرد الحديث عن الحياة ، وأن تكون للكلمة فاعليتها وقوتها على إثراء الحياة . .

٤ ـ بين الأصالة والتجديد

وفى هذا الضوء تستطيع أن نرى الموضوعات الخمسة التى أردتم أن تكون جدولا لأعمال المؤتمر : ١ ـ حياتنا الدينية، ٢ـ والاجتماعية ، ٣ ـ والثقافية ٤ ـ دور النساء ٥ ـ الشباب فى بناء المجتمع .

ولقد سعدت وسعد إخوانى بقراءة الخطوط الرئيسية التى تفضلتم بإرسائها ، وإننى لأضع تحت أنظار حضراتكم ـ كمساهمة متواضعة فى الجهد العلمى ـ مجموعة من أعمال وقرارات مجمع البحوث الإسلامية بجمهورية مصر العربية فى دوراته السنوية الخمس ـ وهذا المجمع ـ كما تعلمون حضراتكم ـ يضم فى عضويته ويشترك فى مؤتمراته علماء من أقطار العروبة والإسلام ، ولقد عنى فى دورتيه الأخيرتين بمشكلات أرضنا السليبة وواجبنا حيالها ، وقضايا الشباب فى العالم الإسلامى المعاصر ، ومشكلات التفرقة العنصرية، وكيف يلتقى الدين مع العلم الحديث من أجل كرامة الإنسان . ومن قبل هذا عنى المجمع ببحوث عن جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية على أساس من الربط بين مصادر الدين وواقع الحياة : :

هذا إلى الإنتاج العلمى للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وهذه الجهود يشترك فيها علماء الإسلام من أقطار كثيرة والحمد لله . . فما وجدتم فيها من خير يلائمكم فى حياتكم فهو لكم، وما كان لكم من ملاحظات فيسعدنى ويسعد كل من ساهم فى هذا الجهد ، أن تتفضلوا بالإشارة إليها ، ورحم الله امرأ أهدى إلى عيوب نفسى . والحكمة ضالة المؤمن . . والمؤمن للمؤمن كاليدين تغسل إحداهما الأخرى .

هذا عن ناحية الموضوعية ولكن أرجو أن تأذنوا لى بالإشارة إلى خط فكرى أساسى يمكن أن نتبعه فى الموضوعات جميعًا : فهدفنا الرئيسى هو إقامة معبر قوى بين جوهر ديننا وحقائق الحياة التى نعيشها ، بحيث لا نحس العزلة عن الدين ولا عن الحياة ،. . فالدين جاء لينذر من كان حيًا . . . بل هو نفسه نور وحياة وفى هذا يقول الله تعالى: « وكَذَلِكَ أَوحَيْنا إِليْكَ رُوحاً مِنْ أمرِنا ما كُنْتَ تدْرِى ما الكتابُ ولا الإيمانُ ، ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا ، وإنك لتهدى إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » وقوله تعالى : أوَ مَنْ كان مَيْتًا فأحْيِينَاه وجَعَلْنا له نُوراً يمشى به فى النَّاس كَمَن مَثَله فى الظُّلُمات لَيسْ بِخَارِجٍ منها » (الأنعام : ٢٢)

وفى هذا التأليف بين جوهر الدين وحقائق الحياة ، نحن محتاجون إلى أمرين :

أولاً : أصالة تحفظ ذاتنا وشخصيتنا فلا تذوب وتنمحى .

ثانيًا : تجريد واجتهاد يثرى هذه الشخصية بحيث تكون قادرة على الحياة متفاعلة معها ، قادرة على المساهمة الفعالة فيها . .

وبين الأصالة والتجديد ينبغى لمجتمعاتنا أن تشق طريقها .

عندنا جوهر هذا الدين فلنحافظ عليه : العقيدة والعبادات والأخلاق

والإطار العام للمعاملات . وما جعل الله علينا فى الدين من حرج . وهناك أمور متجددة ينبغى أن نقابلها بعقل مفتوح فى جوانب حياتنا الدينية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية . . . . وفى هذه الموضوعات جاءت توجيهات الإسلام مجملة دون تفصيل ، وأهم ما يعنى به الإسلام فى هذا الجانب هو اختيار الأوضاع والمواقف الملائمة لتطور الحياة فى حدود التوجيهات الإلهية والمصلحة العامة .

وأسوق إلى حضراتكم مثالا :

بالأمس بعد وصولى إلى ساوباولو حضرت مؤتمراً صحفياً فى فندق جاراجوا وسألنى أحد الشباب من الصحفيين عن العلاقة بين الدين والسياسة. وكان السؤال منصباً على طبيعة مؤتمرنا هذا الأول .

فقلت له فى إجمال : إن الدين يحدد المستوى الأخلاقى للعمل السياسى بل يحدد المستوى الأخلاقى لكل عمل فى الحياة . وإذا ما حدث الانفصال بين العمل السياسى وأخلاقيات الحياة رأينا هذه التناقضات فى حياتنا الإنسانية على الصعيدين المحلى والعالمى .. واكتفى الصحفى بهذه الإجابة. وأعود إلى قصة الأرض السليبة والمقدسات المغتصبة وحقوق شعب فلسطين فى هذا الضوء .. وأزنها بهذا الميزان : إن قرار مجلس الأمن الخاص بتحريم اكتساب الأرض عن طريق العدوان قد صدر . وهو فى هذا قائم على ميثاق الأمم المتحدة . وقرارات الأمم المتحدة التى تنص على حقوق اللاجئين صدرت ، وتؤكدها كل دورة من دورات الانعقاد السنوى . بل إن ميثاق الأمم المتحدة ينص فى وضوح على أساليب معاقبة المعتدى إذا رفض الخضوع لقرار صدر من هذه المستويات العالمية وهدد السلام العالمى .. ولكن المشكلة تبقى فى أخلاقيات التطبيق .. فى أن تعتبر بعض الدول العمل السياسى عملا منفصلا عن الأخلاق . وتعتبر عدم الخضوع لقرار عادل من مجلس الأمن أو الأمم المتحدة مظهراً من مظاهر القدرة والتحدى

للرأى العام العالمى . إن الفرد العادى إذا أخل بتعاقد قانونى أمكن تقديمه إلى المحاكمة . .فكيف لا يطبق هذا على دولة تسلب شعباً أرضه وتاريخه ؟ ..

وإذا ما نادى رجل الدين بالسلام وإعادة الحق إلى أهله .. فإن هذا واجبه . وإذا ما دعا إلى منهج أخلاقى فى الحياة فهذا صميم عمله .. وإذا ما أصبحت الحياة لا أخلاقية ، وصل الظالم إلى العدوان على المسجد والكنيسة واصطلى بناره العامل والزارع والتاجر ورجل الدين معاً ..

فليس هناك فى طبيعة الحياة هذا الفصل بين جوانبها، وإنما فيها تكامل وتفاعل متبادل . وليس الدين قوقعة تحجب الإنسان عن واقع الحياة . وإنما هو دافع إلى العمل، وحافظ دون الانحراف ، ومحدد لمستوى أخلاقيات الحياة فى كل مجالاتها .

من أجل ذلك نصت الأديان على نصرة المظلوم والأخذ على يد الظالم . . . ولو كان الظالم والمظلوم أبناء ملة واحدة أو من ذوى الأرحام ..

هناك ظلم وقع على إخوانكم .. وهناك حق لهم تشهد به الأرض والسماء . والدين يأمرك أن تكون عوناً للمظلوم على الظالم . . وليس هناك من ظلم وعدوان أبشع مما يقع على إخوانكم فى الأرض المقدسة . . عدوان لا يمتد فقط على جبهة محاربة ، وإنما يمتد على جبهة زمنية طولها أكثر من ثلاثين قرناً من الحياة العربية ، يحاول طمس معالمها ونكران عروبتها . . وعدوان يصل إلى الأجيال المقبلة فيضرب بقنابل النابالم أطفالا صغاراً فى مدارسهم وعمالا يبنون الحياة .

الموقف السليم فى هذا كله أن تربطوا بين جوهر الدين وبين حقيقة الحياة بدءاً بالكلمة الطيبة ، مسيرة إلى العمل الطيب . . تؤكدون الحق وتعادون الكذب والظلم الذى يحاول أن يرقى منابر السياسة أو يتلصص إلى كتب التاريخ أو يسيطر على وسائل الإعلام . . أو يغتال حقوق الشعوب . . .

٥ — واجبنا العلمي

ولن نستطيع أن نصل إلى هذا كله دون أن نكون على المستوى العلمي الملائم للعصر . . وبهذا تبدو أهمية رعايتكم لأولادكم وتوفير الجو الملائم لتنشئتهم ، دون انقطاع عن أصولهم فى أرض الحضارة العريقة ، أرض العلم والإيمان ومهبط الأنبياء ، ولا عن العالم المتحرك حولهم الذى يكشف كل يوم جديداً .

ما يكسبونه من علم سيكون له ارتباطه بالواقع والتجربة العلمية ، وهو يستمد أخلاقياته من توجيه الدين .

ولك أن تقول هذا عن الطبيب فى معاملة مرضاه ، وعن العالم والمربى فى معاملة تلاميذه ، بل عن تعامل الدول بعضها مع بعض . . المتقدمة والنامية ، الكبيرة والصغيرة . .

فليتصل شبابنا بكل علوم الحياة . . ليكن منهم علماء الذرة والفضاء الخارجى ، ليضربوا فى مناكب الأرض ، ويقتحموا البحار ويركبوا الأجواء . . ولكن عليهم أن تكون قراراتهم وعلمهم كما أمرنا ربنا فى أول ما أنزل علينا من قرآن : « اقرأ باسْمِ ربِّكَ الذى خَلَقَ » .

قراءة لها هذه الصبغة الربانية . قراءة تكون عوناً للإنسان والإخاء والمودة . . يكون فيها العلم نوراً أميناً هادياً إلى سواء الصراط .

علم يحترم الإنسان من حيث هو إنسان . . وليذكر أبناؤنا أن تجربة علمية واحدة إذا ما حاولوا ردها إلى أصولها وجدوا فيها جهود أجيال وأجيال من إخوانهم فى الإنسانية على تعدد أقطارهم وتتابع عصورهم .

وإن العلم الحديث الذى تضيع كثير من ثمراته فى الحروب والعدوان ، محتاج إلى نظرة الدين الإنسانية ، يدعو إليها محمد كما دعا إليها عيسى وموسى والنبيون من ربهم ، وبهذه النظرة المتوازنة إلى العلم والإيمان يبدو

عطاؤكم للحياة ، نظرة فيها الحب والخير . نجدها عند المسيح عليه السلام في قوله « لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى . لم آت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة » (مرقس : ٢ : ١٥–١٧) وقوله « أحب قريبك كنفسك » (متى : ١٩) . وفي قول الرسول عليه الصلاة والسلام « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » وقوله « الراحمون يرحمهم الله . ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » .

٦ – صناعة الحضارة

بهذا . . أيها الإخوة . . نستطيع أن نتحول إلى صانعي حضارة لا مجرد مستهلكين لحضارة . وأن نصبح مشاركين فيها بالقول الطيب والعمل الصالح . . وإنك لتجد من أهم الموازين التي تستطيع أن تميز بها بين فرد وفرد ، وبين شعب وشعب ، أو بين مرحلتين من مراحل حياة شعب واحد هي مدى المساهمة الإيجابية في صناعة الحضارة . . إضافة وعطاء . . هذا مع المستوى الأخلاقي الذي يتم به التعامل في هذا المجتمع والذي يرتكز أساساً على ما أنزل ربنا من كتاب وحكمة .

خاتمة

أيها الإخوة :

هذه خطوط عامة أردت أن تكون بين أيديكم :

أولاً : أن تكون كلماتنا ولوداً قادرة على الحياة في ترابط بين القول والعمل .

ثانياً : أن يتوفر فينا الربط الوثيق بين ماضينا وحاضرنا جامعين بين الأصالة والتجديد ؛

ثالثاً : أن نعنى بتكوين أسرنا وأبنائنا على أساسين من الخلق الفاضل الذى نستمده من ديننا ، والمنهج العلمى الذى يأمرنا به الدين ، ويدعونا إلى المساهمة البناءة فى صرح الحياة العلمية المعاصرة .

رابعاً : أن نفتح طرقاً جديدة فى تحويل مجتمعاتنا من استيراد الحضارة إلى صناعة الحضارة . . من الوقوف عند مجرد الاستهلاك إلى الإنتاج والعطاء .

خامساً : أن ينعكس هذا على مواقف من قضايا المصيرية تأكيداً للسلام ومساهمة فى إعادة أرضنا العربية السليبة وقدسنا الشريف والحقوق المشروعة لشعب فلسطين الشقيقة . ونحن فى هذا إنما نطبق ميثاق الأمم المتحدة . ومن قبل هذا ومن بعده — ما دعانا إليه ربنا « وتعاونوا على البرّ والتَّقْوى ولا تَعَاوَنُوا على الإثم والعُدْوانِ » (المائدة : ٢)

شكراً لكم أيها الإخوة : وشكراً لأمريكا اللاتينية : رؤساتها وحكوماتها وشعوبها من مصر ، رئيساً وحكومة وشعباً ، داعين الله أن يزيد ود قلوبنا وازدهار حياتنا ، وعسى أن نتبادل التحية والتهنئة بعودة السلام إلى أرض السلام التى علمت الدنيا . التوراة والإنجيل والقرآن . ونزور الإخوة الفلسطينيين فى ديارهم بعد العودة : يزرعون الأرض الطيبة . أرض الزيتون رمز السلام . ونسعد برؤية القدس الشريف تتردد فيه أصوات المؤذنين ودقات النواقيس وترتيل العابدين فى ظلال السماحة والإخاء . . هكذا كان وهكذا نرجو أن يعود .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الفكر طريق للإيمان *

* بحث نشرته مجلة الهلال (القاهرة) فى عدد سبتمبر ١٩٧٢ م (ص ٥ - ١٢).

ثلاثيات :

الذين يدرسون موضوعاً كبيراً كالدين أو العلم أو التاريخ الإنسانى ، يطيب لهم فى كثير من الأحيان محاولة تبسيط الحقائق عن طريق إظهار حركاتها الكبرى . .

التاريخ عندهم قديم ووسيط وحديث !. الفكر الإنسانى مر من عصر الخرافة إلى الدين إلى العلم !. .

وسرى هذا حتى إلى الفن . فالكوميديا الإلهية لدانتى الإيطالى مقسمة إلى الجحيم والمطهر والفردوس .

المجتمع المعاصر مقسم إلى المعسكرين الكبيرين ، ثم العالم الثالث ، وهو يمثل امتداداً ضخماً إلى جانب المعسكرين الأول والثانى .

وهم من قبل هذا قسموا البشر إلى ثلاثة أجناس كبرى : القوقازى ، والمغولى ، والزنجى .

ومع أن هذه التقسيمات لا تلقى قبولا إجماعيًّا من الباحثين ، فإنها تمثل خطأ فكريًّا ما زلنا نرى آثاره فى الدراسات البشرية بعامة ، والفكرية بخاصة. ذلك لأن التبسيط يحوى بطبيعته قدراً كبيراً من التجاوز . وإذا كان حديثنا اليوم عن الدين ، فنحن علميًّا لا نستطيع أن نفصل بينه وبين العلم ، كما أن بعض جوانب من الفكر الذى علق بالدين هو إلى الخرافة أقرب ، وجوهر الدين منه برىء . ولكن فى حياة الإنسان تتعايش أو تتفاعل الأفكار الدينية فى صفائها مع إشراقات العلم وغيوم الخرافة .

وإذا ما نظرنا إلى ثلاثية الخرافة والدين والعلم ، وجدنا أنه لا مجال للدفاع عن الدين فى عصر كان الدين هو سمته الكبرى ، وهو ما يقابل اصطلاحاً « العصور الوسطى » . وإنما ينبغى أن يتجه القول ، أكثر ما يتجه ، إلى وضع

الدين فيما يسمى « بعصر الخرافة » ثم إلى وضعه فى « عصر العلم » الذى نعيش فيه .

أقول هذا ونحن نبنى مجتمعنا على العلم والإيمان .

الوثنيون وإيمانهم :

وفى الفكر الدينى كثيراً ما نقرأ أن الإنسان بدأ بعبادة مظاهر الطبيعة من حوله خوفاً وطمعاً . وهذه الصور نستطيع أن نراها فى الحضارات القديمة . وما زالت نماذج منها حية فى قلب أفريقية . . وارتقى الإنسان إلى عبادة عدد محدود من الآلهة : اثنين وأربعين كما فى فترات من حياة مصر القديمة ، وتسعة أحياناً ، وأكثر من هذا وأقل .. وسار إلى ثلاثة ، وإلى اثنين يمثلان النور والظلمة .

وانتهى به المطاف إلى التوحيد المطلق الذى نراه فى الإسلام، حيث الواحد هو الذى يقوم بنفسه ، ما دونه كسور وما فوقه تعدد .

وغلب الإيمان بالله الواحد على ديارنا مهبط الأديان السماوية الكبرى .. ومع تباين فى التصور والتجريد والتجسيد يؤمن كل من اليهود والنصارى والمسلمين بإله واحد . تنص على هذا كتبهم . ولا أريد أن أقف فى هذا البحث عند قضايا الذات والصفات والأقانيم ، وربط الإله بشعب من الشعوب .

هذا الخط الفكرى يذهب إليه الذين يؤمنون بمدرسة التطور ، وإن كانت المدرسة الوصفية فى الفكر الدينى لا تعنى كثيراً بخط التطور الذى استقطب جانباً كبيراً من الفكر الإنسانى بعد ما نادى به « دارون » .

والذى أود أن أقف عنده قليلا : أن القول بالتعدد عند القبائل الوثنية خضع لدراسات علمية حديثة ألقت عليه ضوءاً يكشف جوانب جديدة من الفكر الدينى عندهم .

وليس فينا من شهد مولد الحياة البشرية على الأرض ولا مولد الدين . وليس أمامنا بعد النصوص الدينية إلا أن نقرأ فى كتاب الحياة المفتوح ، فى هذه الشعوب التى طالما رميناها بالوثنية ، لنرى فيها صورة أقرب ما تكون إلى فجر الحياة الإنسانية .

فى قلب أفريقية :

وسنرحل معاً — فكرياً — إلى قلب أفريقية . ودليلنا فيها بحث كتبه الأستاذ « هانزبرى » عن الديانات الأفريقية المحلية ونشره فى كتاب « أفريقيا كما يراها الدارسون من الزنوج الأمريكيين » (١٩٥٨) ، وهذا الكتاب حلقة من سلسلة من الدراسات العميقة قام بها أبناء أفريقيا فى أمريكا حاولوا فيها أن ينظروا إلى قارتهم من جديد بعيونهم هم ، لا بعيون المستعمرين . وأن يعيدوا تقييم حياتهم وقارتهم . وهو يتواكب مع جهود كبيرة من أبرزها ما اتجه إليه « اليونسكو » أخيراً وهو يضع خطوطه الرئيسية هذا العام (١٩٧٢) ، من كتابة التاريخ العام لأفريقية ، على أساس من إظهار وحدتها الحضارية .

وبحث الأستاذ « هانزبرى » يستند إلى تقارير أصيلة لباحثين يرجعون إلى مطلع القرن السادس عشر وما بعده حتى القرن العشرين .

فهو ينقل عن الدكتور « دابر » (١٦٦٨) ، ودراسته من أعظم الدراسات الواعية عن ممالك وثقافات أفريقية المدارية . وقد كتب عن مواطنى مملكة بنين — وكانت وقتذاك من أعظم دول ساحل غانا — « أنهم كانوا شعباً دمث الأخلاق ، يعيشون معاً فى سلام وتسودهم عدالة وقوانين صالحة .. وعرفوا حق المعرفة أن هناك إلهاً فطر السموات والأرض وهو حاكمهما » .

وتتعاقب الدراسات . . .

يقول « دافيد فان نايندال » عن مملكة بنين : « ليست لديهم فكرة خاطئة

عن الله ، فهم ينسبون إليه صفات القدرة والعلم بكل شيء وعدم إمكان رؤيته. ويؤمنون أنه يسيِّر الأشياء كلها بحكمته ، ولأن الله لا يمكن رؤيته فإنهم يقولون إنه من الحمق صنع أية تماثيل تجسيدية له ، ويصرون على استحالة صنع صورة لمن لم تره عين » .

ويقول « منجوبارك » — وكانت دراسته فى العقود الأخيرة من القرن الثامن عشر ، وقد درس دول غانا ومالى والصنعاى — يقول عن السكان غير المسلمين هناك : « ولقد تحدثت مع أناس من جميع الطبقات عن عقيدتهم ، وأستطيع أن أجزم — دون أدنى شك — أنهم يؤمنون بإله واحد وباليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب ، ويعتقدون أن الله خالق الأشياء جميعاً » .

وبعد هذا بنصف قرن جاء مبشر أمريكى هو « ليتون ولسون » ليقول : « بين الشعوب الوثنية فى ساحل غانا وما بين الرأس الأخضر والكمرون ، يسود إيمان بكائن أعلى خالق الأشياء جميعاً وحفظها . ولا يشوب هذه الفكرة فى أذهانهم غموض أو نقص : بل إن هذه الفكرة محفورة فى طبيعتهم الأخلاقية والعقلية حتى إن الإلحاد فى أية صورة من صوره هو عندهم سخف وانحراف عن الصواب لا يستحق حتى عناء الإنكار » .

وبينما كان « ولسون » يقوم بدراساته فى غرب أفريقية كان « لفنجستون » يقوم بدراسات فى منطقة الزمبيزى يقول عنها : « لدى كل الأهالى فى هذا الإقليم فكرة واضحة عن الكائن الأعلى خالق الأشياء جميعاً والمهيمن عليها . وهم جميعاً ومن حولهم يؤمنون بوجود الله وخلود الروح والمجازاة على الخير والشر » .

وأضيف إلى هذا تأكيداً آخر من القرن العشرين جاء فى كتابات العلامة الفرنسى الكبير « موريس ديلافوس » (١٨٧٠ — ١٩٢٦) ، فهو يذهب إلى أن التصوف الدينى عند الأفريقى لا يسيطر على نظرته إلى الدنيا فقط وإنما يتعداها إلى عالم الغيب . فكل نشاط فردىّ أو جماعىّ ، سواء أكان

ذا طبيعة اجتماعية أم سياسية أم اقتصادية أم دينية تتحكم فيه أساساً اعتبارات ذات طبيعة صوفية ودينية .

ويذهب « ديلافوس » إلى أن الزنوج الذين يقال عنهم إنهم لا دين لهم هم فى الوقع من أشد شعوب العالم تديناً .

بل إن الأفريقيين يطلقون على الخالق الأعلى صفات نراها فى الأديان السماوية الكبرى : الخالق . الهادى ، الحفيظ (على العالم) .

ونود أن نقف عند هذا الحد من اعتمادنا على بحث « هانزبرى » ، وفيه يتابع — فى تفصيل — نظرة الأفريقى إلى العلاقة بين الله والإنسان وفكرة الروح إلخ . فالذى يعنينا أساساً هو وجود « الإيمان بالله الكبير المتعال » عندهم .

هذه النظرة قد لا تتفق مع المدرسة التطورية . ولكن هذه البحوث العلمية تؤكد وجود الإيمان بالله فيما تعارف كثير من الباحثين على تسميته بعصر الخرافة .

عودة إلى الإسلام :

وإذا ما عدنا إلى كتاب الله، نسأله تفسير ذلك ، قرأنا قوله تعالى عن رسله :

« مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ » (غافر : ٧٨)، وقوله تعالى : « وإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ » (فاطر : ٢٤) ، وقوله عن الإيمان وإسلام النفس لله : « فأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا » (الروم : ٣٠) .

نعم . إنها فطرة الله .

نراها وسط الغابة العذراء . .

نراها فى قلب أفريقية . .

نراها عند شعوب طالما نعتها بعض كتاب الغرب بالتخلف والتأخر ، ليتخذ من هذا تبريراً لاستعمارها واستنزاف خيراتها .

إنه يدعى القيام بواجب تطويرها . فهذا عنده عبء الرجل الأبيض . ولكن البحث المنصف والنظرة المستأنية تثبت وجود الإيمان وجذوره الأصيلة فى النفس الإنسانية .

قد تشوب هذه النظرة بعض الخرافات ، وقد يلحق بها شىء من الزيف ، ولكن الحقيقة التى تستعلى على هذا كله هى الإيمان بوجود الله الكبير المتعال .

ولا نستطيع — على أساس علمى — أن نجد جماعة البشرية لا دين لها . الدين مرتبط بالحياة ، والإنسان بهذا كائن مؤمن . هذه هى الفطرة ، وهذه هى النظرة العلمية لهذه الشعوب .

ونستطيع بعد هذا أن ننتقل إلى وضع الدين فى عصر العلم .

فى عصر العلم :

والفكر الدينى المعاصر يمر فى تفاعل كبير من أبرز مظاهره :

١ — انحسار فى المد الدينى فى عدد من الدول أمام الفكر المادى . ولكن جانباً من البحوث الحديثة فى هذه الدول ، وبخاصة فى مجالات علم النفس ، أبرزت أمام العلماء ظاهرات وقف أمامها العلم المادى حائراً . وهذه الظاهرات تؤكد وجود قوى وراء الحس المتعارف عليه .

٢ — عمق الفكر الدينى ، وبخاصة فى العالم الثالث ، وذلك لارتباط الشعور القومى والرغبة فى التحرر من السيطرة الاستعمارية ببعث كل القوى

القومية ، ومن بينها الدين ، لتكون مدداً لمعارك التحرير والتطوير . وليس هذا البعث مقتصراً على الإسلام . وإنما هو ظاهرة تشمل المسيحية بكنائسها المختلفة واليهودية والهندوكية والبوذية .

٣ – أن هذا البعث يستهدف ربط الدين بالحياة ، بحيث يصبح الدين مدداً لهذه الحياة ، لا عقبة فى سبيل تطورها . وحين أقول الدين فلا جدال فى أن جوهره الصافى يمدّ الحياة بزاد قوى ، وإنما القضية فى موقف بعض رجال الدين – أى دين – من قضية التنمية وما يرتبط بها من تغييرات فى المجتمع .

وليست مهمة الدين هنا أن يبرر أمراً قائماً ، وإنما أن يكون عوناً على الحياة .

٤ – وفى دول أخرى متقدمة حاول رجال الدين القيام بهذا الربط ، فى حين انصرفت طوائف من المجتمع عن الدين انصرافاً جزئيًّا أو كليًّا فرحين بما أوتوا من العلم ومتع الحياة . كأن هذه الحياة هى كل شىء : لا قبل ولا بعد .

وهنا نجد أنفسنا على مفرق طريقين فى البحث :

١ – طريق مع الذين لا يؤمنون .

٢ – طريق مع الذين يؤمنون ولا يعملون .

ولنبدأ بالطريق الأول :

مع الذين لا يؤمنون :

وأهل الدين يلجأون عادة إلى براهين إذا كانت محددة المسالك فهى مختلفة الوسائل ، أو على الأصح متطورة الوسائل .

يتحدثون عن دليل الصانع : كل مصنوع له صانع . وعن دليل الغاية : فلكل عمل غاية وجزاء . وهذا الكون إلى غاية وجزاء . وعن دليل الكمال .

فنحن نستهدف الدقة والكمال في كل شيء ، فلا بد من الكمال المطلق .

فالله في الإسلام « هُوَ الأَوَّلُ والآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » (الحديد : ٣) ، الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ » (السجدة : ٧) .

وينبغي مع تطور العلم أن نتخذ منه أداة لتأكيد الإيمان . دليل الصانع دليل الغاية ، دليل الكمال . كل أولئك نستطيع أن نؤكده بكشوف العلم الحديث .

وأصبحت المؤتمرات الآن تعقد على الصعيد العالمي لوضع العلم في خدمة الدين . وقد لا يتسع المجال لعرض تجارب الأديان الأخرى . ولكني أود أن أقول في إيجاز : إن علماءهم المختصين يجتمعون ليضع كل منهم خبرة علمه في خدمة دينه . وتقدم هذه المادة العلمية لرجال الدين ليحولوها إلى عظات ومؤلفات . ويتابع رجال الدين تطبيق التجربة على الطبيعة وتقويمها وتطويرها .

هذه المسائل لا تعالج في عالمنا المعاصر بحساسية ، وإنما لها مؤتمراتها ومؤلفاتها . ونحن في أشد الحاجة إلى تطوير وسائلنا على هدى من هذه الوسائل فهي منهج علمي إنساني غير متقيد بدين من الأديان .

علم كلام جديد :

وإذا كان آباؤنا في العصر العباسي قد قابلوا التفاعل مع الفكر اليوناني والفارسي والهندي « بعلم الكلام » ، وبذلوا ما بذلوا من جهد في تأكيد العقيدة والدفاع عنها ، وقام الحوار بينهم خصباً بين الأديان والمذاهب

المعاصرة ، ومن أجل ذلك ذهبت وفود إلى بلاد الروم وجاءت كتب ونشطت حركة الترجمة ، فما أحرانا الآن بأن يكون لنا « علم كلام جديد » يقابل مشكلات العصر بفكر العصر ، ويضع منجزات العلم فى خدمة الدين ، ويكون قريباً من فكر شبابنا وعقله .

نماذج :

ولعل النماذج توضح شيئاً من ذلك . .

عالم النحل على سبيل المثال كان مجال دراسات مستفيضة من أبرزها دراسات العالم النمساوى « د . كارل فون فريتش » ، ولقد بين بها أن النحل له لغة يتفاهم بها ، لغة من الرقص والحركة .

أ هناك الرقصة الدائرية التى تتخذ صورة دوائر صغيرة متتالية فى اتجاه عقرب الساعة ثم تعكس اتجاهها . . وهذه يستخدمها النحل للدلالة على المسافات التى تقل عن مائة متر .

رقصة الذنب وهذه على شكل رقم 8 وهى لما زاد على مائة متر .

ولاحظ الباحث أن النحلة تستطيع أن تستعين باتجاه رأسها على تحديد مكان الهدف (الزهور) بالنسبة إلى الخلية فإذا كان الرأس إلى أعلى كان الطعام فى اتجاه الشمس ، وإذا كان الرأس إلى أسفل كان الطعام عكس اتجاه الشمس .

ولاحظ أن النحلة لا تواجه الشمس دائماً بحركة رأسها فى رفعها وتنكيسها وإنما تنحرف أحياناً عن هذه المواجهة يميناً أو يساراً بزوايا انحراف متباينة وزاوية الانحراف هذه تثبت أن ضلعيها :

ــ الخط الوهمى الممتد بين الخلية واتجاه الشمس وهو الخط الأساسى عند النحلة .

ــ الخط الوهمى الممتد بين الخلية ومكان الطعام أو الزهور .

فالنحل بهذا يستخدم الشمس فى تحديد مكانه وتحديد زاوية انحرافه عنها . وهذه هى بوصلة الشمس التى يستخدمها النحل فى صفو السماء وغيمها ويحدد بها سبيله .

ولنقرأ مع هذا قول الله تعالى :

« وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِى مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِى مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً » (النحل : ٦٨ – ٦٩) .

ولنقف متأملين فى قوله تعالى : « فاسلكى سبل ربك ذللا » .

وما زالت الدراسات مستمرة ، وعرف الإنسان بها جانباً من منطق الطير .

وهناك آفاق واسعة فى عالم الحشرات والأسماك ، بل الإنسان وبديع صنع الله فيه ، وما يكشف العلم من قوى مذخورة .

ولنا بعد هذا أن ننتقل إلى عالم الطيور وما فيها من هجرات جبارة تصل إلى خمسة آلاف ميل فى الرحلة . . ثم ننتقل إلى عالم الفلك ومواقع النجوم ، ثم إلى عالم الذرة والوزن الذرى للعناصر . والروعة المعجزة فى جدول « مندليف » وترتيب العناصر فيه كأنها سلم موسيقى . وكيف انتهى الإنسان إلى تحويل المادة إلى قوة . . وتبقى بعد هذا الجاذبية ، وهى ذلك الرباط الذى يربط الكون كله . بقى الزمان والمكان ويربط بينهما « أينشتين » فيجعلهما شيئاً متواصلا فى أعماق الحقيقة :

ولنذكر قوله : « إن دينى هو إيمانى العاطفى العميق بوجود قدرة عاقلة مهيمنة تتراءى حيثما نظرنا فى الكون المعجز للأفهام . ومن هنا ينبع الإيمان بالله » .

كل هذه أساليب حديثة يمكن أن نستعين بها على تأكيد العقيدة وإثبات الإيمان بالله .

مع الذين يؤمنون ولا يعملون :

فإذا ما أحسسنا عَرْفَ العقيدة والإيمان ، كان علينا بعد هذا أن نربط بينهما وبين واقع الحياة . إن العقيدة بالنسبة للإنسان دافع إلى عمل ، وعاصم من الانحراف ، ومعيار للمستوى الأخلاقي الذى نمارس به الحياة .

الدين ليس بديلا للعلم ، ولا منافساً لتطوير الحياة .

إنه عصارة حيّة تسرى فى جسم المجتمع . إنه : « صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً » (البقرة : ١٣٨) .

أنت تراه فى السياسة والإدارة والاقتصاد والاجتماع .

تراه على مستوى الفرد وعلى مستوى الأسرة والمجتمع والإنسانية كلها .

هو ترجمة قوية لأهدافنا وعمل صادق من أجلها .

ما الدين عند الطالب ؟ إنه عكوف على عمله ، وعناية بصحته ، وأداء لواجبه نحو وطنه ، ليكون مدداً لكل من الجيش والجبهة الداخلية .

ما الدين عند الجندى ؟ إنه استعداد متكامل ، وسلاح قادر على إرهاب الخصم ، واستيعاب للعلم الحديث ، وتعاون وتلاحم مع قيادته وزملائه ، وثبات فى المعركة .

ولك أن تقول هذا عن كل موقع . .

وعلينا أن نترجم الدين إلى واجبات وثيقة الصلة بالحياة . هكذا يفعلون ، وعلينا أن نفعل .

ولا نكتفى فيه بمجرد الوعظ النظرى ولا مذهب الرفض لكل جديد ، ولا إدانة أى تطوير . وإنما تفاعل صادق مع الحياة يثريها ويثرى بها على مسيرة مبصرة إلى غد واضح مخطط شعاره العلم والإيمان . .

النبي صلى الله عليه وسلم والعلم *

* بحث نشرته مجلة الهلال (القاهرة) عدد أكتوبر ١٩٧٢ م ص ١١-١٧

ليلة فى مكة :

منذ عامين ، وبالتحديد فى أوائل شهر شوال ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م) كنت فى مكة أؤدى منسك العمرة بعد عودتى من رحلة فى الشرق الأقصى .

كان قمر شوال يغمر الجبال حول مكة بفيض من النور الهادئ ، ومعى صديق حجازى قديم الود ، واتفقنا على أن نقضى الليلة أقرب ما نكون إلى رسولنا عليه الصلاة والسلام .

وذهبنا إلى شعب بنى هاشم حيث ولد المصطفى ، وقد أصبح المكان الآن « مكتبة عامة » يفد إليها طلاب العلم . . وارتبط مكان المولد — عملياً — بالعلم والسعى إليه .

وغير بعيد عن مكان المولد الشريف ، بيت أبى طالب وبيوت الكرام من الصحب والأهل والعترة التى حملت مع الرسول الأعظم لواء العلم والعمل .

سرنا فى الطريق التى كان يسلكها الرسول الأعظم إلى غار حراء . . وقف صديقى عند صخرة :

— هنا كان يجلس الرسول فى طريقه إلى الغار ، هنا مساره . .

وتابعنا السير ما استطعنا ، وحملتنا السيارة إلى قرب جبل النور . . وصعدت عيوننا على الطريق الوعر إلى الجبل الصديق ، الذى قضى فيه الرسول ماشاء الله له أن يقضى .

نور من القمر . .

ونور نحس به منبعثاً من الجبل . .

والليل قارب الانتصاف . والصمت يلفنا ويلف الأحياء من حولنا ، وجلال الذكرى يصرفنا عن الإحساس بالزمان . .

أنحن قريبون من المكان الذى نزل فيه الروح الأمين ؟

وهنا . نعم هنا ، نزل الأمر الإلهى الأول : « اقرأ » . نزل على النبى الأمى الذى أجاب أول ما أجاب « ما أنا بقارئ » . . ويتكرر الأمر

« اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ » (العلق : ١) .

اقرأ باسم ربك :

ولنقف قليلا عند هذا الأمر الأول لنرى فيه بعض توجيهات الله لنا فى طلب العلم . .

وإن أكبر تكريم للعلم أن يكون الأمر الأول الذى أنزله الله على رسوله .

وإذا ما رجعنا إلى سورة القلم ، وهى ثانية سور القرآن نزولا بعد سورة العلق ، وجدنا فى صدرها أن ربنا يقسم بالقلم وما يسطرون :

« (ن ، وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ » (القلم : ١) .

الأمر الإلهى الأول هو القراءة .

القسم الإلهى الأول بالقلم أداة الكتابة .

والله يقسم بالقلم فى حركته : « وما يسطرون » ، فعامل الحركة هنا إنما هو تعبير عن وظيفة القلم ، عن الأداء . .

ونعود إلى سورة العلق لنرى فيها أن القراءة « باسم ربك الذى خلق » ، ونحن فى حياتنا نرى أنواعا كثيرة من القراءة .

قد تكون القراءة باسم التسلط والهوى والشهوة والاستعلاء الكاذب .

قراءة الدول الاستعمارية وما عندها من علم وضعته فى خدمة عدوانها الاستعمارى .

قراءة الاستعمار الأمريكى فى أرض « فيتنام » . وقراءة إسرائيل فى

فلسطين والأرض العربية السليبة .

كل أولئك علم وقراءة . ولكنها ليست باسم الله .

ويبدو من ذلك ضرورة ربط العلم فى الإسلام بهدفه الأخلاقى : أن يكون باسم الله وأن يكون فى خدمة الإنسان .

بل لو تعمقنا فى التأمل فى هذا الأمر الأول لوجدنا فيه عمقاً عميقاً فى قول الله « باسم ربك » ولم يقل باسم الله . . لماذا ؟ لفظ رب يدل على التربية والتكوين والرعاية ، رعاية تبدو فى الآية فى رحلتين :

الأولى : رحلة الخلق : « اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ » (العلق : ١ — ٢) .

الثانية : رحلة العلم : « اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ » (العلق : ٣ — ٥) .

وكان القلم فى الآية الأولى « أداة » يذكرها القرآن ، كما كان أول ما أقسم به الله كما رأينا فى سورة « القلم » .

عبقرية هذا الدين :

وأعود إلى ليلة فى مكة ، على خطا الرسول الأعظم ، وهو فى تقلبه بين داره وغار حراء . أسير مع صاحبى فى ليل يغمره ضوء القمر ، ويحتوينا صمت مبين ، نسمع فيه بآذان القلب ، صوتاً حبيباً جاء رحمة للعالمين .

وكنت أتخيل لفظ « اقرأ » حينما نزل على الرسول ، كأنما نزل على سطح التاريخ ، فأحدث فيه سلسلة من التموجات المستمرة التى استطاعت أن

تعبر الجزيرة العربية إلى ما وراءها ، فى مشارق الأرض ومغاربها ، وما زال أثرها مستمراً .

فلننظر إلى بعض هذه الآثار فى حياة الرسول وبعد لقاء ربه :

الظاهرة الكبرى فى حياة الرسول أن المجتمع الإسلامى — بكل مقوماته — كان يتكون والوحى ينزل ، وبعبارة أخرى : أن تكوين المجتمع الإسلامى لم يأت « لاحقاً » و « متأخراً تاريخياً » عن نزول الوحى على الرسول . . وتبدو من هذه الزاوية عبقرية هذا الدين إذا ما قارناه بغيره من الأديان الكبرى .

فالأوامر الإلهية لم تبق نصوصاً مكتوبة تبحث عن التنفيذ ، ولم يعش الإسلام على المستوى النظرى دون ارتباط وثيق بالقاعدة العملية ، وإنما جمع الرسول بين شخصية « القائد » الذى يدير المجتمع ، و « الداعى » إلى ربه بالحكمة والموعظة الحسنة .

والقيادة مشكلات وصراعات . والسمة الغالبة للنبوة دعوة وتجميع . وكان على الرسول أن يخوض — على الأقل — هاتين المعركتين بكل أبعادهما . . ووسط هذه الصراعات جميعاً كانت الدعوة إلى العلم ووضعه فى مكانته الكريمة . .

١ — كان الوحى يسجل أولا بأول . . والذين قاموا بهذا حملوا اللقب الكريم « كتاب الوحى » ، وكان هناك تجميع دقيق من أول الأمر بمقاييس العصر لهذا العمل ، ومراجعة مستمرة عن طريق القراءة والحفظ والتطبيق . ولم يشهد القرآن فجوة تاريخية بين نزول الوحى والتسجيل .

وعندما اشتد الصراع بين القاعدة الإسلامية وما حولها ، واستشهد فيه نفر غير قليل من حفاظ القرآن ، بذل الخلفاء الراشدون جهوداً علمية دقيقة فى حفظ وجمع وكتابة المصحف الجامع . فكان الدفاع عن الإسلام دفاعاً عن أرض الدين وكتابه الأكبر فى الوقت نفسه . ويسر الله

لهذا الكتاب مالم ييسره لغيره ، وما زال فى مقدور الطفل قبل أن يبلغ الحلم أن يحفظ القرآن كله .

٢ — ولم يكن حفظ القرآن مجرد ترديد كلمات ، وإنما دعوة دائبة إلى طلب العلم والعمل به . .

المسلم يقرأ فى كتاب الله :

* قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ » (الزمر : ٩) .

* وَقُلْ رَبِّ زِدْنِى عِلْماً » (طه : ١١٤) .

* وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً (النساء : ١١٣) .

٣ — وهو يسمع من الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه :

— العلماء ورثة الأنبياء .

— العلماء أمناء الله على خلقه .

٤ — وهو يرى هذا العلم شاملا كل نواحى المعرفة الإنسانية. وطلب المعرفة عبادة وحياة . ويقرأ قول الله تعالى :

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ . وَمِنَ النَّاسِ والدَّوَابِّ والأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ

اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ » (فاطر : ٢٧ و ٢٨) .

فيرى فى الآية إشارات إلى الظاهرات الجوية والنبات والصخور والناس والحيوان . وهى رءوس موضوعات أصبح كل منها علماً بل علوماً رحبة .

والآية تضم هذه العلوم جميعاً ، وتربطها بخشية الله ، فتعطى العلم مضموناً أخلاقياً ، وتراه طريقاً إلى معرفة الله وخشيته ، وأن مطالعة آياته تزيد الإنسان إحساساً وإيمانا بعظمة الله وقدرته .

٥ — وبرزت مكانة العلم فى مجتمع المدينة حينما حدد الرسول لكل أسير من غزوة « بدر » أن يعلم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة ، فكان فداء الأسير مقابلا لتحرير المسلم من رقّ الأمية .

٦ — وشجع الرسول الصحابة على طلب العلم ومعرفة اللغات الأجنبية ، فكان الصحابى الحافظ زيد بن ثابت يعرف السريانية والفارسية والحبشية والقبطية والرومية . . وعندما احتاج المجتمع إلى من يجيد العبرية ليكون ترجمان الرسول بها ، تعلمها زيد وقام بهذه المهمة .

٧ — واستعان الرسول بخبرات الصحابة والبعوث العلمية لتعلم فنون من الحرب استلزمها حصار المدن كصناعة المجانيق والعرادات والدبابات .

وثبة بالفكر الإنسانى :

ومما يسترعى انتباه تمجيد القرآن للعلم ، وضخامة هذه المادة فى القرآن الكريم بحيث إنها وردت هى واشتقاقاتها نحو ثمانمائة وثمانين مرة . هذا الرقم الذى يقرب من الألف يعطينا وحده فكرة عن مكانة هذه المادة فى الإسلام ، والوثبة الجبارة التى وثبها بالفكر الإنسانى حاملا معه التراث القديم من الصين والهند وفارس واليونان والرومان ، فى الوقت الذى

كانت أوربا فيه متنكرة لهذا التراث ، وحفظه ، وأضاف إليه إضافات مبدعة وقدّمه إلى الأجيال التالية فى أمانة وسعة أفق .

وما بعد الرسول :

وقد تكون من أدق المقاييس التى توزن بهادعوة قدرتها على الاستمرار بعد وفاة قائدها .

والنبى — عليه الصلاة والسلام— علم المسلمين ، والدنيا معهم ، أن جهاد الإنسانية واحد . والإسلام — كدين — ليس منقطعاً عن النبوات السابقة . ومحمد صلى الله عليه وسلم كنبى و رسول هو ختام هذه السلسلة النورانية من الأنبياء والمرسلين . والذين يأتون من بعده هم الأمناء على هذا التراث الكبير .

ولنا أن نعود إلى سورة الأنبياء فى القرآن الكريم لنرى تصويراً لهذا الإخاء الإنسانى الكريم . . .

فى السورة يقص علينا ربنا قصص موسى وهارون وإبراهيم ولوط وإسحق ويعقوب ، ويعود إلى قصة نوح ، ثم يدرس قصص داود وسليمان وأيوب وإسماعيل وإدريس وذى النون وزكريا ويحيى ومريم وعيسى . . ويعقب على هذا القصص بآية جامعة هى قوله تعالى :

« إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ » (الأنبياء : ٩٢) :

أمّة تَضُمّ هذا الجهاد كله ، وتتقرب إلى الله باحترام جميع الأنبياء وما دعوا إليه من خير . آية هى على الصعيد المحلى آية الوحدة الوطنية ، وعلى الصعيد العربى آية الوحدة العربية ، وعلى صعيد العالم الإسلامى آية الإخاء وعلى الصعيد العالمى آية المحبة التى تصور الناس جميعاً أمة واحدة . . ومن هذا المنطلق المؤمن جاءت نظرة الإسلام إلى التراث الإنسانى .

هذا هو الأساس الذى نظر به المسلمون بعد عهد الرسالة إلى التراث الإنسانى وحفظوا به ما أبدعته عقول الأمم الأخرى وأضافوا إليه .

وإذا ما تتبعنا هذه النهضة العلمية الكبيرة والسماحة العلمية التى شهد بها مؤرخو تاريخ العلم مثل «جورج سارتون» فى مؤلفاته ، لبعد بنا القول عن الموضوع الذى نطرقه فى هذا الحديث ، ولكننا نرد هذا إلى البذور الأولى فى عهد النبوة .

ولم يقتصر جهد الحركة العلمية الإسلامية على مجرد التحصيل والتوثيق ، وإنما امتدت إلى البحث عن قوانين الحياة فى مجالاتها الطبيعية والبشرية . . وإذا شئنا تعبيراً قرآنياً كان مجال البحث هو الآفاق والأنفس ..

وأقرب النماذج إلينا ما قام به ابن خلدون فى مقدمته من محاولات لكشف قوانين تطور المجتمع . .

وفى مجال الفن تستطيع أن ترد أى قطعة من الفن الإسلامى إلى أصلها ، ومن اليسير عليك أن تعرف ملامحها إذا ما رأيتها بين قطع من فنون أخرى ، وكأن هؤلاء جميعاً تأثروا بمصدر أصيل هو العقيدة الإسلامية التى عبرت عن نفسها فى مجالات الحياة جميعاً . .

خاتمة :

وأعود إلى ليلة فى مكة ، غير بعيد عن جبل النور ، وأتذكر نزول الوحى أول ما نزل القرآن ، وكيف شع نور العلم من جبل النور يحمله الرسول الأعظم ويتحرك لسانى بقول الله تعالى :

« يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً . وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً » (الأحزاب : ٤٥–٤٦) .

في ليلة القدر *

(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ)

(الدخان : ٣)

صدق الله العظيم

* بحث نشرته مجلة الهلال (القاهرة) ، عدد
نوفمبر ١٩٧٢ (ص ٥ – ١١)

« إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ »

هناك ترابط بين ظاهرتين فى القرآن : نزول الوحى ، ونزول المطر .
الأولى حياة القلوب ، والثانية حياة الأرض بعد موتها .

ولنستمع إلى قول الله تعالى فى سورة الرعد :

« أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ »(١٧) .

ثم قوله تعالى :

« أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ » « الرعد ١٩ »

ولنقف قليلا عند هذا التشبيه :

ينزل المطر فتحمله أودية تتباين ضيقاً واتساعاً ، وتنزل أوامر الله فتحملها قلوب تختلف قوة وضعفاً .

وفى تدافع الماء يطفو الزبد ويلمع ويجتذب النظر ، ولا قيمة له .. فى حين

يحملْ الماءُ الطينَ الداكنَ ويتعاونان معاً على إيجاد التربة الصالحة ، وهى ما ينفع الناس .

وعند صناعة المعدن لحلية أو متاع يطفو خبث المعدن— وهو زبد — ويظل أفضل المعدن دون ذلك .

الزبد باطل ، وهو يطفو على سطح الماء ، والتيار مندفع .

والخبث باطل ، وهو يطفو على سطح المعدن ، والنار مشتعلة .

كذلك باطل الحياة قد يطفو ، باطل الناس والقول . قد يدفعه التيار أو نيران الحياة إلى السطح . ولكن فى الصراع بين الحق والباطل يبدو قانون إلهى :

« كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى الأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ » .

ولنا أن نرجع إلى سورة البقرة لنرى نماذج من الترابط بين أمر الله والعمل به والنية فى الإقبال عليه :

فالذى ينفق ماله رئاء الناس .. « فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً » (٢٦٤)

والذى ينفق ماله خالصاً لوجه ربه مثله « كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ » (٢٦٥)

هذا عن الوحى ، ونزوله ، والعمل به . .

خير من ألف شهر :

ويوم نزول الوحى خير من ألف شهر . .

ويوم من الغيث خير من ألف شهر تتطلع فيها الأعين إلى المطر ، انتظاراً لرحمة السماء .

ليلة القدر خير من ألف شهر .

ورحم الله أم المؤمنين أم سلمة حينما بكت عند موت النبي عليه الصلاة والسلام وعبرت عن جانب من ألمها فى قولها : إنما أبكى لانقطاع خبر السماء .

هذه هى الصلة الدائمة . وحى من السماء ينزل فتتلقاه القلوب الواعية حفظاً وعملا . كلامه أفضل كلام . ويومه أفضل الأيام . إنه صلة السماء بالأرض فما صلة الأرض بالسماء ؟

العبادة :

فلنسمعها فى قول الله تعالى :

« وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ » « الذاريات : ٥٦ » .

« وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ »

« البقرة : ١٨٦ » .

وليست هناك ليلة تقترب فيها السماء من الأرض كما تقترب ليلة القدر . ولا دعاء يرفع فى ليلة أفضل منها . .

ليلة القرآن والملائكة والروح والسلام : .

والعبادة فى الإسلام معنى شامل . إنه قصد الله بأى عمل طيب . وكل منا يستطيع أن يعبد ربه حيث يكون : فى المحراب وفى الميدان، فى قاعة العلم ، فى جوف المنجم ، فى الفضاء .

والدعاء قصد وتوجه نحو خزائن الله . ومفاتيحها طاهرة لا يمسها إلا المطهرون .

والدعاء والعبادة والعمل ، كل أولئك تعبير عن الإيمان .

إنها جميعاً « الحركة الثانية » ، بعد « نزول الوحى » .

من أجل ذلك نجد فى القرآن الكريم تشبيه الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة : أصلها ثابت وفرعها فى السماء .

الشجرة نتيجة الغيث وثمرته .

والدعاء نتيجة الوحى وثمرته .

كلاهما تعبير نبت من الأرض الطيبة والقلب الطيب . ومن نبينا تعلمنا « إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا » .

وبهذا تكتمل الدائرة نزولا من السماء وصعوداً إليها — وحى وعبادة : وتتمثل هذه الدائرة فى أروع صورها فى ليلة القدر .

وتخبرنا أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها عن سؤالها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عن أفضل الدعاء ليلة القدر . فيأتى رد الرسول الكريم: قولى: اللهم إنى أسألك العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة .

ولك أيها القارئ الصديق أن تعرض عملك كله على هذا الدعاء، عفواً عما فرط منك وأنت على الطريق . عافية فى أمر دينك ودنياك وأخراك .

سلام هى ..

والوحى والعمل والدعاء والعبادة ، كل أولئك ينتظمه إطار كبير هو السلام .

والسلام فى الإسلام من أسماء الله الحسنى .

وهو تحية المسلمين فى الدنيا .

وهو تحيتنا حين نختم الصلاة .

وهو دعاؤنا يوم الحج الأكبر : اللهم أنت السلام، ومنك السلام ، وإليك يعود السلام ، فحيِّنا ربَّنا بالسلام . .

وهو حديث أهل الجنة . . « لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا تَأْثِيماً. إِلَّا قِيلًا سَلَاماً سَلَاما » (الواقعة : ٢٥ — ٢٦) .

وهو تحية الملائكة للمؤمنين فى جنات النعيم . . « سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ » (الزمر : ٧٣) .

ومن أجل السلام جاء الإسلام . .

وليلة القدر هى ليلة السلام . .

ولكن أى سلام نريد ؟

إنما نريد سلاماً قائماً على العدل .. سلاماً يباركه الوحى والملائكة والروح.

ومن أجل هذا السلام نعمل ونجاهد ونعد أنفسنا سياسيًّا واقتصاديًّا وعلميًّا على أساس من هدى القرآن الذى جاء مصدقاً لكل نبى ورسول . .

من أجل السلام القائم على العدل ، نعمل لاسترداد القدس الأسير والأرض السليبة وحقوق شعب فلسطين .

ومن أجل السلام القائم على العدل ، ننصر كل مظلوم ، ونتعاون مع كل يد حرة شريفة حتى يطلع الفجر . فجر العدل والسلام .

تدور مع العام :

وهذه الليلة مع فضلها تدور مع العام . تأتينا صيفاً وشتاء، تطول وتقصر . . .. ونحن نلتمسها فى العشر الأواخر من رمضان . ولك أن تربط هذا بأوقات الفضل فى الدعاء، ستجدها هى الأخرى دائرة مع العام أو مع اليوم أو مع العمل . .

وكل أولئك يدعوك إلى أن تعمل دون أن تقصر جهدك على يوم أو ليلة .

وما دمت تحمل بين جنبيك روح القرآن فأنت تحمل بين جنبيك روح هذه الليلة المباركة . فما تقرب عبد إلى الله بأفضل مما جاء من الله.. وهو القرآن الكريم تدارساً. وعملا وصياغة للحياة على أساس من هداه الكريم .

وإن أمة تقوم بهذا كله تكون أمة « القدر » التى استفادت من « ليلة القدر » .

الوجود الاسرائيلي وصراعه مع الإسلام والمسيحية *

* دراسة في : ١٥ مارس ١٩٧٣

دراسة :

أولاً : مدخل منهجى

١ ـــ معاداة السامية :

هناك جوانب من الحديث عن إسرائيل استعد لها الفكر اليهودى العالمى ووضع لكل جانب منها ما يقابله :

فإذا كان الحديث تعميماً عن اليهودية رفع اليهود أمام المتحدث شعار معاداة السامية . وقد أفلحوا فى نحت هذا الشعار وإدخاله فى مصطلحات العلاقات الإنسانية واعتبروا اللاسامية أمراً غير إنسانى وعنصرية بغيضة حتى أدخلوا حرب اللاسامية فى وثائق التفرقة العنصرية التى تصدرها الأمم المتحدة .

وتنشط الصهيونية العالمية وتحرك معها معظم القاعدة اليهودية فى العالم ، ويتعدد ولاء المواطن اليهودى بين دولة ترعاه وتوفر له ولأسرته ولأولاده من بعده الاستقرار والرزق ومجالات العمل ، على حين يكون ولاؤه لإسرائيل رغباً ورهباً . فإذا ما أرادت الدولة والشعب الذى يعيش بينه أن يوقفه عند حده . ويحول دون وجود جيوب داخلية تأتمر بأوامر خارجية ـــ صاحت إسرائيل ومعها أبواق الدعاية فى العالم : هذه معاداة للسامية وهذه عنصرية بغيضة . وهؤلاء يهود مواطنون تحاربهم الدولة لأنهم يهود ، وينقلون القضية من أى مجال آخر ، ويتشتت انتباه الناس بين دعوة إنسانية نظرية ، وحقائق خيانة عملية .

وليس هذا مجال تفنيد هذه الدعوة ولا نقل الحديث إليها ، وإنما الذى أود ذكره ، أنها من صنع الفكر الصهيونى كستار يختفون وراءه ، وتهمة يوجهونها إلى من يدينهم على خطأ قاموا به .

٢ ـ عقدة النازي حائط مبكي جديد :

وإذا ما كان الحديث عما حاق باليهود فى العصر الحديث جاء ذكر فظائع النازى وما قاموا به ، ولقد ظل إلحاح اليهود بقيادة إسرائيل على هذا الموضوع وتضخيم أعداد من هلكوا فى سجون ومعتقلات وأفران النازى إلى أرقام خرافية ، أثبت البحث العلمى المنصف أنها غير صحيحة ، وأن المبالغات فيها على الأقل تصل إلى عشرة أضعاف .

واستطاعوا بهذا أن يرهبوا الفكر الإنسانى ، وأن يحملوه أوزاراً لم يرتكبها ، واشتد الضغط على أوربا وبصورة مكثفة على ألمانيا . وإذا بخط أنابيب اقتصادى يبدأ من مصادر الثروة فى ألمانيا ويصب فى إسرائيل تحركه مضخات من الإرهاب الفكرى والسياسى .

وأصبح عدد غير قليل من الساسة واقعين تحت رعب الاتهام بالنازية والاشتراك فى أعمالها ضد اليهود .

ونشطت الأقلام اليهودية وأجهزة الإعلام المسخرة والأيدى والعقول المجندة لتجعل مما حدث فى ألمانيا حائط مبكى فكرياً ، على العالم أن يدفع عنده الثمن ، وعلى الأجيال اللاحقة أن تدفع تكفيراً عما يدعى اليهود أن الآباء صنعوه .

٣ ـ شباب أوربا : هل هو محتاج إلى وثيقة لتبرئه من عقدة النازى ؟

وإذا كان اليهود قد استصدروا من الفاتيكان وثيقة بتبرئتهم من دم المسيح عليه السلام .. ألا يحق لأوربا المعاصرة ولأجيالها الشابة عام ١٩٧٣ .. أن تطلب وثيقة تبرئة من جرائم النازى . وإذا كان هذا حقاً للشباب الأوربى ، فهو حق أصيل للأجيال الجديدة فى ألمانيا .. هذا مع ملاحظة المبالغات

التى أضفاها اليهود على القضية عامدين ، تمهيداً لاستثمارها فى أرضنا العربية .

٤ — وثيقة تبرئة مريم الطاهرة :

وما دمنا بصدد الحديث عن الوثائق : ألا يحق للعالم المسيحى أن يطالب الفكر اليهودى الذى تمثله إسرائيل بوثيقة تبرئة مريم من البهتان العظيم .

كنا نود — حتى عدلا ومساواة دون دخول فى أمور العقائد — أن تصدر وثيقة العلاقة بين اليهودية والمسيحية من شطرين :

الأول : تبرئة اليهود من دم المسيح

والثانى : تبرئة مريم من البهتان العظيم .

ولكن . . أليس من العجيب فى العالم الغربى المسيحى أن تكون جميع الوثائق لصالح إسرائيل ، وليس فيها شيء لصالح المسيحية ذاتها ؟

وبخاصة فى أعز ما تمتلك وهى طهارة أم المسيح التى كرمها الله فى أكثر من موضع وجعل طهارتها قرآنا يتقرب به المسلمون إلى الله ، ويعلنونه على الناس ما دام فى الأرض ناس .

ثانياً : المسيحيون فى إسرائيل

٥ — جولدا مائير فى حضرة البابا :

وبعد لقاء جولدا مائير للبابا علقت على المقابلة فى تصريح نشرته جريدة معاريف الإسرائيلية :

« لقد جلست وفكرت لنفسى . ها هو ذا رأس الكنيسة المسيحية يجلس وجهاً لوجه مع يهودية من إسرائيل ، ويصغى لما أقوله عن الشعب اليهودى وعن إسرائيل ، وعن حقوق هذا الشعب . لقد مرت لحظات توتر . وشعرت

بأنني أقول ما أقوله لرجل الصليب الذى يرأس الكنيسة، والذى اتخذ الصليب رمزاً له ، وهو الرمز الذى قتل فى ظله اليهود منذ قرون . إننى لم أستطع أن أتخلص من هذا الشعور الذى لازمنى . وشعر البابا بذلك، وبأن يهودية تجلس أمامه ، وقال : إن هذه لحظة تاريخية » .

٦ ــ صيد المسيحيين :

ومنذ أن أعلنت جولدا مائير تصريحها وشعورها عن هذا اللقاء، ارتفع فى إسرائيل شعار جديد هو صيد المسيحيين ، بعد أن كان الشعار السابق التضييق على المسيحيين .

وأود أن أنبه على هذه الحقائق التى تحدث فى إسرائيل ، ولعل لجان تقصى الحقائق التى تتكون لأهداف أقل من ذلك فى العالم المسيحى ، تولى هذا الموضوع بعض العناية، حتى يتأكد العالم المسيحى من أن إسرائيل رفعت شعاراً جديداً ، وأنها تسير إلى التصفية الكاملة للوجود المسيحى فى إسرائيل . . تصفية تشمل المؤسسات والأفراد معاً . .

وكأن إسرائيل عملياً ترفع شعار « اللامسيحية » .. « واللا إسلام » . هم وحدهم الشعب المختار . هم وحدهم الناس .

فى هذا المعمل البشرى المسمى إسرائيل يبدو جانب من الوجه الحقيقى للفكر الإسرائيلى وموقفه الواضح من الإسلام والمسيحية ، وحديثنا هنا عن المسيحية ويليه حديث عن الإسلام اتباعاً للتسلسل التاريخى . .

فى إسرائيل وفى ٦ فبراير ١٩٧٣ هاجم بعض اليهود المتعصبين أو المدفوعين متجراً يبيع الكتب الدينية المسيحية وأحرقوه، وكانوا يصرخون فى أثناء الحريق « أريقت دماء يهودية كافية بسبب المسيح . ارحلوا وإلا أرقنا المزيد » .

هناك عدوان على الأديرة وعلى المبشرين وإلحاح على طردهم التدريجى من إسرائيل تحت شعار « غير مرغوب فيه» ، ويتعالى صياح رجال الدين اليهود مشيراً إلى أن نشاط رجال الدين المسيحى بدأ يتخذ أحجاماً مثيرة للقلق .

وهناك ظاهرة إقدام إسرائيل على شراء أراضي الكنائس المسيحية فى الأرض المحتلة مثل دير نوتردام دى فرانس، وكانت ملكاً للفاتيكان ومنطقة المسكوبية وكانت ملكا للكنيسة الأرثوذكسية الروسية .. هذا إلى استئجار المنحدرات التى تقع وراء فندق الملك داود من الكنيسة الأرثوذكسية لمدة ١٢٥ سنة.

هذه نماذج من حقائق تتعلق بالمنشآت والأفراد . على العالم المسيحى أن يدرك أبعادها وهى جزء من مخطط يبدو أنه يرمى إلى تفريغ إسرائيل من الإسلام والمسيحية .

وتحاول إسرائيل أن تصور ما يحدث على أنه نوع من الدفاع عن النفس ضد التبشير الذى يمارسه رجال الدين المسيحيون فى إسرائيل .

٧ ــ العدوان والقتل عند اليهود شريعة :

هذه النظرية عميقة أصيلة فى الفكر اليهودى . وهم يعتقدون أن الله جلت قدرته أمر يوشع بما فعله عندما تقدم إلى مدينة «أريحا» وحرموا (أهلكوا) كل ما فى المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقرة والغنم والحمير بحد السيف (يوشع ٦ : ٢١) وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها ، إنما كل الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد تكون قدساً للرب وتدخل فى خزانة الرب (يوشع ٦ : ١٩)

بهذه الروح الهمجية دخل اليهود أرض فلسطين بقيادة يوشع بعد وفاة موسى واضعين نصب أعينهم إبادة السكان الأصليين بلا شفقة ولا رحمة، ودون تمييز بين المحاربين وغير المحاربين من النساء والأطفال والشيوخ ، واستعباد من لم يمت بسيوف اليهود .

وهذا النموذج له نظائر قديمة وتطبيقات حديثة على العالم الغربى أن يعيها ويقارن بينها وبين تخوف من عقد أو إرهاب فكرى تمارسه الصهيونية العالمية .

ثالثاً : عدوان اليهود على المسيحية قديم

٨ ـ من أقوال المسيح عليه السلام :

ولقد أحس المسيح بذلك من أول دعوته بعد أن جعلوا الهيكل المخصص للعبادة مغارة لصوص تنتشر فيه موائد الصيارفة وكراسى باعة الحمام .

ونظر إلى مدينة القدس الشريف ـ مدينة الصلاة يناجيها قائلا : «يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها : كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا . (متى ٢٣ : ٣٧) .

ويشهد التاريخ الصادق أن أولاد أورشليم لم يجتمعوا فى سلام إلا تحت جناح الإسلام عندما ارتفعت المآذن وأبراج الكنائس وسار العباد فى طرقات المدينة وصلّوا فى معابدها آمنين لا يخافون .

ويشهد التاريخ أنها عادت بعد الغزوة الصهيونية مغارة لصوص ووكر إرهاب .

ماذا كان موقفهم من المسيح ـ عليه السلام ـ روح الله وكلمته .. وماذا كان قوله ؟ قال لهم : « أيها الحيات أولاد الأفاعى كيف تهربون من دينونة جهنم ؟ لذلك ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم تقتلون وتصلبون ومنهم تجلدون فى مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة . . . » (متى ٢٣ : ٣٣)

هذا النبي الذى وسع قلبه للخطأة والمذنبين وفتح لهم أبواب ملكوت السموات .

٩ ــ عدوان مستمر :

ومع هذا كله استمر العدوان اليهودى تحريضًا للحكام الرومان على دعاة المسيحية ورسل عيسى عليه السلام : فقام الرومان بمذابح جماعية للمسيحيين بتحريض من اليهود . . حدث هذا فى أوربا وأفريقية فضلا عما قاموا به من محاولات لتشويه صورة المسيح وأمه الطاهرة . . . وما تقوم به بعض دور النشر التابعة لهم حتى الآن فى هذا المجال فى قلب الولايات المتحدة وأوربا .

رابعاً : مع الإسلام

١٠ ــ نظرة موضوعية واحترام للإنسان من حيث هو إنسان :

والإسلام ينظر إلى الدين باحترام وبغير إكراه . . وأكد وحدة العقيدة فى جوهرها الصافى ، جاء هذا فى القرآن الكريم ، وجاء فى السنة المطهرة ، وفى تطبيقات أسلافنا الصالحين ، وإن لم يخل التطبيق ــ شأن البشر ــ من خروج على القاعدة فى بعض الأقطار والعصور .

الإسلام ينظر إلى الناس جميعًا كإخوة .

« يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنها زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً . واتَّقُوا اللهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا » (النساء : ١)

وفى حجة الوداع خطب النبى عليه الصلاة والسلام الناس جميعًا قائلا : « إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب »

وكان من دعاء النبى عليه الصلاة والسلام :

« اللهم أنا شهيد أنك أنت الله لا إلٰه إلا أنت ، وأن العباد كلهم إخوة » .

وأؤكد هنا على لفظ « العباد » الذى ورد فى الدعاء فى سنن أبى داود .

١١ ــ الإسلام يحارب الشر فى النفس والمجتمع ولا يحارب الإنسان كإنسان:

واحترامًا للإنسان يحارب الإسلام الشر فى النفس الإنسانية ولا يحارب هذه النفس . .

الإنسان كائن مكرم . . ثمرة ناضجة أبدعتها يد العناية الإلٰهية وجعل فيها السمع والبصر والفؤاد . . كائن يسبح بحمد الله ، وينطق بوحيه ، ويحمل رسالته . . ولكنْ من الناس فريق بعد عن طريق الحق . فإذا حاربه الإسلام فإنما يحارب الشر الذى يتمثل فيه .

قد يكون مسلمًا أو مسيحيًّا أو يهوديًّا . . ولكن الإسلام يحاربه للخطأ فى ذاته . .

وفى هذا يقول الله عن المؤمنين :

« وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا، فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين » (الحجرات : ٩)

هذا عن المؤمنين :

فإذا ما حاربنا الشر فى نفوس حكام إسرائيل ، والتضليل الذى تمارسه الصهيونية العالمية على الصعيد الدولى ــ فليس فى هذا عدوان على دين أو انتقاص من حق المؤمنين به . . ولا مجال هنا للقول بعصبية أو لا سامية أو عقدة من العقد . .

هناك شرور تمارسها إسرائيل ضد الإسلام والمسيحية ، ما فى ذلك شك : على المسجد والكنيسة، على رجال الدين من مسلمين ومسيحيين : هناك إحراق وتدمير وتغيير لمعالم دور العبادة غير اليهودية . . هناك فى أذهانهم قدس أخرى غير قدس السلام التى احتضنت الإسلام والمسيحية واليهودية معاً كأديان ، ورفعت لواء العدل فى ظل الحكم العربى الإسلامى بين الجميع ،واستطاع أهل البلاد من مسلمين ومسيحيين عبر القرون أن يفرقوا بضمائرهم الصافية بين أى طغيان يمارسه حاكم أو محارب باسم الإسلام والمسيحية وبين جوهر الإسلام والمسيحية فى نقائه وصفائه الإلٰهى .

١٢ ــ فى القرآن الكريم :

وعندما عرض القرآن لأخبار الأنبياء السابقين احترمهم جميعاً ونفى عنهم الإثم ورد عنهم البهتان . . وذكرهم فى سورة الأنبياء ، عقب على ذلك موجهاً الخطاب لنا وللإنسانية كلها « إن هـٰذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » (الأنبياء : ٩٢)

أمة إنسانية ربانية مسجدها هذا الكون : أرضه طهور . قبته السماء . مصابيحه الشمس والقمر والنجوم . الناس فيه إخوة لأب واحد . عباد رب واحد قيوم السموات والأرض .

لسنا نحن ولا غيرنا شعب الله المختار . . فالله عادل . . وإذا كنا خير أمة أخرجت للناس فهى أمة عمل وعقيدة وليست أمة عنصرية ولا جنس . . أمة بابها مفتوح لكل إنسان وقلبها مفتوح لكل مؤمن وكتابها مفتوح لكل قارئ. أمة إخاء لا استعلاء . . تتعدد فيها الأجناس والألوان والألسنة ولا تفاضل فيها إلا بالتقوى والعمل الصالح . .

خامساً ـ تطبيقات إسلامية

١٣ ـ فى المدينة المنورة :

وعندما جاء الرسول المدينة عقد عهداً كان اليهود طرفاً فيه .

وبدأ يعمل على تأمين الحياة فيها . . والمسلمون يقرءون القرآن وفيه من أخبار بنى إسرائيل ما قاموا به من خير وشر . جاء القرآن موضوعياً لهم : فى إقبالهم على الله وإدبارهم عنه وفيه ذكر من آمن وإن كان قليلا ، ومن كفر بالأنبياء . فيه فضل الله عليهم وفيه لعنة بعض الكافرين منهم .

إنه ـ ولله المثل الأعلى ـ كشف وتحليل واقعيان لهذا المجتمع .

وبدت العداوة والبغضاء منهم فما حاربهم الرسول جملة واحدة إلا أخذ بعضهم بذنب بعض . . فهو رسول العدل والحق .

- باداه بنو قينقاع بالعداوة بعد غزوة بدر فأخرج بنى قينقاع وحدهم دون بنى النضير وبنى قريظة .
- حاربه بنو النضير فى العام الرابع للهجرة وبعد ما حدث فى غزوة أحد فى العام الثالث وحاولوا قتله فانتصر عليهم وأخرجهم دون بنى قريظة .
- انضم بنو قريظة إلى أعدائه فى غزوة الأحزاب وجاء الأعداء من فوق المدينة من عواليها حيث ديار بنى قريظة ، ومن أسفلها حيث مواقع قريش وحلفائها ، وبعد النصر عاقب بنى قريظة وأخرجها .

النبى عليه الصلاة والسلام لم يؤاخذ بعض اليهود بذنب البعض الآخر ، وإنما قصر عقوبته على المذنبين .

- وعندما تجمعوا فى خيبر فى العام السابع حاربهم فيها وأرسل قواته فى العام نفسه إلى مواقع اليهود الأخرى فى فدك وتيماء ووادى القرى ،

وبعد النصر لم يخرجهم من ديارهم ، وإنما أبقاهم على الأرض بشروط مالية معينة ، حتى أخرجهم عمر بن الخطاب بعد ما رأى من مكائدهم على الإسلام وأعطاهم أرضًا جديدة فى شمال الجزيرة العربية بدل ما أخذ منهم .

١٤ — تعقيب :

لسنا إذن ضد اليهودية كدين ،ولكن ضد إسرائيل كدولة عدوانية . ولسنا ضد اليهودى كفرد من أهل الكتاب . . ولكنا ضده معتديًا على أرضنا وهادمًا لمساجدنا وكنائسنا ، وجنديًّا محاربًا يحاول دائمًا التوسع فى أرضنا . ولا نريد أن نلقى أحداً فى البحر ولكن نقول : أعيدوا الأرض أولاً إلى أهلها الذين عمروها قرونًا واحترموا قرارات الأمم المتحدة فى هذا المجال .

ولا تعيشوا فى أواخر القرن العشرين بعقلية الغاب . تقتلون الرجال والنساء والولدان وتلقون الجثث فى الآبار . كما فعلتم فى دير ياسين فى مايو ١٩٤٨ ومازلتم تفعلون . وتقتلونهم حتى فى جو السماء كما فعلتم بشهداء الطائرة الليبية فوق أرض تجلى فيها الله للجبل، ومر عليها أشرف الخلق فى رحلة الإسراء . .

١٥ — وفى ظل الإسلام :

نرى أولا كيف اتجه المسلمون فى صلاتهم إلى بيت المقدس ، وكيف أسرى الله بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى . والتقى هناك مع الأنبياء فى صلاة جامعة هى رمز الإخاء الإنسانى ووحدة العمل المؤمن من أجل الحق والعقيدة .

وأصبحت للإسلام ثلاثة مساجد لها قداستها وحرمتها :

- المسجد الحرام : رمز التوحيد ووحدة العقيدة . .
- مسجد المدينة : حيث قام المجتمع الإسلامى الأول من حوله .
- المسجد الأقصى : رمز الإخاء والسماحة الدينية . .

وإن المسلم الحق يحمل فى قلبه روح المساجد الثلاثة :

- عقيدة يعبد بها الله مخلصًا له الدين .

ومجتمعًا يعمل فيه ومعه على أساس من العدل والإحسان .

- وإخاء إنسانيًّا ، يضم الناس جميعًا ، ويقاوم به الشر إذا ظهر من نفوسهم وصفوفهم . .

ومن الملاحظات التاريخية الجديرة بالتوقف : أن المسجد الأقصى وما حوله كان أخطر محك لاختبار قوة العالم العربى والإسلامى وروح السماحة ذاتها عبر القرون .

وإن خطر الحروب والمعارك المصيرية ضد التتار وضد الصليبيين وضد الصهيونية إنما تدور أخطر ما تدور حول القدس الشريف . . هو عندنا أرض الصلاة والتسامح وهو عند إسرائيل أرض النار والدمار والأحقاد .

١٦ ـ عندما دخل عمر بن الخطاب بيت المقدس :

ولننظر كنموذج إلى القداسة التى دخل بها عمر بن الخطاب بيت المقدس . . دخول العابدين الراكعين الساجدين . .

ولنقف فيه عند رغبة البطريرك صفرونيوس بأن يكون تسليم المدينة المقدسة لأمير المؤمنين ،

ويستجيب القائد العربى المسلم المنتصر لرغبة الزعيم الدينى العربى المسيحى ، فى إخاء يرتفع فوق الحقد . . واحترام لقداسة المدينة يرتفع فوق

معنى الانتصار والتسليم . يستجيب عمر ويخرج من المدينة المنورة إلى المدينة المقدسة ومعه راحلة وغلام ويقسمون المسيرة نحو القدس مثالثة إحداها لعمر والثانية للغلام والثالثة للراحلة تسير متخففة تستريح . . .

لم تكن رحلة عجولا إلى أفراح النصر ولكنها رحلة صلاة وشكر . . حتى إذا بلغوا جبلا مشرفاً على القدس كبّر عمر فوق الراحلة (وهذا الجبل لازال يحمل اسم جبل المكبر) ثم نزل ليركب الغلام نوبته . . وأصر عمر على ذلك ودخل يقود الراحلة والغلام على ظهرها .

ولما رأى القوم هذا خروا له ساجدين والغلام من فوق البعير يصرخ ارفعوا رءوسكم لا سجود إلا لله .

وتفيض عينا صفرونيوس بالدمع ، ويقبل عليه عمر فى إخاء ومودة . ويخطب عمر الناس قائلا :

« يا أهل إيلياء لكم ما لنا وعليكم ما علينا » .

ويدعوه صفرونيوس إلى زيارة كنيسة القيامة وتدركه الصلاة فيسأل أين أصلى ؟

فيقول صفرونيوس : مكانك صل . ويرد عمر ، بنظرة عميقة الدلالة : ما كان لعمر أن يصلى فى كنيسة القيامة فيأتى المسلمون من بعدى ، ويقولون : هنا صلى عمر ويبنون عليه مسجداً . وابتعد عنها قليلا وصلى وجاء المسلمون من بعده واتخذوا مسجداً غير بعيد عن كنيسة القيامة . .

كنيسة القيامة ومسجد عمر والمسجد الأقصى أماكن السماحة والإخاء الدينى . .

هذه قصة نعيها جميعاً ولكن من أجل صيانة هذه السماحة ، بذل أهل الأرض من مسلمين ومسيحيين ما بذلوا وقاوموا عدواناً تستر أحياناً بستار الدين يأتيهم من وراء البحار والسهوب .

١٧ ـ مفاتيح كنيسة القيامة عند المسلمين :

ويختلف المسيحيون فيما بينهم على من يحفظ مفاتيح كنيسة القيامة . وأخيراً يرتضون أن تحفظ المفاتيح عند أسرة إسلامية عريقة ، ويظل الوضع هكذا عبر القرون حتى تجتاح بلادنا وساحتنا هذه الغزوة الصهيونية الوافدة . .

إن وثيقة الأمان التي أعطاها عمر لأهل المدينة وعرفت باسم العهدة العمرية . هي مفتاح سلام قدمه عمر إلى أهل المدينة ، وكان الرد أن يحفظ المسلمون بعد هذا مفتاح كنيسة القيامة .

١٨ ـ معركتنا من أجل هذه المبادئ :

وإن معركتنا مع العدو الإسرائيلي هي من أجل هذه المبادئ ، من أجل الأرض التي قامت عليها هذه المبادئ ، والشعب الذي صان هذه المبادئ . ضد عدو اغتصب الأرض وطرد الشعب وحطم المبادئ . حرقاً لمسجد وتدميراً لكنيسة وقتلا لشيخ وطفل ونساء وتشريداً للشباب . وإن العالم اليوم يرى من الغرور الإسرائيلي والصلف ما يرى . . غروراً وصل إلى ما ذكرته جولدا مائير عن مقابلتها لرأس الكنيسة المسيحية . ووصل إلى إعطاء أوسمة للقتلة والسفاحين الذين أسقطوا طائرة عربية تحمل مدنيين أبرياء تطير فوق أرض عربية مغتصبة .

إن العالم الغربي المسيحي بدأ يحس هذا الصلف والغرور . وأخذ العدوان على المسيحية يشتد في إسرائيل ، وبدا جانب جديد من الوجه المتعصب الكريه الذي تحاول إسرائيل أحياناً أن تخفيه بالحديث عن المحبة والسلام .

وكثيراً ما كان العالم الغربي يتغاضى عما تفعله إسرائيل بالعرب ظناً منهم أن هذا موجه إلى المسلمين أو أن العرب جميعاً مسلمون . . ولكن

نار الحقد الإسرائيلى تأكل فى الأرض المقدسة كل غصن أخضر غير يهودى . كل غصن مسلم أو مسيحى . . . . فهل يتيقظ العالم الغربى والأمم المتحدة لهذا كله ؟ . . وهل آن لنا أن نرى فى هذا الوجود الإسرائيلى امتداداً لأحقاد قديمة ونظرة استعلاء على الناس أجمعين ؟ .

وهل للعالم من حولنا أن يعلم أننا — ونحن نخوض معركتنا — إنما نخوضها من أجل مبادئ الإخاء الإنسانى التى عاشت بها أرضنا قروناً لنا وللناس جميعاً ، كما نخوضها من أجل الأرض والشعب لنعيد إليها الإخاء والسماحة والأمن .

ولا أريد فى هذا المقام أن أتحدث عن التفرقة العنصرية فيما بين اليهود الشرقيين والغربيين ، ولا التناقضات بين من جاءوا من الخارج ، ومن ولدوا فى فلسطين ، وإنما الذى أود التركيز عليه هو هذا الغروروالصلف الذى امتد إلى غير اليهود من السكان ، مهما يكن المصدر الذى جاءوا منه .

إن الحرب الآن تمارسها إسرائيل ضد الإسلام والمسيحية معاً ، مما يستدعى يقظة من كل مؤمن بحرية العقيدة ، ودراسة مشتركة وتقصياً للحقائق فى الأرض السليبة . .

١٩ — إسرائيل : استعمارية عنصرية يهودية بيضاء :

هذا الكيان يمكن أن تصفه بأنه كيان استعمارى عنصرى يهودى أبيض :

الحكم الإسرائيلى ضد المسيحيين فى إسرائيل وإن كانوا بيض الوجوه جاءوا من الولايات المتحدة . وضد اليهود إن كانوا سوداً . وضد العرب لأنهم أصحاب الأرض . ويهود الشرق السمر فى إسرائيل أدنى مرتبة من اليهود البيض .

واليهود البيض عندهم فى صراعات بحسب المصدر الذى جاءوا منه .

هذه هى العقلية التى لا تزال تؤيدها قوى لها مكانتها العالمية وتعطيها المزيد من أحدث أسلحة القتال ، وإن ارتفعت فيها أصوات منصفة أخذت تستجيب لحقنا .

٢٠ ــ خاتمة :

ويمكن أن يكون هذا الموضوع دعوة إلى مزيد من البحث الإسلامى المسيحى فى هذا المجال . وأن يتحرك الموضوع دولياً وشعبياً ــ وأن توجه الدعوة إلى عقد ندوات وإلى إرسال لجان تقصى حقائق ونشر كتاب عن الاضطهاد الدينى هناك .

هذا مع تكثيف العمل السياسى بأوسع مدلولاته التى تشمل قوة الاستعداد العسكرى ، بحيث يبدو هذا النشاط دعماً لجهود قائم على الصعيد الدبلوماسى والعسكرى والاقتصادى ، لا صرفاً للأنظار نحو موضوع ــ مهما تكن قيمته ــ فهو جزء من استراتيجية عمل كاملة ، رأس الحربة فيها المعركة ذاتها .

ومن ناحية أخرى يمكن أن يكون هذا الموضوع من مجالات التعاون الإسلامى المسيحى المستمرة على الصعيد المصرى أولا والعربى ثانياً والعالمى ثالثاً . .

القاهرة ١٥مارس سنة ١٩٧٣ .

الصهيونية تتاجر بمآسي ضحايا وهميين *

* – حاييم وايزمان : إننى أفضل أن يفنى كل يهود ألمانيا على التنازل عن الحصول على فلسطين .
– ملايين اليهود الذين هلكوا فى أوربا أثناء الحرب : أكذوبة صهيونية يروجونها لاستدرار عطف الناس .
– الحقيقة أن الذين اختفوا من يهود أوربا لا يزيدون عن ٣٥٠,٠٠٠ معظمهم فروا إلى أمريكا وأستراليا .
– الصهيونية تنظم فى ألمانيا ألوف المحاكمات لكى يستمر فيض التعويضات على إسرائيل .
– الشهود يرغمون على تقرير ما يملى عليهم أو يقتلون .
– العرب وحدهم هم الذين يدفعون ثمن هذه الأكاذيب الصهيونية .

المعلومات التى ندلى بها فى هذا التقرير ليست أسراراً ، أو بتعبير أدق : لم تعد أسراراً ، لأنها نشرت فى معظم بلاد أوربا . .

نشرها فى سلسلة مقالات وتحقيقات قانونية وصحفية محام ألمانى عكف من سنوات على دراسة أساليب الدعاية الصهيونية ، وتولت توزيعها شركة أنباء عالمية ، ولولا أن أعوان الصهيونية اجتهدوا فى التغطية عليها لكان لها صدى أبعد مما وصلت إليه .

هذا المحامى يسمى برنارد كنيتل Bernard Knittel وقد اجتهدت الوكالة الصهيونية فى إيقاف نشر حلقات التحقيق ، فلم ينشر فى سويسرا — مثلا — شىء منها ، وفى بعض البلاد — مثل ألمانيا الغربية وبلجيكا نشرت منها حلقة أو اثنتان ، ثم توقفت .

هذا مع العلم بأن برنارد كنيتل لم يأت بشىء من عنده ، كل ما أورده موجود فى محاضر محاكمات أو مذكرات منشورة أو كتب متداولة . ولكن الصهيونيين يعرفون أن أحداً لا يقرأ ألوف الصفحات التى تتألف منها محاضر المحاكمات ، وأن قليلا جداً من الناس يقرأون الكتب ، وإذا قرأها بعضهم فسرعان ما ينسون ما قرأوه .

ثم إنهم وعملاءهم ينشرون أضعاف ما ينشر الآخرون ، وأكاذيبهم تنتهى إلى أن تكون حقائق ، لكثرة الإعادة والتكرار . .

وهل يشك أحد فى أوربا وأمريكا — مثلا — فى أن النازيين قتلوا ستة ملايين من اليهود؟ ومع هذا فسترى من تفاصيل هذا التقرير أن هذه أكذوبة ، وأن كبار الصهيونيين يعرفون أنها أكذوبة ، وهم يروجونها لأنها تنفعهم ، وقد استغلوها ، ومازالوا يستغلونها — إلى أقصى حد — فى تأييد أكذوبة

أخرى : دولة إسرائيل والحصول لها على معاونات ضخمة مستمرة لتستمر على قيد الحياة .

إلى هنا ينتهى كلامنا ، وما يلى ذلك كله كلام صاحب التقرير ، لن نضيف إليه إلا ما لابد منه ليستطيع القارئ تتبع السياق .

ألوف المحاكمات لصالح إسرائيل :

فى فرانكفورت تجرى الآن محاكمة نفر آخر ممن يسمونهم « مجرمى الحرب » والمراد بهم بقايا النازيين . هذه المحاكمات تدور عادة حول ما اقترفه المتهمون ضد اليهود ، لأن الدعاية الصهيونية عرفت كيف تقنع الناس بأن هتلر لم يعلن الحرب على إنجلترا أو فرنسا أو غيرهما ، بل على اليهود وحدهم ، هؤلاء هم الذين تحملوا التضحيات وحدهم فى سبيل ما يسمى بالعالم الحر ! ولهذا فواجب على هذا العالم أن يستمر فى تعويضهم إلى الأبد . لم يعد أحد فى إنجلترا أو فرنسا أو هولندا يفكر فى محاكمة مجرم حرب ، ولكن المسألة أصبحت تقليداً فى ألمانيا ، وألمانيا لابد أن تستمر تحت الإحساس بما اقترفته فى حق اليهود ، لا بل أن تؤدى حساباً لا ينتهى لإسرائيل .

لقد بلغ عدد هذا النوع من المحاكمات فى ألمانيا من سنة ١٩٤٥ إلى الآن ١٢٠٠ ، ويقدر عدد المحاكمات التى تمت مع رعايا ألمان خارج ألمانيا بأربعة آلاف ، والرقم فى زيادة مستمرة .

وليس هناك اعتراض على محاكمة إنسان على مافعل ، ذلك تطبيق طبيعى للعدالة ، ولكن ليس من العدالة فى شىء المبالغة فى الاتهام والمجازفة بالإدانة فى سبيل أغراض سياسية وتحويل المحاكمات إلى مهازل .

محاكمات أم مسرحيات :

ويتولى أمر هذه المحاكمات فريتز باور Fritz Bauer وهوالمدعى العام فى مقاطعة هيس الألمانية ، وهو فى نفس الوقت المدير العام لإدارة مجرمى الحرب فى لودفيجزبورج ، وهى الإدارة التى تجمع عناصر الاتهام ضد النازيين .

وتاريخ هذا الرجل طويل ، فقد هرب من ألمانيا سنة ١٩٣٦ إلى الدانيمارك ثم السويد ، ثم عاد إلى بلاده سنة ١٩٤٩ ، ومن ذلك الحين وهو ينادى بأن خطر عودة النازية إلى ألمانيا ما زال قائماً، وبسبب هذه الدعوة ترقى فى السلك القضائى ووصل إلى المركز الذى ذكرناه، وما زال الناس يذكرون تصريحاً أدلى به سنة١٩٦٣ قال فيه إن هتلر لو عاد إلى ألمانيا اليوم لوجد الأرض ممهدة له أكثر مما وجد نابليون أرض فرنسا عند هربه من جزيرة إلبا ، وأنه — أى هتلر — يستطيع لهذا أن يحكم ألمانيا مدة أطول بكثير من المائة يوم التى حكمها نابليون لفرنسا ، وهو تصريح أزعج السلطات الألمانية ، فأطلقت يده فى البحث عن النازيين أكثر وأكثر .

وفى ديسمبر الماضى بدأت فى فرانكفورت محاكمة ٢٢ رجلا يقال إنهم كانوا من حراس معسكر آوشفيتز . وقد صرح محامى الدفاع الدكتور لا ترتسر Latrezer بأن كل إجراءات المحاكمة غير قانونية وأنها تتعارض مع أبسط قواعد قانون المرافعات الجارى فى ألمانيا ، ولكن أحداً لم يسمع له .

وتولى الاتهام المحامى فريد ريش كاول ، وقرر فى أول كلامه أنه يهودى وأنه عضو فى الحزب الشيوعى فى ألمانيا الشرقية ، وتبين بعد ذلك أنه يأتى بكل الوثائق التى يقدمها من بانكوف فى ألمانيا الشرقية . هناك يعدون له هذه الأوراق ، والسلطات تسمح له بالذهاب إلى هناك والعودة بحقيبته ملأى بالأوراق دون أن يجرؤ أحد على تفتيشه مرة واحدة . وقد

قضى هذا الرجل على كثير من الرجال المحترمين فى ألمانيا الاتحادية ، ومع أن حكومة بون تعلم أن أصابع أولبريخت وراء هذه المآسى ، إلا أنها تغمض عينيها ، لأنها تريد أن تظهر للعالم حرصها على القضاء على كل أثر للنازية . وقد اعترض أحد الوزراء الألمان—وهو أوبرليندر — على ذلك ، ولكنه لم يستطع عمل شيء .

وعلى هذه الصورة استمرت المحاكمات وستستمر ، وسيسقط المئات ضحايا لهذا الطراز الغريب من العدالة .

رفض أن يقرر ما تريده الصهيونية فقتلوه :

وفى القصة التى نتحدث عنها ، قضية حراس معسكر آوشفيتز Auswitz تقدم للشهادة ٢٥٠ شخصاً . ومعظم هؤلاء الشهود محترفون ، أى أنهم شهدوا قبل ذلك فى قضايا مماثلة ، ثم إن أحداً منهم لا يستطيع إلا أن يدلى فى المحكمة بالشهادة التى تملى عليه قبلها فإذا رفض أو خالف فلا بد أن يجد نفسه بعد قليل فى قفص الاتهام ليحاكم على أنه نازى .

ولم يعترف بالجرائم التى وجهت إليه إلا اثنان من المتهمين الاثنين والعشرين ، أولهما هانزشتارك والثانى أوتوكلار ، ولم يقرر واحد منهما أن أحداً من اليهود قتل بالغازات السامة ثم أحرق جسده . لقد اعترف أوتوكلار بأنه قتل نفراً من المسجونين بإعطائهم حقناً من الفينول ، ولكن المدعى العام باور أصر على أن يعترف بأنه قتل ألوف اليهود بالغاز السام .

وكان من بين المتهمين رجل يسمى ريتشارد باير ، كان يعمل قومندانا لمعسكر آوشفيتز ، ولم يعترف باير بأنه كانت هناك غرف للإعدام بالغاز وأصر باور على أن يقرر هذا الرجل ذلك ، ولكنه أصر على رأيه . وكان من المقرر أن تبدأ محاكمته فى ربيع هذا العام ، وفجأة فى ١٧ أبريل أعلن أن باير قد توفى .

وقد دهش الناس لهذا الموت المفاجئ ، وقررت زوجة باير أن زوجها كان يتمتع بصحة طيبة إلى ما قبل موته بأيام ، ثم أخذ يشكو آلاماً حادة فى معدته ، وفى يوم وفاته استدعت له الطبيب على عجل ، ولكنه وصل بعد موته . وأصدرت إدارة الطب الشرعى فى فرانكفورت بياناً عن أسباب موت هذا الرجل نشر فى مجلة « دويتشه هيربشول ليرتسايتونج » ، يقول إن باير مات مسموماً والغريب أن جسد هذا الرجل أحرق بعد موته مباشرة ، وهو أمر دهش له الناس جميعاً ، ونشرت مجلة « ريفارول » التى تصدر فى باريس مقالا تتساءل فيه عن سر هذه الجريمة ، وتقدم محام يسمى كريفولد ببلاغ يؤكد فيه أن باير مات مقتولاً ، ولم ينظر هذا البلاغ إلى الآن .

أما السبب الحقيقى فى موت باير المفاجئ فهو أنه كان الرجل الوحيد الذى يستطيع أن يقرر ما إذا كانت غرف الإعدام بالغاز قد استعملت فى آوشفيتز . ولا شك أن هذا الرجل كانت لديه البينات على ما أكده من أن أحداً لم يعدم بالغاز فى المعسكر ، فإذا تأكد ذلك ضاعت أسطورة الملايين الستة الذين أعدمهم النازيون ، والمدعى العام باور يريد أن تستمر هذه الأسطورة ، ولهذا كان لابد أن يموت باير .

الدعاية الصهيونية تحدد مقدماً عدد الضحايا اللازم للدعاية . . . :

وأسطورة هذه الملايين ترجع إلى ما قبل نهاية الحرب العالمية الثانية بل إن هذا الرقم تحدد قبل أن تبدأ محاكمات نورمبرج ، حددته الدعاية الصهيونية وأيدته دعاية الحلفاء .

فى صفحة ٦٣٥ من المجلد ١١١١ من سجلات محاكمات نورمبرج قرر الشاهد فيلهلم هوتى Willhelm Hotti أن ايخمان قال له إنه قتل ٦ ملايين من اليهود . وهوتى هذا كان ضابطاً فى فرق الهجوم الهتلرية

وكان يعمل فى نفس الوقت جاسوساً للمخابرات البريطانية ، وقد نشر سلسلة مقالات فى مجلة « ويك — آند » الإنجليزية ابتداء من ٢٥ يناير ١٩٦١ تحت عنوان « مندوبنا فى فرق الهجوم » وقرر أنه كان يعمل فى الفرقة الرابعة من قوات الأمن الهتلرية ، وأنه اشترك فى كل العمليات التى قامت بها هذه القوات فى معسكرات الاعتقال. ولكن محاكم نورمبرج برأت هوتى وإن كانت قد حكمت بالإعدام على رئيسه كالتنبرونز Kaltenbrunnre وهوتى هو أحد المروجين لأسطورة الملايين الستة .

بل إنه كان هناك من يقولون إن هذا العدد بلغ ٩ أو١٢ مليوناً ، وكلها أقوال لا تقوم على دليل ، لأن ألمانيا كلها لم يكن فيها هذا العدد من اليهود ، وإحصاءات السكان فى ألمانيا من سنة ١٩٣٩ إلى ١٩٤٨ تؤكد ذلك ولم يذكر واحد من الشهود فى قضية فرانكفورت الحالية أن الإعدام بالغاز استعمل فى معسكر أوشفيتز بالذات .

نائب فرنسي يكذب دعاوى الصهيونية :

وقد تطوع لإثبات كذب هذه الأسطورة رجل فرنسى لا يشك فى صدقه هو بول راسينييه Paul Rassinier وكان أثناء الحرب رئيساً للمقاومة السرية فى شمال فرنسا ، ثم وقع فى يد الجستابو وسجن فى معسكر بوخنفالد ثم نقل إلى معسكر دورا ،وبعد الحرب عاد إلى بلده بلفور حيث كرمته السلطات الفرنسية وأصبح نائبا فى البرلمان .

هذا الرجل من المؤمنين بضرورة تحالف الشعبين الفرنسى والألمانى ونسيان الماضى ، وقد دهش من كثرة الأساطير عن فظائع الألمان وأحس أن هذه الأكاذيب ليست مع صالح التفاهم الذى يسعى إليه ، فنشر كتاباً عن أيامه فى معتقلات النازيين عنوانه «أكذوبة أوليسيس "Mensng d''Ulisse" طبع ست مرات فى فرنسا وترجم إلى الإسبانية وطبع فى أسبانيا مرتين ، ونشر

كذلك بالألمانية ، وقد قرر راسينييه فى كتابه أن الجنود الألمان كانوا يكتفون بمراقبة المعسكرات من الخارج ، أما إدارة المعسكرات فكانوا يتركونها لرؤساء من المسجونين أنفسهم وكان الإشراف على معسكر بوخنفالد بيد اثنين من الشيوعيين الألمان وهما تيالمان Thalmann وبرايتشايد Breitscheid ، وهذان الاثنان هما اللذان قاما بكل أصناف التعذيب والسرقة والقتل التى جرت فى المعسكر ، وفى هذا الصدد يقول راسينييه فى كتابه المذكور : « لقد كان هذان الرجلان يعاملاننا بمنتهى القسوة ، كانا يسرقان أطعمتنا وملابسنا ويعذباننا حتى قضيا على ٨٢ فى المائة منا . وقد اخترعا أسطورة غرف الإعدام بالغاز لكى يتخلصا من مسئولية الجرائم التى ارتكباها » .

وقد قرر هذه الحقيقة ألمانى معاد للنازية يسمى أويجن كوجون Eugen Kokgon فى كتابه : دولة فرق الهجوم D r SS. Stadt فقال إن المسجونين كان يعذب بعضهم بعضاً ، بل كان رؤساء المعسكر منهم يضربون إخوانهم ضرباً مبرحاً يفضى إلى الموت فى أحيان كثيرة ، ولما كان المشرفون الألمان لا يحاسبونهم على ذلك فقد كان المسجونون أنفسهم يتولون عقابهم .

وهؤلاء الرؤساء من المسجونين طلقاء اليوم يتنقلون من بلد إلى بلد دون أن يجرؤ أحد على حسابهم .

غرف الإعدام بالغاز ، أسطورة مختلقة :

وليس هناك دليل واحد على أنه كانت هناك فى معسكرات الاعتقال الألمانية غرف للإعدام بالغاز السام .

بينما هناك كل الأدلة على أن هذه الأسطورة اخترعها الصهيونيون ليؤيدوا ما زعموه من أن ستة ملايين منهم هلكوا فى هذه المعسكرات ،

والهدف الرئيسى من ذلك هو تهويل صورة الاضطهاد الذى وقع عليهم وإجبار الرأى العام العالمى على العمل على إنصافهم ، وإنصافهم هو تأييد إسرائيل وإغداق الأموال عليها .

فقرر راسينيه فى كتابه أن الذين ماتوا فى معسكرات الاعتقال ما بين يهود وغير يهود – لا يزيد عددهم على ٥٠,٠٠٠ ، وقال إن الوفيات كانت تقع بسبب الجوع والبرد والمرض وسوء المعاملة ، أما غرف الإعدام بالغاز فلم توجد قط . وقرر أن السلطات الألمانية نفسها كانت تبادر إلى عقاب المشرفين على المعسكرات إذا اتضح أنهم أسرفوا فى القسوة ، ومن أمثلة ذلك أن الهتاريين قدموا القومندان كوخ المشرف على معسكر بوخنفالد للمحاكمة وأعدموه فى سنة ١٩٤٣ ، وقال فى كتابه : « لقد أكد الأب جان بول رينار – وقد قضى ٧ سنوات فى معسكرات الاعتقال – أنه لم يرشيئاً يسمى غرف الإعدام بالغاز وقال ذلك أيضاً يهودى ألمانى يسمى بندكيت كاوتكى فى كتابه المسمى « الشيطان والملعون » .

القوات الأمريكية تروج أسطورة الملايين الستة :

وأغرب ما تبين من التحقيقات حول الموضوع أن القوات الأمريكية التى دخلت ألمانيا هى التى أنشأت وروجت أسطورة إعدام الملايين من اليهود فى معسكرات الاعتقال .

وقد أوحى إليها بهذه الفكرة الصهيونيون الذين وجدوها فرصة سانحة للترويج لما يسمونه استئصال اليهود فى ألمانيا .

فإن القوات الأمريكية عندما استولت على معسكر داخاو علقت لافتتين على شجرتين هناك تقولان إن التراب حول الشجرتين يتكون من رماد ٢٣٨,٠٠٠ إنسان ، وهذا هو الذى قاله الأب نويهاوزلر فى كتابه المسمى « هكذا كان الحال فى داخاو » الذى نشر سنة ١٩٦٠ . لقد

قضى هذا القس الكاثوليكي سنوات فى هذا المعسكر ، وقرر أنه لم تكن هناك غرف للإعدام بالغاز ولا أفران لحرق الجثث ، وذكر أن الذين ماتوا فى المعسكر كانوا ٢٨,٠٠٠ وهو عدد هائل حقاً ، ولكن لا معنى للمبالغة فيه. وذكر أن ما يشاهد الآن من بقايا الأفران إنما قام بإنشائه الأسرى من فرق الهجوم بأمر من الأمريكيين وتحت تهديدهم .

وقد قرر مثل هذه الحقائق الدكتور راينكه Reinecke فى محاكمات نورمبرج . نفى وجود غرف الإعدام بالغاز ، وإن كان قرر أن السلطات الألمانية كانت تتهاون مع الذين يسيئون معاملة المسجونين . والرأى السائد اليوم عند كل من يعرفون الأحوال فى معسكرات الاعتقال النازية هو أنه لم تكن هناك قط عمليات إعدام جماعية لليهود .

وعند محاكمة هويس Hoess الذى كان مديراً لمعسكر آوشفيتز حتى ديسمبر ١٩٤٣ قرر فى محاكمات نورمبرج أنه قضى على مليونين من اليهود بالغاز السام أثناء إدارته للمعسكر ، ولكن اتضح بعد ذلك أنه كذب ، لأنهم وعدوه بتخفيف الحكم عنه إذا قرر أنه قتل أكبر عدد من اليهود ، وشفيتز لا تقع فى أرض ألمانية بل فى بولندا ، وكان الروس هم الذين استولوا على ذلك الموضع ، ومع أن اليهود أنفسهم يقولون إن القوات الألمانية نسفت غرف الإعدام بالغاز قبل انسحابها ــ وهذا ما يقرره ليون أوريس فى قصته «الخروج» (ايكسودوس) ــ فإن الناس شهدوا غرفاً من هذا النوع بعد استيلاء الروس على الموقع ، واتضح بعد ذلك أن الجيش المنتصر نفسه هو الذى بنى هذه الغرف ليصور شناعة الألمان . وقد حكم بالإعدام على هويس ، ثم خفف الحكم إلى السجن مدى الحياة ، وفى السجن كتب الرجل مذكراته وقال إنه لم يقتل هذا العدد ولا قريباً منه. وقد قرر ويلهيلم ساسن Wilhelm Sassen الذى يقال إنه كان صديقاً لآيخمان أن هذا قال له إن عدد اليهود الذين دخلوا آوشفيتز لم يزيدوا على بضعة آلاف استطاع معظمهم

الهرب والاختفاء فى الغابات المجاورة ، والكثيرون جداً منهم يعيشون اليوم سعداء ، وقد نشر سلن ذلك فى مجلة لايف الأمريكية .

وتستعمل الدعاية الصهيونية اليوم وثائق رفضتها محاكم نورمبرج على أنها زائفة ، ومثال ذلك ما قرره كورت جيرشتاين Kurt Grstein من أنه رأى غرف الإعدام بالغاز فى معسكر بلزن Bel n وقد رفضت المحكمة كلامه إذ تبين أنه كاذب ، ولكن اسمه يتردد فى كل الكتابات الصهيونية على أنه رجل صادق . وهم يتاجرون باسم رجل يسمى أرتور برايتفايز Arthur Breitweiser ذكر أنه كان يستعمل مادة سامة تسمى « سيكلون ب » فى المعسكرات للتطهير وقتل الحشرات ولكن الدعاية الصهيونية تحرف الكلام وتقول إن هذه المادة السامة كانت تستعمل لقتل اليهود . وبلغ الأمر بالصهيونيين إلى الإقدام على إعدام من يخشون شهادته ، فعندما أدلى كيتزنر K tzn r بأقوال تناقض ما تريده الصهيونية قتله رجالها اغتيالا سنة ١٩٥٢ .

وتعتمد هذه الدعاية الصهيونية على أن الناس لا يفكرون طويلا فيما يقرأون ، ومن أمثلة ذلك أن أحد دعاتهم ويسمى بيرسى بورد ذكر أنه كان مسجوناً فى آوشفيتز وأنه رأى كل يوم ابتداء من سنة ١٩٤٢ ما بين ٦٠ إلى ٧٠ قطاراً تصل محملة باليهود إلى المعسكر ، وحمولة القطار الواحد ٣٠٠٠ ، فإذا حسبنا الحسبة تبين أن عدد اليهود الذين سجنوا فى ذلك المعسكر يزيدون على ٢٠٠ مليون .! ومع ذلك فإن النشرات الصهيونية تردد كلام بيرسى بورد هذا . . . . .

وأبسط ما يدحض دعوى الصهيونية هذه ما تقرؤه فى دائرة معارف بروكهاوس الألمانية ، من أنه إذا كان النازيون قد أعدموا ٦ ملايين يهودى وأحرقوا جثثهم فإن الأفران الخمسة المزعومة فى معسكر آوشفيتز لابد أن تكون قد عملت باستمرار حتى سنة ١٩٦٤ حتى تحرق هذا العدد الهائل :

أكاذيب مخجلة ، ولكن الدعاية الصهيونية لا تعرف الخجل . . :

هذا واليهود أنفسهم لا يصدقون هذا الكلام ، ولكنهم يعتبرونه وسيلة لاستدرار عطف الناس على إسرائيل ، وحتى هذا يستنكره بعضهم ، فقد كتب أمريكى — يهودى يسمى الدكتور ليستوييفسكى Listojewski في مجلة تسمى « ذى بروم » تصدر فى سان دييجو — كاليفورنيا أنه بصفته متخصصاً فى الإحصاء يقرر أن عدد اليهود الذين اختفوا من ألمانيا أثناء حكم هتلر يتراوح بين ٣٥٠,٠٠٠ ، ٥٠٠,٠٠٠ ، ويرى أن المبالغة فى هذا الرقم وجعله ٦ ملايين أمر مخجل .

واعتماداً على هذه الأكاذيب كسب الصهيونيون عطف الناس واستطاعوا بالعنف والقتال الاستيلاء على جزء من فلسطين وطرد مليون عربى من أهلها واغتصاب أراضيهم .

وهذا بالضبط ما كان يفكر فيه حاييم وايزمان . فقد ذكر يهودى ألمانى يسمى بورج J.G. Burg فى كتابه المسمى « الجريمة والمصير » أن الكلونيل الإنجليزى مارينارتسهاجن Meinerzhagen أحد مستشارى الجنرال اللنبى سمع حاييم وايزمان يقول فى محادثاته مع القائد الإنجليزى : « إننى أفضل أن يفنى كل اليهود الألمان على التنازل عن الحصول على أرض فلسطين » .

وكان بورج يعرف تماماً أساليب الإرهاب الصهيونية ، فقال فى خاتمة كتابه المذكور : إذا أصابنى شىء فستنشر فى الحال مذكراتى ووثائقى التى أودعتها أيدى أمينة فى سويسرا .

ولم يقدم أحد على الاعتداء عليه ، خوفاً من نشر مذكراته ، واليهود يعرفون أنها تفضح الكثير من أكاذيبهم .

وفى التقرير بعد ذلك حقائق أخرى كثيرة ، ولكن حسبنا ما ذكرناه .. المهم لدينا أن الذين يدفعون ثمن هذه الأكاذيب الصهيونية هم العرب

وحدهم ، فهم الذين اعتدى الصهيونيون على أراضيهم ، وهم الذين تحصل إسرائيل على المعاونات من كل صنف لمحاربتهم . .

والناس فى أوربا وأمريكا لا يعنيهم كثيراً تحقيق هذا الموضوع ، لأن مصيبة الصهيونية حلت بغيرهم وهم سعداء لابتعاد الصهيونية عنهم وتركيز متاعبها كلها على العرب .

وفى ألمانيا لا يعارض الناس كثيراً فى القول بأن النازيين قتلوا هذا العدد الهائل من اليهود . لأنه على الأقل يخيف اليهود من العودة إلى ألمانيا والألمان لا يكادون يصدقون أنهم تخاصوا منهم .

ولكن على العرب أن يفضحوا هذه الأكاذيب حتى يجردوا خصمهم من أكبر سلاح يستعمل فى حربهم .

سلاح استدرار العطف والأموال بأسطورة الملايين من الضحايا[١] .

د . حسين مؤنس

---

(١) أعد هذه الدراسة ونشرها الزميل الأستاذ الدكتور حسين مؤنس عن متاجرة الصهيونية بمآسى ضحايا وهمية ، وقد تفضل مشكوراً بالموافقة على نشرها ملحقة بالبحث السابق وتوضيحاً لأكاذيب إسرائيل .

مقترحات عن وحدة الأمة الإسلامية *

* ألقى هذا البحث فى الملتقى الإسلامى السابع الذى دعت إليه وزارة التعليم الأصلى والشئون الدينية بالجزائر وعقد فى مدينة تيزى أوزو عاصمة ولاية القبائل فى الفترة فى يوليو ١٩٧٣ .

تحية وشكر :

بين يدى حديثى إليكم أرجو أن أضم صوتى إلى أصواتكم فى تحية إلى الجزائر رئيساً وحكومة وشعباً ، أن يسّروا لنا هذا اللقاء ، الذى يعتبر بحق صورة من صور وحدة الأمة الإسلامية : وحدة تتمثل فيها أقطار الإسلام وقضاياه ، والتواصل المثمر بين أجيال متتابعة على أساس من الحوار ، ليكون الغد أفضل من اليوم .

تقسيم الموضوع :

ونستطيع أن ندرس موضوعنا من ثلاثة جوانب :

الأول : الجانب المنهجى .

الثانى : الجانب الموضوعى .

الثالث : المقترحات العملية .

أولا : الجانب المنهجى

بين التشابه والتباين[1] :

فى أية دراسة عن الوحدة تقابلنا مجموعتان من عناصر الدراسة :

أولاهما : عناصر التشابه بين مكونات الإقليم أو القطر أو موضوع الدراسة أيّاً كان .

والثانية : عناصر التباين بينه وبين غيره .

وتطلع الإنسان إلى التشابه والتباين أمر فطرى يحاول به أن يمد نظره

---

(١) للكاتب فى هذا الموضوع تحليل منهجى يمكن الرجوع إليه فى البحث الآتى : السودان الجنوبى : دراسة فى التوجيه الحضارى . وقد نشر فى الكتاب الآتى : دكتور عبد العزيز كامل : دراسات فى الجغرافيا البشرية للسودان ٩١ : ٩٨ دار المعارف بمصر ١٩٧٢ .

إلى ما وراء الأفق القريب الذى يعيش فيه .

وأنت إذا ما نظرت إلى أى فردين من سلالة واحدة استطعت أن ترجعهما إليها مع وجود تباين بينهما . كذلك فى أى إقليم طبيعى هناك تباين بين أجزائه ، ومع هذا تنسب الجزأين إلى الإقليم الكبير .

مثال ذلك : هنا فى الجزائر ، تشابه فى المناخ بين مدينة تيزى أوزو التى يعقد فيها مؤتمرنا ، ومدينة الجزائر العاصمة : يتشابهان فى المطر الشتوى والجفاف الصيفى ، وبهذا ندخلهما معاً فى إقليم البحر المتوسط ، ولكن هناك تبايناً بينهما فى كمية المطر والحرارة على مدار السنة . ومع هذا فإن كلاً من المدينتين يقع فى إقليم واحد هو إقليم البحر المتوسط . .

وفى الفن الإسلامى ، من الغرب إلى الصين ، تستطيع أن ترد أية قطعة ترجع إليه ، إلى أصولها مع فروق اقتضاها تباين البيئات فى حدود الوطن الكبير مع أنها جميعاً فى إطار الفن الإسلامى .

فهدف الدراسة فى المناطق أو مجالات البحث التى تبدو متشابهة — بعامة — ليس مجرد « إظهار أوجه الخلاف » ولكن « مدى هذا الاختلاف » فإذا ما أظهرت الدراسة التفصيلية أن هذه الفروق ضئيلة أمكن القول بالتشابه . أى أنها متشابهة فيما بينها ومتباينة عن غيرها .

فالفروق موجودة فى الحالتين ، وإنما العبرة فى مداها . فإن كان قليلاً قلنا بالتشابه ، وإن كان كبيراً قلنا بالتباين .

وهذه النقطة من أخطر ما يقابلنا منهجياً وتطبيقياً . وعلى أساسها يمكن « توجيه » الدراسة والربط بين العناصر الموضوعية والتخطيطية فى حياة أمة أو إقليم ، تخطيطاً تتدخل فيه العناصر والعوامل من أجل صناعة هيئة حضارية جديدة .

وعلى هذا — كما يقول « هارتسهورن » ، وهو مختص فى مناهج البحث الجغرافى — « ليس التشابه نقيض التباين ، وإنما هو مجرد تعميم ،

يتغاضى عن بعض الفروق الصغيرة ويؤكد الفروق الكبيرة[١] .

التشابه الكامل بين جزأين فى أى إقليم أو شعب أو أمة أسطورة، وإذا ما تتبعنا التقسيم فى محاولة للوصول إليه ما استطعنا الانتهاء إلى شيء . .

وجه الإقليم – نظرة تطبيقية :

وليس هناك وجه ثابت ثبوتاً مطلقاً لأى إقليم أو أمة ، وإذا كان لبعض الملامح صفة تقرب من الثبات النسبي ، فى بعضها الآخر ملامح أخرى أكثر استجابة للتغيير .

١ – وإذ ما حاولنا تطبيق ما انتهينا إليه من التشابه والتباين ، على قضايانا الكبرى مثل « وحدة الأمة الإسلامية » لوجدنا أن الدراسات التى تستهدف الفرقة بين المسلمين تحاول أن تبرر الفروق – مهما تكن صغيرة – وأن تركز عليها، مقللة ما استطاعت من مكانة أوجه الشبه ، فى حين أن الدراسات التى تستهدف وحدة الأمة الإسلامية ، تركز على أوجه الشبه. وإذا ما عرضت لأوجه التباين فإنها تبرز كيف تتعايش فى ظل أوجه الشبه الكبيرة .

٢ – فى العالم الإسلامى فى أفريقية، يحاول الاستعمار أن يفرق بين الزنوجة والعروبة، بين أفريقية جنوبى الصحراء ومن فيها من المسلمين ، وبين إخوانهم من العرب شمالى الصحراء . وفى الشمال يحاول التفرقة بين المشرق والمغرب العربى . وفى نطاق المغرب يحاول التفرقة بين الهجرات التى جاءت قبل الإسلام فيطلق عليها اسم القبائل أو البربر ، وبين العرب الذين جاءوا بعد الإسلام .

---

(١) Hartshorne, R, (1959) ; Perspective on the Nature of Geography, P. 17. Chicago.

٣ — وفى المشرق العربى حدث التقسيم بين الترك والعرب ، وتتابع التمييز والتقسيم وأخذت تظهر وحدات سياسية جديدة صغيرة ، وتكاثرت الحدود السياسية بصورة لا نكاد نجد لها نظيراً فى العالم .

وتحريك الضوء على أوجه التباين والتشابه ، له دوره الكبير فى الدراسة. وأنت فى دراستك ، وفى حدود الوقت المتاح لك — مهما تكن موضوعياً لن تملك إلا الاختيار من المادة العلمية المتاحة لك . وأنت فى اختيارك تملأ إطاراً للبحث اخترته فى حدود معرفتك ، وتسير إلى هدف تعمل له .

هذا جانب منهجى وددت أن أبدأ به ، ويستطيع كل منا أن يطبقه على ما بين يديه وفى مكتبته من دراسات عن وحدة الأمة الإسلامية أو العربية ، فيجد معظمها لا يكاد يخرج عن أحد هذين الخطين :

إمّا تركيز على التشابه ، وإما تركيز على التباين ، حسب الهدف الذى يستهدفه الكاتب .

ثانياً : الجانب الموضوعى

الأرض :

من ناحية المكان تعيش الأمة الإسلامية فى وطن كبير ، نواته فى قلب العالم القديم ، حتى إننا نستطيع القول بأنه قارة وسطى بين القارات الثلاث ، ومما يسترعى الانتباه — والله أعلم حيث يجعل رسالته — أن ينشأ الإسلام فى هذا الوطن المتوسط ثم ينتشر منه — أكثر ما ينتشر — على خطوط التجارة فى العالم القديم ، يحمله الدعاة والتجار والملاحون ، ويستطيعون الوصول به إلى المشارق والمغارب ، ويتوغلون به فى شمال أوربا وآسيا وقلب أفريقية ، ثم يهاجرون به إلى العالم الجديد ، فنراه ممثلا

فى جاليات فى أمريكا الشمالية والجنوبية وأستراليا .

وإذا ما أردنا أن نتصور نمطاً متكاملا يختزل كثيراً من التفاصيل قلنا ما يأتى :

هناك نواة يتمثل فيها الإسلام ، وتتكلم اللغة التى نزل بها القرآن . وحولها دائرة فيها الإسلام دين غالب ، ولغة القرآن لغة عبادة لا لغة حياة . وحولها إطار — يمثل شبه الظل لأرض الإسلام — فيه جاليات إسلامية تمارس حياتها فى أمن تتباين درجاته . ثم على أطراف العالم الإسلامى جاليات أو جزائر إسلامية منقطعة عن الجسم الكبير — إلا برباط العقيدة — وبعض هذه الجاليات معرض للقهر أو للذوبان فى الحياة الجديدة بكل اندفاعاتها ومطالبها . وهناك تصور ثان نستطيع أن نقسم به أرض الإسلام إلى ثلاثة نطاقات كبرى :

أولها : النطاق الأساسى الممتد من المحيط الأطلسى غرباً إلى أندونيسيا شرقاً ، ويشمل العالم العربى والأقطار الإسلامية غير العربية . وهنا الإسلام دين الغالبية وإن اتخذ بعض أهله لأنفسهم لغاتهم الأصلية أو لغة حديثة . وزيادة المسلمين فى هذا النطاق ترجع أساساً إلى الزيادة العددية والنمو الطبيعى .

الثانى : نطاق التراجع ويقع إلى شمال النطاق السابق . وأقصد بالتراجع هنا مفهوماً تاريخياً كبيراً يشمل ما تركته الحروب الصليبية وبعض الحركات القومية والاتجاهات المادية . هذا النطاق يشمل أجزاء من جنوب أوربا ووسطها ، ووسط آسيا . والذى أقصده بالتراجع هنا مقارنة بما كانت عليه الأمة الإسلامية فى فترات ازدهار قامت فيها هذه الأقطار بإضافات بناءة فى الفكر والحياة الإسلامية .

الثالث : نطاق التقدم ويقع إلى جنوب النطاق الأساسى ، ويمثل —

إلى حد كبير — المجال الذى يتقدم أو يستطيع أن يتقدم فيه الإسلام ، وأهم أجزاء هذا النطاق أفريقية المدارية[1] .

ومع كثرة القول بأن الإسلام يتقدم فى هذا النطاق ، فإن هذا القول لا يمكن قبوله على إطلاقه ، فأمام ضغوط الحياة المادية ، وتوافر مدارس الإرساليات التبشيرية ، حدث نوع من التزيف فى المجتمع الإسلامى يفقد فيه بعض دمائه وأبنائه لتصب فى شرايين أديان أخرى . هناك فى هذا النطاق قرى مسلمة ترك أهلها ، أو كثير من أهلها ، دينهم ، وتحول أبناؤها إلى مدارس الإرساليات التبشيرية .

ولا نستطيع أن نلوم إنساناً نشيطاً فى عمله، وإنما علينا أن نراجع أساليبنا فى الحفاظ على أبنائنا وحسن إعدادهم فى هذه الأقطار للحياة بالعلم والإيمان .

هذا الامتداد الإسلامى مهدد من الجنوب : استطاع الاستعمار أن يدور حوله ، وأن يضغط من الجنوب ضغطاً قوياً يحاول به وقف المد ، ثم تحويله إلى جزر إسلامى. ولنا أن ننظر ما يحدث فى منابع النيل الاستوائية وما يليها غرباً ، وإلى ما يحدث فى أرتريا ، وأن نربط هذا بما يحدث فى الأطراف القصية كالفيلبين حيث يصل الجزر الإسلامى إلى حد الإبادة الجسدية والتصفية .

وإذا كان النطاق الجنوبى وأطراف العالم الإسلامى تلقى هذا التهديد الذى يختفى أحياناً فى ابتسامة مدرس أو علاج طبيب ، أو يبدو كالحاً فى تصفية جسدية ، فإن القوى الغازية قد استطاعت تحت ستار الصليبية

---

(١) A. Kamel ; The face of the Moslem World.
وقد نشر هذا البحث فى مجلة الجمعية الجغرافية المصرية : المجلد ٣٨ ص ١٢٩ : ١٥٣ سنة ١٩٦٥ القاهرة ، وفيه دراسة لنطاقات العالم الإسلامى وتحركها وتحليل لتباين الإحصاءات عن المجموع الكلى للعالم الإسلامى .

والصهيونية أن تغرس الخنجر الإسرائيلي في قلب النطاق الأساسي ، واستطاعت لأول مرة في التاريخ أن تشطر الجسم المتصل إلى شطرين عن طريق احتلال فلسطين وسيناء وصحراء النقب . ومن هذا المركز المتوسط تحاول الصهيونية والاستعمار مد نفوذهما إلى مناطق البترول والاستقرار البشري . يضاف إلى هذا الضغوط التقليدية التي يلقاها النطاق الرئيسي عن طريق الشمال وعن طريق العالم الجديد .

الناس :

وإذا كانت هذه صورة أرض الإسلام ، فإن صورة المسلمين لا تقل خطراً ولا إثارة عنها، ولقد أشرنا إلى بعض ملامحها في حديثنا عن الأرض . ونستطيع أن نضيف إلى ذلك مجموعتين من التشابه والتباين :

أولا — التشابه :

١ — هناك أولا : وحدة العقيدة وبساطتها وسهولة تعلمها وكيف تلخصها الشهادتان لا إله إلا الله ، محمد رسول الله .

٢ — وهناك ثانياً : العبادات وأنماطها واحدة من صلاة وصيام وزكاة وحج . ويستطيع المسلم أن يمارسها في أي مكان في وطنه الكبير ... الأرض مسجد وطهور . القبلة محددة . الأذان محدد . المناسك معروفة : وحديث النبي عليه الصلاة والسلام بين أيدينا : « أيها الناس خذوا عني مناسككم » ، وقوله «صلوا كما رأيتموني أصلي» ، ولهذا التشابه وما كانت — ولا تزال — تقوم به المساجد من تيسير إقامة الشعائر وإيواء الغريب، وما كنا نلحقه بها من دور ضيافة يتعاون أهل القرية أو المحلة في إكرام من يفد إليها ، لهذا كله أثره في دعم روابط الوحدة والأخوة بين

المسلمين ، بحيث كان المسلم يستطيع السفر من أقصى المغرب إلى المشرق فى ضيافة ورعاية وإخاء لا يحس غربة نفسية إلا ما تقتضيه طبيعة النفس من إلف المكان والحنين إلى الوطن .

٣ ــ الأخلاق : ونبينا يعلمنا : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ، وهى تبدأ من معاملة الفرد لنفسه وأهل بيته والحيوان الأعجم الذى يرعاه ، وتتسع دائرتها إلى الجيرة وأهل المدينة ، إلى الأمة ، إلى النظرة الإنسانية الشاملة التى نحسها فى الحديث الشريف : « اللهم ربنا ورب كل شىء أنا شهيد أنك الرب وحدك لا شريك لك ... اللهم ربنا ورب كل شىء أنا شهيد أن العباد كلهم إخوة » (رواه أبو داود) .

٤ ــ المعاملات : وأصولها العامة ، وبعض تفاصيلها التى يقيم بها الإسلام دعائم المجتمع ، ثابتة . والقاعدة الأصولية عندنا هى « إجمال ما يتغير وتفصيل ما لا يتغير » . ومن هنا جاءت العقيدة والعبادات ــ بخاصة ــ واضحة ومحددة ، فى حين جاءت الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى مبادئ وكليات مرنة تستطيع أن تستجيب لحاجيات الحياة فى تجددها وتدفقها .

ثانياً ــ أوجه التباين :

هذه النقطة الأخيرة تقودنا إلى أوجه التباين بين الأقطار والعصور ، وهى دليل صحى على حيوية الإسلام وسرعة استجابته لحاجات الحياة دون أن يفقد شخصيته . وتفيدنا النظرة التاريخية فى توضيح مجالات التباين :

١ ــ فمن منطقة القلب الذى نبض بالإسلام أول ما نبض فى مكة والمدينة ، حدث انتشار تفاعل فيه الإسلام مع أرض وناس كانوا تحت سيطرة الفرس والروم . وتخطى هذا إلى أرض كانت تحت سيطرة

الهند والصين أو قبائل التتار فى وسط آسيا ، أو كانت لها حضاراتها القديمة فى مصر والمغرب العربى وقلب أفريقية .

٢ — كان من الطبيعى أن تحتفظ هذه الأقطار — وهى تتقبل الإسلام — ببعض ما فيها من حضارات قديمة ولغات بعضها اكتسب الإسلام ديناً والعروبة لغة — كما سبق القول — والبعض اكتسب الإسلام ديناً والعربية لغة عبادة. وتباين احتفاظ هذه الشعوب بما كان عندها من دين ، واستطاعت بعض طقوسها القديمة أن تجد طريقها إلى الحياة ، متسترة فى بعض أثواب من الدين الجديد . وعند هذه المرحلة تتعدد زوايا الرؤية :

(ا) بعض الكتاب أخذوا يؤكدون ما يسمى « بالإسلام الإقليمى » ، وأن الإسلام فى كل إقليم يأخذ طابعاً يتأثر بالديانات والحضارات القديمة فى هذا الإقليم . وأخذوا يلقون الضوء على « الإقليمية الإسلامية » وهنا يعود بنا القول إلى ما قدمنا به لهذا البحث فى موضوعى التباين والتشابه . هذا الاتجاه الفكرى تستطيع أن تلمسه — على سبيل المثال فى بعض كتابات الكاتب الإنجليزى سبنسر ترمنجهام عن إفريقيا[1] .

ولا يمكن أن نلغى فكرة التأثير والتأثر إطلاقاً ، وتقمص بعض القديم ثوب الجديد أو بعض أثوابه ، ولكن الذى ينبغى العناية به هو مدى هذا التأثير ، وبالتالى مدى التباين ثم الإلحاح الفكرى عليه أو على أوجه التشابه .

(ب) وبعض الكتاب يأخذون الوضع المقابل ، ويؤكدون صور

---

(١) Trimingham S.

(a) Islam in the Sudan, 1949, Oxford Univers. Press.

(b) Islam in Ethiopia, 1952 O.U.P.

(c) Islam in West Africa, 1961, O.U.P.

(d) Islam in East Africa, 1964, O.U.P.

(e) The Influence of Islam Upon Africa, 1968, Longmans.

التشابه وأثر الإسلام فى أخلاقيات الشعوب التى تقبلته ديناً ثم حملته إلى من وراءها . وتستطيع أن تجد نموذجاً لذلك من كتاب سير توماس أرنولد « الدعوة إلى الإسلام »[١]، وهو من أفضل ما كتب فى هذا الموضوع ، وله ترجمة عربية .

٣ — وقد ساعد على تعميق الفروق ، الدعوة إلى القوميات المحلية ، بكل ما تحمل من اعتزاز بالماضى . وقد يشمل الاعتزاز بالماضى اعتزازاً بالدين ودعوة إلى الأصالة ، ومن هنا نجد إحياء للدين فى كثير من أقطار العالم الثالث ، ولكن قد تحمل أيضاً تمجيداً لحضارات قاومت الإسلام واستطاع هزيمتها سياسياً وعسكرياً . وعادت لتطل ، لا على صعيد البحث العلمى ، ولكن على صعيد مزاحمة الفكر الإسلامى نفسه .

٤ — ولنا أن نضيف إلى هذا العمق الحضارى تعدّد الألسنة والأجناس وتنوع البيئات فى أرض الإسلام ، مما شجع على بقاء بعض المذاهب والطوائف فى شبه عزلة فى معاقلها الجبلية أو النائية .

وإذا ما رجعنا إلى الخرائط التى ترسمها الدوائر الاستعمارية ، أو النظم التى وضعتها فى بعض الأقطار الإسلامية لتأكيد الطائفية وتعميق الأحاديد بين أبناء الوطن الواحد ، رأينا كيف يحاول الاستعمار التمزيق وزرع الشقاق ، مما يقتضى منا جهوداً مضاعفة فى العمل .

٥ — يضاف إلى ذلك تعدد الأنظمة السياسية والاقتصادية التى يعيش فى ظلها المسلمون . فضلا عن الجاليات والأقليات الإسلامية ، بحيث أصبح غير قليل من أقطار الإسلام يدور فى أفلاك سياسة لها قدرة جذب جبارة . والمسلمون يفعلون هذا — طوعاً أو كرهاً — ثم يدافعون عنه كأنما يدافعون عن حرية اختيارهم فى عالم أصبحت بعض المبادئ فيه ،

(١) سير توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام — الترجمة العربية بقلم د. حسن إبراهيم حسن وآخرين ، القاهرة ١٩٥٧ .

كالسلع التجارية تصدر من قطر إلى قطر ، وتجد لها من الدعاية ما يحملها عبر البحار والقارات .

٦ — ويرتبط بهذا أيضاً المستوى العلمي والتكنولوجي الذي يعيش فيه غير قليل من شعوب الإسلام. وهو مستوى يجعل كلاً منها يبذل محاولة للارتفاع . وقد تعوقه قيود من الحاجة ، أو قيود من الترف والوفرة ، تلقى على الأعين غشاوة فلا ترى الحقيقة . . هذا الإنفاق الاستهلاكي أو الترفي ، أو تكديس الأموال في أيد أجنبية تحركها ولا يملك بعض المسلمين منها إلا أرقاماً تبين رصيدهم في البنوك . . وهذا الفقر القاتل وهذه الأعباء الغليظة التي تنوء بها الكواهل في معارك التحرير . كل أولئك من الوسائل التي تباعد بين المسلمين وبين وحدتهم المبتغاة وتجعل لكل منهم طريقاً إلى مستقبله .

وقد يلتقي شعب مسلم مع غيره في القول . ولكن القضية عندنا — أقولها في وضوح — هي الفجوة الواسعة بين القول والفعل . .

العقبة عندنا هي الكلمات العقيم . . وما أشد حاجتنا إلى كلمات ولود . . كلمات تلد فعلا ، وصورة جديدة للمجتمع والأمة الإسلامية . ولنتأمل معاً هذه الصورة الكريمة للكلمة الولود المثمرة في قول الله تعالى :

«أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ . تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ » (إبراهيم ٢٤ — ٢٥) .

نحن في عصر التجمعات الكبرى ، وأقوى دول العالم الآن من الشرق إلى الغرب اليابان والصين والاتحاد السوفييتي ومجموعة غرب أوربا والولايات المتحدة الأمريكية . وقد تتباين هذه الدول في المساحة ومدى توافر

المواد الأولية ، ولكنها تلتقى عند مستوى علمى مرتفع وتنظيم دقيق وعقيدة فى الحياة هى عندهم أمر بقاء أو فناء .

وإلى جنوب هذا النطاق العملاق ، نطاق آخر من التفتت النسبى ، اصطلحوا على تسميته بالعالم الثالث ولنا أن نقارن بين أمريكا اللاتينية وأمريكا الشمالية ، أو بين العالم الإسلامى والدول الأفريقية والآسيوية والوحدات الكبرى إلى الشمال .

وليس لنا من حياة إلا فى حدود وحدتنا فى عالم العمالقة . لا مجال للأقزام أو الوحدات المفتتة الصغيرة فى هذا العالم . ولا نستطيع عمليًّا أن نتابع الحياة ونحن وحدات صغيرة وشظايا بشرية يمكن أن تستقطبها الوحدات الكبرى .

فى أرضنا مصادر الطاقة وموارد أولية غنية . ولنا موقع متوسط وتاريخ طويل ومصالح مشتركة ونقابل عداوات مريرة . فالوحدة لنا قدر ومصير . إنها الحياة .

الجانب الثالث : مقترحات عملية

هذه المقترحات لا تعدو أن تكون تأكيداً وترجمة عملية لأوجه التباين وتنظيماً للجهود الإسلامية على الصعيد المحلى والعالمى .

أولا — الهيكل التنظيمى :

١ — على مستوى كل قطر تتعدد أجهزة العمل الإسلامى . ومن المتعين كخطوة أولى أن تتوحد أجهزة العمل داخل كل قطر ، أو أن تكون هناك — كحد أدنى — منظمة للعمل الإسلامى على الصعيد المحلى ، يتم وفقاً لها تنسيق الجهود الداخلية أولا ، تمهيداً لتحديد صلة هذه الأجهزة المحلية بمستوى العمل الإسلامى العالمى .

٢ — هناك أكثر من لقاء على المستوى العالمى ؛ هنا فى الجزائر

وفى طرابلس (ليبيا) وفى القاهرة وفى الأرض المقدسة (مهبط الوحى) وفى الشرق الإسلامى الأقصى ... وكلها على مختلف موضوعاتها واهتماماتها تعمل على الصعيد العالمى . وحتى الآن — ومع الجهود المبذولة — لا نستطيع القول بأن هناك لقاء منتظماً بين المسئولين عن هذه المؤتمرات واللقاءات الإسلامية العالمية . وإننى أتقدم باقتراح محدد فى هذا الصدد هو عقد اجتماع دورى سنوى يضم المسئولين عن اللقاءات والمؤتمرات المنتظمة لتنسيق الجهود فيما بينها ، ودراسة وسائل تنظيم وتكامل نشاطاتها ، ولا شك أن تنفيذ مثل هذا الاقتراح سيؤدى إلى القضاء على التكرار ، واقتصاد الوقت والجهد والنفقة بقدر ما سوف يثرى العمل الإسلامى ويضاعفه .

٣ — هل نستطيع أن نصل إلى ما يمكن أن نسميه « المجلس الإسلامى الأعلى » لتنظيم أمر النشاط الإسلامى ؟ إن مجلساً كهذا — الذى أرجو أن نسير إليه — يمكن أن يقترح استراتيجية عليا للعمل الإسلامى تكون دليل عمل يمكن أن تسترشد بها الدول والمؤسسات الإسلامية لخدمة الإسلام داخل دياره وخارجها .

٤ — لقد أقام المجتمع الإسلامى « المؤتمر الإسلامى » وتلك خطوة جديرة بالحمد . وأصبح لوزراء خارجية دول العالم الإسلامى لقاء منتظم ثم جاء بعد هذا لقاء وزراء الأوقاف فى الكويت فى الربيع الماضى ١٩٧٣ ولم يكن جزءاً من إطار مخطط . والذى أقترحه الآن هو إيجاد كيان ينسق وينظم على المستوى الرسمى الجهود جميعاً ، دون أن يكون فى هذا أى قضاء على شخصيتها . وإذا كنا بدأنا بوزارة الخارجية ومن بعدهم وزراء الأوقاف ، فإنه يمكن أن نتابع الاجتماعات فى شئون[1]

---

(١) انعقد مؤتمر لوزراء مالية الدول الإسلامية فى الفترة من ٢١ — ٢٢=

الاقتصاد والاجتماع والتعليم حتى نصل إلى اجتماع وزراء الحرب والدفاع عن أرض الإسلام . إن المال الأخرى أخذت بهذا السبيل من التنظيم ، والتنظيم من صميم ديننا .

ثانياً ـ الجانب التخطيطي والتنفيذي :

١ ـ في ظل هذا التنظيم الإسلامي المقترح يمكن أن تتحدد مجالات العمل . . فإذا ما كان اجتماع وزراء الخارجية قد انتظم ومن بعده وزراء الأوقاف ، فلتأت دور رجال التشريع والاقتصاد والتربية مسيرة إلى وزراء الحرب والدفاع عن الإسلام .

٢ ـ وأقترح أن يكون التعاون الإسلامي العالمي في أول أمره محدود المدى ، لنعطيه تجربة نجاح تدعو إلى مزيد من الأمل ، ولا نحمله من أول الأمر ما لا طاقة له به. وأن يكون التعاون ـ ابتداء ـ في القدر المتفق عليه. وأن يكون البحث في هذه المجالات ، دون عرض لأوجه الخلاف أو الحديث فيها .

مثال ذلك : لو بدأنا في قضية فلسطين برعاية منتظمة لأبناء فلسطين والأرض السليبة تقوم على أساس الحفاظ عليهم ، ودعم حب الوطن الأصيل في نفوسهم ، وتأكيد روح العودة فيهم . لكان في هذا خير يدعو إلى مزيد من الجهد الإيجابي . وقد يكون ما تنتهي إليه ـ كمرحلة أولى ـ تنسيقاً بين جهود قائمة، وملئاً لثغرات موجودة ، ولا يحول هذا دون أي نشاط إيجابي أوسع مدى تمارسه هيئات قائمة الآن .

=من ذي القعدة ١٣٩٣ هـ الموافق ١٥ ـ ١٦ ديسمبر ١٩٧٣ بناء على دعوة الأمانة العامة للمؤتمر الإسلامي . واستعرض المؤتمر موضوع إنشاء بنك إسلامي للتنمية يكون مقره جدة ، كما أقر المؤتمر إنشاء وكالة للأنباء الإسلامية وصندوق للتضامن الإسلامي يعاون الحكومات والجماعات الإسلامية على حفظ كيانها وتنمية مواردها.

مثال آخر: لو وجهنا جهودنا فى قضية مسلمى الفلبين إلى الحفاظ على أرضهم، فلا تغتال باسم التوسع الزراعى والتنمية، والحفاظ على أبنائهم بإعطائهم فرصاً أوسع فى التعليم الحديث مع دعم العقيدة الإسلامية فى نفوسهم، ولو تعاونا معهم على تمويل مشروعات عمرانية هناك، لفعلنا خيراً كثيراً، يستطيع أن يجعل نشاطهم بعد هذا ذاتى الحركة.

٣ – أن يكون العمل الفكرى والتنفيذى ثابت الخطو واضح المعالم. لننظر إلى ما يفعله أعداؤنا، وكيف جاءوا فلسطين لينتزعوا أرضنا الغالية، وليجمعوا السكان اليهود من أقطار العالم، وليوجدوا الأنظمة والعلاقات الدولية. ذلك لأن القضية عندهم «إرادة الحياة» أولاً، قبل أن تكون مجرد وجود عناصرها.

٤ – ونحن محتاجون فعلا مع التخطيط الطويل إلى تقسيمه إلى مراحل، وإلى توزيع إقليمى له، بحيث لا يصبح العمل مرتبطاً بأفراد، بقدر ارتباط الأفراد بفكرته والإيمان به والتوفر على إنجاحه.

٥ – أن ننشئ مركز توثيق إسلامياً عالمياً لهذا كله يجمع المعلومات الصحيحة ويوزعها وينظم الخطط ويتابع تنفيذها.

٦ – أن تربى الأجيال الجديدة المؤمنة بذلك، وأن يؤمن لها العاملون ظهرها فى العمل، ويكفى ما تلقاه من أعدائها.

وصفوة القول فى أبواب العمل ومقترحاته أننا نريد تنظيماً على مستوى عالمى، كما صنعت المنظمات التى تحمل صفة العالمية فى كل قطر إسلامى، ونظاماً سليماً على مستوى كل قطر، واقتصاداً فى الجهود، وتخطيطاً طويلا يرتبط به العاملون فيه، وتتحرك معه المستويات المحلية حركة تنظم العمل الإسلامى العالمى فى مرونة واستجابة لاحتياجاته المتطورة.

خاتمة

وقبل أن أبرح مكانى هذا ، هل تأذنون لى بكلمة وداع ، فقد اقتضت ظروف عملى أن أعود إلى القاهرة قبل نهاية الملتقى .

وداع إلى الجزائر رئيساً وحكومة وشعباً .. الجزائر أرض الإيمان والجهاد والاستشهاد وإعادة بناء الحياة .

إلى هذه الجبال الخضر التى شهدت آيات البطولة ، وضمت رفات الشهداء .

إلى هذا الجيل الجديد من أبنائنا الذى أنبتته العقيدة والتضحية السخية وإرادة الحياة ، فارتفعت هاماته فوق الأحزان إلى مستوى المسئولية كزرع أخرج شطأه فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار .

إلى هذه الولاية الطيبة « تيزى أوزو » وأجهزتها الشعبية والسياسية والتنفيذية أن أفسحوا لنا الصدور والدور .

وإلى الصديق الأستاذ مولود قاسم وزير التعليم الأصلى والشئون الدينية ، وزملائه ومعاونيه .

وإلى لقاء فى ملتقى جديد أدعو الله أن نكون فيه أقرب إلى أهدافنا ، استرداداً لفلسطين الغالية ، وأرضنا السليبة ، وبناء مجتمعنا وشبابنا على أسس راسخة من الإسلام والتخطيط والعمل الخالص ...

خطوات إلى وحدة الفكر الإسلامي *

* نشر بمجلة المصور (القاهرة) عدد ذي الحجة .
١٣٩٣ هـ - ديسمبر ١٩٧٣م .

هناك اعتذار تقليدى أود أن أبدأ به هذا الحديث : وهو اتساع الموضوع وضيق المجال المتاح له . . من أجل ذلك سيقتصر القول على خطوط عريضة فى الموضوع أو ما نستطيع أن نسميه — إذا استعرنا تعبيراً فنياً — خطوط القوة فى الدراسة . وإلا فكيف نتحدث عن وحدة الحضارة الإسلامية فى امتدادها الزمنى أربعة عشر قرناً . . وفى امتدادها المكانى من أقصي اليمين شرقاً وما وراءه فى جزائر المحيط الهادى — فى الفيلبين — إلى أقصي المغرب وما وراءه من جاليات إسلامية استقرت فى العالم الجديد وأطلت على المحيط الهادى من أقصى الغرب ، وزحفت جنوباً إلى أستراليا ، وأقامت مؤسساتها — مساجدها أولا — تحمل آية حضارتها ، وشمالا وصلت إلى المناطق الباردة فى فنلندا وما حولها ، حيث جاليات لم تستطع أعاصير المنطقة بصقيعها وثلجها أن تقتلعها من جذورها ، واحتفظت بدفء الإسلام فى شتاء الحياة ؟

هى حضارة متنوعة المظاهر واحدة المصدر كالضوء إذا سقط على منشور زجاجى نرى فيه كل ألوان الطيف ، وهو نابع من مصدره الأصيل : القرآن والتوحيد وكالنهر : ماء واحد تنبت به زهور وثمار مختلف ألوانها . .

هذه الحضارة بجوانبها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية . . فى آفاقها المتعددة : الطب ، الهندسة ، الحساب ، الجبر ، الرياضة . . ومكتبتها العملاقة النامية . . ماذا نريد من حديثنا اليوم عنها ، بعد أن رأينا معاً — فى سطور — آفاقها الزمانية والمكانية والموضوعية ؟

فليكن حديثنا أولاً عن خصائصها ، ومن هذه الخصائص نستطيع أن نتبين عوامل للوحدة فيها . . الوحدة فى السمات العامة مع التنوع فى

الأساليب والأنماط . ثم ننتقل إلى الوسائل التى تؤكد هذه الوحدة الفكرية بمرونتها وإيجابيتها ، ولنبدأ معاً هذه الرحلة . .

أولا — الخصائص :

ما نقطة البدء فى الحضارة الإسلامية ؟
أعتقد أنها كلمة واحدة : القرآن .

بدء نزول القرآن كان إيذاناً بعهد جديد من عهود الحضارة الإنسانية ، حمل لواءه النبى عليه الصلاة والسلام ، وتعاون معه صحابته فى إقامة أول مجتمع إسلامى ، وانتشرت بعد هذا موجات من الحضارة من مركزها الأصيل فى الجزيرة العربية ، ثم من مراكزها الجديدة فى ديار الإسلام إلى المدى الذى نراه الآن .

والنداء الأساسى فى الإسلام هو نداء التوحيد : إذا نطق الإنسان بالشهادتين وأقر بهما كان مسلماً . ومن هذا النداء تبدو أول ملامح هذه الحضارة وأنها :

١ — ربانية :

ونستطيع أن نرجع إلى مجالات الحضارة الإسلامية ، ولن نخطئ فيها هذا الأساس المكين ، ولنأخذ نماذج على ذلك :

* فى تأسيس الدولة نفسها . نرى العامل الربانى قوياً : فى المغازى وما بذله الصحابة فيها من جهد مع الرسول « ص » ، ثم فى حروب الردة وفى فتوح فارس والروم وما فيها من بطولات . فى الحروب الصليبية وحروب التتار ، وتطوير السلاح . فى الثورات وحركات المقاومة التى قامت فى ديار الإسلام عندما غزاها المستعمرون . . مسيرة إلى عبور

قناة السويس فى العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣ هـ « ٦ أكتوبر » وكيف أن نداء المقاتلين كان « الله أكبر » .

« مجالات الفن الإسلامى كانت لها جذورها التى ترجع إلى المصدر الأول . ولها مع هذا تنوعها العظيم : « تنوع فى أشكاله وصناعاته وزخرفته وأقاليمه ورجاله ، تنوع بلغ من الشدة حداً يصعب فيه كثيراً أن نجد تحفتين متماثلتين . ومع ذلك فإنه يمتاز بوحدته . فلو أنك عرضت على أى شخص تقتصر معرفته بالفنون على المبادئ العامة البسيطة ، صوراً متنوعه لتحف مصنوعة فى العصور الإسلامية، منها صورة لقطعة من العاج الأندلسى وأخرى لقطعة من النسيج المصرى، وثالثة لقطعة من المعادن الإيرانية، فلا شك فى أنه يشعر بوحدة أساليبها . ولا يتردد فى الحكم بانتمائها جميعاً إلى الفن الإسلامى » .

آثرت أن أذكر هذا النص من تصدير د . أحمد فكرى لترجمة كتاب «ديماند» عن الفنون الإسلامية (ص ١١)؛ويتابع بعد هذا عرضاً لآراء «ديماند» التى تؤكد وحدة الفن الإسلامى . ويعقب على هذا بقول المؤلف (ص ١٥٨) من الأصل : « قد يكون من الصعب فى أغلب الأحيان . أن نحدد بدقة الإقليم الذى يصلح أن يرجع إليه من بين الأقطار الإسلامية الفضل فى ابتكار نوع الخزف ، أو شكل معين من أشكال زخرفته ، إذ أننا نلقى كثيراً هذه الأنواع والأشكال المختلفة بعينها فى أقطار عديدة من العالم الإسلامى » .

ولكن ، كيف نربط بين هذه الوحدة الكبيرة ، وبين الأساس المؤمن الذى قامت عليه هذه الحضارة ؟

هذا مجال فسيح لقراءة الآثار الحضارية وتفسيرها، نكتفى بخطوطه الرئيسية.

« ولو انتقلنا إلى مجال العلم لرأينا الجانب المؤمن من حياة علمائنا . . هم يبدءون بدراسة العقيدة والأصول. وما من مسلم إلا وله صلة قوية أو لينة

بهذه الأصول . وفى الإنتاج العلمى الإسلامى تحس هذه الروح المؤمنة :
فى البدء «بسم الله الرحمن الرحيم» فى حمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على خاتم رسله وعلى سائر الأنبياء والمرسلين . فى الإنابة إلى الله والخضوع له .

وأنت تستطيع أن تدرك جانباً من شخصية المؤلف من طريقته فى تقديم كتابه ، وتستوقفنى مقدمة ابن النديم لكتاب الفهرست . يقول فيها بعد البسملة : « رب يسر برحمتك . النفوس — أطال الله بقاءك — تشرئب إلى النتائج دون المقدمات ، وترتاح إلى الغرض المقصود دون التطويل فى العبارات . فلذلك اقتصرنا على هذه الكلمات فى صدر كتابنا هذا ، إذ كانت دالة على ماقصدناه فى تأليفه إن شاء الله . فنقول ، وبالله نستعين ، وإياه نسأل الصلاة والسلام على جميع أنبيائه وعباده المخلصين فى طاعته ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم » .

ويتابع فى الفقرة التالية فى تكثيف رائع هدفه من كتابه فيقول :
« هذا فهرست كتب جميع الأمم من العرب والعجم الموجود منها بلغة العرب وقلمها ، فى أصناف العلوم وأخبار مصنفيها وطبقات مؤلفيها وأنسابهم وتاريخ مواليدهم ومبلغ أعمارهم وأوقات وفاتهم ، وأماكن بلدانهم ، ومناقبهم ومثالبهم ، منذ ابتداء كل علم اخترع ، إلى عصرنا هذا وهو سنة سبع وسبعين وثلثمائة للهجرة .

وتقرأ هذه المقدمة فتحس أنك لا تستطيع أن ترفع منها كلمة واحدة مع محافظتك على معانيها الكاملة التى قصدها المؤلف . .

وقد تطول المقدمة فتصبح كتاباً برأسه ، كما صنع ابن خلدون ، وأنشأ بمقدمته علماً جديداً : علم العمران البشرى ، أو علم الاجتماع .

وتسير مع المؤلف فى كتابه وتنتهى معه . فإذا بك مع العلم فى رحلة مؤمنة لها أخلاقياتها وحدودها ، ويختم كتابه بحمد الله على ما وفقه سائلا

إياه مغفرة له ولأشياخه وأساتذته ، ونفعه بما بذل للناس أجمعين . .

تستطيع أن تقرأ هذا فى كتب الفقه والتشريع والتاريخ والجغرافيا والرياضيات . . فهذه الربانية سمة غالبة فى الفكر الإسلامى .

٢ – الإنسانية :

وهناك الطابع الإنسانى لهذه الحضارة . نظرتها إلى الإنسان كإنسان أبدعته يد الله ، وجعلته خليفته فى أرضه . ومنحته العقل ليحمل المسئولية ويعمر الكون ، وأرسل إليه الرسل مبشرين ومنذرين . ثم مرده بعد هذا إلى الله ليجزيه بما عمل .

* هذه النظرة الإنسانية تبدو – أول ما تبدو – فى القرآن الكريم ، تأكيداً للإخاء الإنسانى الشامل :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً » (النساء : ١) .

* وتبدو فى الحديث الشريف فى خطبة الرسول « صلى الله عليه وسلم » الجامعة فى حجة الوداع :

« أيُّها الناسُ : إنَّ رَبَّكُم واحدٌ ، وإنَّ أبَاكُمْ واحد . كلُّكُم لآدمَ وآدمُ من تراب ، أكْرمكم عندَ الله أتقاكُم ، وليس لعَرَبىٍّ على عَجَمِى فضلٌ إلاّ بالتَّقوَى » .

وحتى فى مجال الحرب – أعلى ذروة تتكشف فيها الطاقة الفردية

والاجتماعية — ترى الأساس الإنسانى فى الإسلام . وفى وصية الرسول «ص» إلى أسامة بن زيد يوم عقد لواءه قبيل وفاته : — يا أسامة ا . . اغز باسم الله فى سبيل الله ، فقاتلوا من كفر بالله . اغزوا ولا تغدروا ولا تقتلوا وليداً ولا امرأة ، ولا تمنوا لقاء العدو ، فإنكم لا تدرون لعلكم تبتلون بهم ، ولكن قولوا : اللهم أكفناهم ، واكفف بأسهم عنا . فإن لقوكم قد أجلبوا وصيحوا فعليكم بالسكينة والصمت . ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، وقولوا : اللهم إنا عبادك ، تواصينا ونواصيهم بيدك ، وإنما تغلبهم أنت . واعلموا أن الجنة تحت ظلال البارقة» (وهى السيوف)[١] .

فهنا نجد سواعد ترفع السلاح بقانون أخلاقى ، وتضعه بقانون أخلاقى ، وتؤمن بربها ، وتعمل بكل وسعها فى الحدود التى رسمها لها الدين ، جامعة بين طاقة الإيمان فى العمل ، وضوء الفكر فى التخطيط والتنفيذ .

• وتبدو فى نظرة المؤلفين الإسلاميين إلى الإنسان من حيث هو إنسان نظرة تتساقط دونها حواجز اللون والجنس والعصبيات الضيقة :

فالناس من لدن آدم إخوة لأب وأم .

والقرآن الكريم يعتبر المؤمنين جميعاً على اختلاف عصورهم وتتابع أنبيائهم يعتبرهم أمة واحدة. ولنا أن نرجع إلى سورة الأنبياء فى القرآن وكيف أخبرنا ربنا عن المرسلين ثم عقب عليهم جميعاً بقوله : «إنّ هَـٰذه أمّتكُم أمةً واحدةً ، وأنا ربّكم فاعبُدُون» (الأنبياء : ٩٢) .

ومن هذا المنطلق جاءت محاولات مؤرخى الإسلام فى عرض التاريخ الإنسانى العام وفق ما توافر لهم من مصادر . نرى هذا — على سبيل المثال — فى كتاب تاريخ الرسل والملوك لأبى جعفر جرير الطبرى ،

(١) المقريزى : إمتاع الأسماع ١ : ٥٣٦ – ٥٣٧ . القاهرة ١٩٤١ .

وكتاب البداية والنهاية لابن كثير الدمشقى ، والكامل فى التاريخ لابن الأثير الجزرى .

فالطبرى يذكر فى قصة الخلق بعض الأقوال : بعضها مسند إلى رواته والبعض غير مسند . ولكنك تحس فى هذه الأخبار المروية — وهى من مختاراته — هذه اللمسة الإنسانية :

نزول آدم من الجنة نقرأ فيه :

« لما علم آدم أن الله عز وجل مهبطه إلى الأرض جعل لا يمر بشجرة من شجر الجنة إلا أخذ غصناً من أغصانها ، فهبط إلى الأرض وتلك الأغصان معه ، فلما يبس ورقها تحات ، فكان ذلك أصل الطيب »[١]

« حدثنا ابن بشار قال :— ويرتفع الطبرى بالمتن إلى الأشعرى — إن الله تبارك وتعالى لما أخرج آدم من الجنة زوده من ثمار الجنة ، وعلمه صنعة كل شىء . فثماركم هذه من ثمار الجنة غير أن هذه تتغير وتلك لا تتغير »[٢].

ولا أقف عند تحقيق هذين النصين ، ونظائرهما فى تراثنا كثير . . وإنما أقف عند المعنى الإنسانى فيهما ، معنى تستطيع أن تجد له رابطة من نوع ما ، بروح الآية الكريمة : « فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ » (البقرة : ٣٧) ، وقوله تعالى : « وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى » (طه : ١٢١ — ١٢٢) ،

نزول آدم فى المفهوم القرآنى صحبته من الله توبته عليه ، واختياره للخلافة وهداية وكلمات من التواب الرحيم . .

وهذه النظرة إلى الأب الأول نراها فى الفكر الإسلامى تشمل أبناءه جميعاً . هم مجال حب ورحمة . واختلاف ألسنتهم وألوانهم لا يعدو أن يكون

---

(١) تاريخ الطبرى ١ : ١٢٦ ط . القاهرة ١٩٦٠ .

(٢) المرجع نفسه ١ : ١٢٧ .

مظهراً لقدرة الله . . كاختلاف ألوان الزهر والثمر .

وفى مسجد المدينة كان الإمام نبينا محمداً عليه الصلاة والسلام العربى القرشى ، وكان المؤذن بلالا الحبشى .

من علمائنا الذين نعتز بهم ونقرأ نسبتهم إلى بلادهم فترى صورة من الإخاء الكبير الذى كان يربطهم وما زال يربط إنتاجهم : السندى ، الخراسانى ، البغدادى ، الصنعانى ، الدمشقى ، المصرى ، التونسى ، الجزائرى، المغربى القرطبى إلخ . ولم تكن نسبتهم إلى بلادهم مجال عصبية ،وإنما مجال تعريف. بل إن الفرد منهم ليحمل أكثر من نسبة: نسبة مولد . نسبة إقامة . نسبة معهد علمى . :

٣ ــ الانفتاح :

وأقصد بالانفتاح هنا الاستفادة من التراث الإنسانى كله. ما سبق الإسلام وما عاصره فى عهود ازدهاره ، وما يعاصره فى عهود كفاحه ونموه . .

هكذا كانوا مع تراث الفرس والرومان واليونان والهند والصين . .

وإذا كانت بذور التفاعل مع الحضارات المجاورة ترجع إلى العهد النبوى فى المدينة ، وتتمثل فى الرحلات والبعثات ذات الطابع العلمى للاستفادة من أساليب أو أدوات عسكرية مستخدمة أو سلع تجارية ، فإنها فى العصر العباسى أخذت طابعاً منظماً أهم معالمه تأسيس بيت الحكمة وأخذت بمن فيها من العلماء والمترجمين فى نقل التراث العلمى والفلسفى لتصبح فى متناول العرب فى ترجمات عربية جيدة . وكان المأمون يبذل الكثير فى توفير الجهد العلمى والمرتبات السخية للمترجمين فضلا عن الجوائز على الأعمال الأدبية والعلمية الممتازة .

ونستطيع ــ لمجرد المقارنة ــ أن نضع إلى جوار ذلك ماكان يلقاه رجال للعلم فى أوربا فى ظل الحكم الرومانى من ضغط الكنيسة مما حدا بنفر من

العلماء إلى الهجرة من الإمبراطورية الرومانية إلى سماحة الفكر الإسلامى واستقرارهم فى بعض المراكز كمدينة الرها .

ولم تكن النظرة إلى هذا التراث نظرة استعلاء ، وإنما هى حصاد لإيمانهم بالربانية والإنسانية . . إنهم جميعاً لله رب العالمين ، أبناء أب واحد وأم واحدة ، ومهما تعددت الطرق وغامت المسالك أو اتضحت فإن التراث العلمى هو ملك إنسانى شامل .

وعنى المسلمون بعد الترجمة بتصحيح ما استطاعوا من أخطاء وقع فيها من سبقوهم ، كما حدث فى مراجعاتهم لأبعاد الأرض ومحيطها ، وماقاموا به من تجارب علمية فى صحراء سنجار كانت أدق ما قام به العلم الإنسانى وقتئذ من دراسة لهذا الموضوع ، هذا إلى إضافاتهم إلى هذا التراث مع اعترافهم بفضل من قاموا به ، وما فى كتاباتهم من تقدير للمفكرين القدامى ..

هذا الانفتاح هو الذى حفظ التراث القديم — أكثر ماحفظ — من الضياع ليقدمه بعد هذا إلى الأجيال الجديدة من أبناء أوربا . .

وفى جامعاتنا الإسلامية ، وفى حلقات الدرس ، وفى دور الحكمة ، لم تكن هناك تفرقة بسبب اللون، أو الدين أو الوطن . ولنا أن نقول مع جوستاف ليبون : « لا نستطيع أن ندرك تأثير العرب على الغرب إلا إذا تصورنا حالة أوربا عندما أدخل العرب الحضارة إليها » .

ونستطيع أن نتابع دراسة هذه الخصائص منتقلين إلى خصائص أدق فى مجالات الحياة الفنية — على سبيل المثال — من التجريد والارتفاع بالنقطة والخط إلى مستوى من التعبير والدقة والنظام والتماسك . . . ثم البعد — فى كثير من المجالات — عن التصوير الإنسانى ، فاختفت بذلك من جدران الآثار الإسلامية عبادة الفرد وتمجيد بطولات حكام يأتى من وراءهم ليطمسوا ما فعلوا . .

وإنما الغالب فى الآثار الإسلامية الإضافة لا الحذف . وبخاصة فى المساجد ، فهى أولا وأخيراً بيوت الله .

ونستطيع أن نتتبع ملامح الحضارة الإسلامية فى كل أنحاء العالم .

ولكنى أود فى هذا الحديث أن أقف عند هذه النقاط الثلاث من الربانية والإنسانية ، والانفتاح ، لنتخذ منها المحاور الثلاثة التى يمكن أن نعتمد عليها فى مسيرة جديدة لتوحيد الفكر الإسلامى .

وينقلنا هذا إلى الحديث عن الوسائل بعد الحديث عن الخصائص والمحاور .

ثانياً — الوسائل :

١ — دائرة معارف إسلامية :

ونود هنا أن نسجل الجهد الكبير الذى قامت به المراكز العلمية فى الشرق والغرب من أجل هذا العمل الجبار . حقّاً هناك دائرة معارف إسلامية ضخمة ، وهناك مختصر لها . وقبل أن ينتهى عالمنا العربى من ترجمتها كانت طبعتها الثانية قد صدرت ، ولكن الذى أعنيه — مع الاستفادة الكاملة من هذا الجهد المبذول — أن تكون لنا دائرة معارف إسلامية ، نضع تخطيطها ، ويتعاون فيها العالم الإسلامى مع علماء الإسلاميات فى العالم ، ويستهدفون من عرضها إبراز هذه الأصول العريضة الواحدة التى قامت عليها حضارتنا وفكرنا . دائرة يكون توزيع الضوء فيها متوازناً على المواد وكتابة هذه المواد ، وتستهدف خطتها العامة إبراز « وحدة الفكر الإسلامى» وحدته فى شموله . وأن التنوع — فى إطار الوحدة — إنما هو مصدر قوة وإثراء .

وحبذا لو ارتبط هذا المشروع بمناسبتين كبيرتين :

الأولى — احتفال العالم الإسلامى بألفية الأزهر الشريف ، فتكون هذه

الدائرة هدية علماء الإسلام والإسلاميات إلى الفكر الإسلامى فى هذه المناسبة ، أو احتفالنا بمطلع القرن الخامس عشر الهجرى .

الثانية — ما نراه من تعاون الدول الإسلامية فى اجتماعات المؤتمر الإسلامى على مستويات القمة والوزراء المسئولين : الخارجية ، الاقتصاد ، والأوقاف والشئون الدينية . . وأقترح أن يتبنى المؤتمر الإسلامى — وله دورة قريبة — هذا المشروع بدءاً من حيث الفكرة ثم سيراً إلى التنفيذ بعد ذلك .

٢ — المؤتمرات الإسلامية العلمية :

ومما يعين على هذا أن تتعاون الدول الإسلامية على مستوى مؤتمراتها العلمية فى دراسة جوانب هذا الفكر — كل فى اختصاصه — وتخصص دورة لكل مجال من مجالات هذا الفكر ،لتكون عندنا حصيلة متكاملة فى هذا المجال ، نعنى فيها بأوجه الشبه وخطوط التعاون دون دخول فى التباين إلا من حيث هو مظهر حيوية وليس تناقضاً عدائياً .

جانب من هذا أشرت إليه فى بحث سابق عرضته فى الملتقى السابع للفكر الإسلامى الذى دعت إليه حكومة الجزائر فى يوليو ١٩٧٣ . والموضوعان متكاملان .

٣ — تعاون الجامعات الإسلامية :

ومن الممكن — بل من الواجب — أن يمتد التعاون إلى الجامعات بحيث تستهدف برامجها العلمية وأبحاث أساتذتها هذا الهدف الكريم .

أولاً : بالتعاون فيما بين الأساتذة المختصين فى فرع واحد .

ثانياً : فى استكمال أوجه النقص الإقليمى والموضوعى فى الدراسة .

ثالثاً : فى تدعيم تبادل الأساتذة والبحوث .

وأكتفي هنا بمثال واحد عن مدى معرفتنا بالمسلمين فى الشرق الأقصى . فنحن كثيراً ما نعنى بجوانب الفكر الإسلامى فى الشرق العربى والمغرب العربى دون أن نبذل جهوداً مكثفة فى تتبع أحوال الجاليات الإسلامية فى الشرق الأقصى . ماذا حدث لهم بعد سقوط بغداد فى أيدى التتار عام ٦٥٦ هـ ؟ ما تأثير هذا الحادث الضخم على تقلصات الوجود الإسلامى فى الشرق ؟ ما دورات الصراع بينهم وبين الصليبيين فى مياه المحيط الهندى والهادى ؟ ماهى الإمارات الإسلامية التى قامت ؟ وكيف كافحت ؟ وكيف سقط منها ما سقط وبقى منها ما بقى ؟

نواح كثيرة من النقص أحسست بها عندما اتصلت اتصالا مباشراً مع إخوة من علماء هذه الأقطار — على مستوى كريم من الأصالة العلمية وهم — وآسف حين أقول — معروفون فى دوائر غير إسلامية أكثر مما تعرفهم الدوائر العلمية الإسلامية . .

ولا أقصد بالمعرفة مجرد قراءة البحوث والاطلاع عليها ، وإنما أقصد المعرفة المباشرة والتفاعل المستمر فيما بين الجامعات عندهم وعندنا . . ومدى عنايتنا بما يبذلون من جهد أصيل فى ظروف علمية واجتماعية قاسية .

٤ — رجال الثقافة والإعلام :

وإذا كان الغالب على المقترحات الثلاثة الأولى الجانب العلمى والأكاديمى ، فإن هذه المفاهيم تحتاج إلى تغذية مستمرة . . إلى خبز يومى تتكفل به مجالات الثقافة والإعلام وهى متداخلة مع الوسائل الثلاث السابقة ولكنها — وفى الوقت نفسه — متداخلة فى حياة الأفراد اليومية : فيما يقرأ من صحيفة وجريدة وكتاب . . فيما يسمع من إذاعة . . فيما يرى فى الإذاعة المرئية والأفلام .

٥ ـ مجال الشباب :

وأختتم هذا المقال بوجوب عنايتنا بتركيز هذه المعانى فى شبابنا . . فتياناً وفتيات حتى ينشأ الجيل الجديد أعمق منا وعياً ، وأقدر على حمل الأمانة — وأكثر بعداً عن الرواسب الإقليمية والعصبيات المحلية . .

ونحن — مع التأليف الأكاديمى ومع الجهد الإعلامى والثقافى — علينا أن نكون مكتبة للشباب يكون من كتبها ما يعنى بوحدة الفكر الإسلامى ، كما يعنى بالخطوط العامة لوحدة الفكر الإنسانى ، وفى الوقت نفسه يعنى بإبراز شخصيته التى يعيش بها فى العالم : لا يذوب فيه ولا ينفصل عنه ، لا يعمل دونه ولا يتعالى عليه ، وإنما يحسن الأخذ والعطاء فى جو من الربانية والإنسانية والانفتاح .

ورقة عمل فى تنظيم ودعم الأنشطة الدينية *
بين مصر والسودان

* ألقيت ونوقشت فى الاجتماع الأول للجنة الوزارية العليا بين جمهورية السودان الديموقراطية وجمهورية مصر العربية. عقدت اجتماعاتها فى الإسكندرية أغسطس ١٩٧٤.

١ ـ مدخل تاريخى :

الأنشطة الدينية فى أرض النيل قديمة ومستمرة ومتواصلة . .

١ ـ ١ قديمة . . نستطيع أن نتتبعها منذ الحضارات الأولى التى قامت فى منابع النهر وسودانه ومصره .

١ ـ ٢ مستمرة . . لأن الحياة لم تنقطع فى هذه الأرض ، ولم ينقطع الوجود الدينى بأركانه الثلاثة الأساسية من الإيمان بالله والجزاء الأخروى والعمل الصالح فى الدنيا ، وإن اختلفت وتتابعت مظاهرها حتى جاء الإسلام مصدقاً لما بين يديه من الرسالات مؤمناً بكل نبى ورسول .

١ ـ ٣ متواصلة . . لأن أوجه الشبه فيما بينها ـ على امتداد النهر ـ أثبتتها البحوث العلمية المنصفة من العهد الفرعونى والحضارات التى عاصرته إلى العهد المسيحى إلى مجىء الإسلام .

وهذه الأبعاد الثلاثة من القدم والاستمرار والتواصل ، لا تقتصر على أرض النيل وحدها ، وإنما لها امتدادها إلى ما وراءها فى أجزاء غير صغيرة من آسيا وأفريقيا وجنوب أوربا .

فإذا ماجئنا اليوم لندرس جوانب من تنظيم ودعم الأنشطة الدينية على المستوى الإقليمى الذى نعمل فيه الآن ، كنا فى هذا صادقين مع التاريخ والواقع الذى نعيشه ، مستجيبين لحاجات متجددة تعين على رسم صورة مستقبلنا .

٢ - مدخل معاصر :

ومن ناحية أخرى . . اتجهت عناية الباحثين إلى الدراسات والأنشطة الدينية فى عالمنا المعاصر ، وارتبط هذا - أكثر ما ارتبط - بالبحث عن الذات ومقوماتها . واتخذت شعوب كثيرة - فى العالم الثالث بخاصة من الدين مصدر دفع إلى الأمام ورباطاً بين الماضى والحاضر والغد. نرى هذا فى الأقطار العربية وبقية أفريقيا ، كما نراه فى آسيا وأمريكا اللاتينية ، ومع تعدد الأديان فى هذه الأقطار ما بين الإسلام والمسيحية واليهودية والهندوكية والبوذية . . إلا أن الخط الذى ينتظمها جميعاً فى العالم المعاصر ،هو الاستمداد - أو محاولة الاستمداد - من الدين كمصدر للدفع القومى وكمقوم للحياة فيها .

ولا ينفى هذا أن هناك أقطاراً كبيرة انسلخت عن الفكر الدينى ، ثم بدأت قطاعات - فى بعضها - تعود إليه ، أو أن أقطاراً أخرى نأت عن الدين إلى مدى غير قليل فى حياتها اليومية . ولكنى فى هذه الورقة لست فى صدد البحث عن الصعيد العالمى ، ولا تقويم هذه التجارب فى أقطارها ، فليس ذلك - من الناحية الموضوعية والتنظيمية - بالذى يدخل فى أعمال هذه اللجنة الموقرة ، وإن اقتضت ضرورة الإشارة إليه من قريب .

والذى أردته من هذا المدخل إبراز أن هذه الأفكار مطروحة على الفكر العالمى المعاصر ، ولها مؤتمراتها ومؤلفاتها . وأكتفى فيها بالإشارة إلى البحث القيم عن « الدين » والذى جاء فى الجزء السادس الخاص بالقرن العشرين من كتاب تاريخ البشرية وهو من الأعمال الكبيرة لهيئة اليونسكو .

٣ ــ ماذا يستطيع الدين أن يقدم من عطاء ؟ :

والتضية المطروحة أكثر من غيرها : ماذا يستطيع الدين أن يقدم من عطاء للمجتمع ؟

ويرتبط بهذا السؤال ــ كهدف ــ سؤال آخر عن الوسيلة . كيف نربط بين الدين ومشكلات الحياة المعاصرة ؟ وبعبارة أخرى . كيف نقيم معبراً بين جوهر الدين وبين حياتنا المعاصرة ؟

وهذه القضية لها آفاقها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية ؛ والدين ــ فى كل هذه الآفاق ــ عصارة حية تمدها بنماء وخصب ، يمكن أن تبرز فى ثلاثة مجالات أساسية :

١ ــ إعطاء الفرد والمجتمع طاقة تدعو إلى مزيد من العمل والإبداع .
٢ ــ أن يحول بين الفرد والانحراف .
٣ ــ أن يحفظ المستوى الأخلاقى لأداء العمل .

هذه المجالات الثلاثة ــ بطبيعتها ــ متداخلة ، وإن غلب على الأول : زيادة حجم العمل والإنتاج ؛ والثانى : تكوين طبقة عازلة ــ إن صح هذا التعبير ــ بين الفرد والانحراف ؛ والثالث : تحدد المستوى الذى يتم به العمل إتقانا وإخلاصاً واستمراراً .

وإذا شئنا لها تشبيها من الكهرباء ، كان الأول : زيادة قوة التيار ، والثانى : صيانته ، والثالث : استمراره على المستوى المطلوب أداء العمل به :

٤ ــ الدين والتنمية :

وأمام الشعوب جميعاً قضية مطروحة هى قضية التنمية .

الأمم المتحدة لها عقد التنمية الأول فى الستينيات وعقدها الثانى فى السبعينيات . الدول الكبرى والصغرى لها خططها فى التنمية فى عصر أخذت

تتعقد فيه العلاقات بين الموارد المتاحة ـ ما كان منها متجدداً أو قابلا للنفاد ـ وبين حجم السكان . ثم ما ينتج من تفاعلهما من مشكلات ، أبرزها توزيع الموارد وتصنيعها وإعداد الكفايات العلمية القادرة على ذلك ، ثم الأخطار التى تتعرض لها البيئات ، ومن أهمها التلوث .

وأخذت هذه المشكلات تطرق أبواب الأمم ، وتدق نواقيس الخطر ، وتوقد المصابيح الحمراء فى المكاتب القيادية ، حتى أصبح رغيف الخبز ونسمة الهواء غير الملوث وكوب الماء النقى والمسكن الضرورى وقبس النار للإضاءة ومصدر الطاقة . . أصبحت هذه المشكلات تهدد حياة الإنسان فى كل من المجتمعات المتقدمة والنامية، مع اختلاف فى الدرجة والموقف. وأصبح البعد عن هذه القضايا المطروحة ، والتى تلح على الإنسان المعاصر عنيفاً ، نوعاً من الهروب من الواقع ومشكلاته يدين صاحبه ، وإن كان من رجال الدين .

واتجه الفكر الدينى المعاصر فى عدد من المجتمعات المتقدمة والنامية إلى العناية بالمضمون الاقتصادى والاجتماعى للدين ، وتخطى فى أوربا والعالم الجديد ـ على سبيل المثال ـ مرحلة كانت العناية فيها أكثر اتجاهاً إلى قضايا الربط بين العلم والدين ، ومن قبلها مرحلة كانت تعنى ـ أكثر ما تعنى ـ بالربط بين عالم الغيب والشهادة .

ومع أن المضمون الاقتصادى والاجتماعى أصيل فى الدين ، ونستطيع أن نجد نماذجه فى الربط بين الصلاة والزكاة فى الإسلام ، وبين الرزق والعقيدة فى قول الله تعالى مخاطباً قريش : « فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِى أَطْعَمَهُم مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُم مِن خَوْف » ، وكانت حروب الردة ضد من حاولوا التفريق بين الصلاة والزكاة ، وبعبارة أخرى بين العبادة والمضمون الاقتصادى والاجتماعى للدين ـ مع هذا كله فإن القضية تحتاج إلى مزيد من التركيز وإلقاء الضوء المنير على ربط الدين بالحياة عامة

وبهذه المضامين خاصة .

وصفوة القول أن الربط بين الدين والحياة اليومية وقضاياها ومشكلاتها أصبحت له الصدارة ، مع الإفادة من منجزات العلم الحديث فى دعم الإيمان بالله تعالى والربط بين الكلمة والسلوك العملى فى مجالات تنمية المجتمع .

٥ ـ الشباب :

وللشباب الآن قضايا وثورة . والقضية عالمية وإن اختلفت حدتها من قطر إلى قطر ، وتمثل فى قطاع كبير منه تمرداً على أوضاع قائمة ورفضاً لها ، دون أن تتضح أمامه معالم الجديد الذى يرغب فيه .

فالتمرد « على » وضع قائم ، أوضح فى ذهنه من الثورة « لأجل» مستقبل محدد. وما ينادى به الشباب وما برز فى الغرب من الحديث عن «الفجوة» بين الأجيال أصبح أمراً له انعكاساته وآثاره فى تطوير أكثر من مرفق من مرافق الحياة ، وبخاصة فى مجال التعليم والعلاقة بين سلطات المجتمع ،ومدى تمثيل الأجيال الجديدة فيها .

ومما يجدر تسجيله أن ثورات الشباب عندما بحثت عن « ملهم » أو فيلسوف اختارته شيخاً تمثلت فى كتاباته أشواقها . ورأت فى فلسفة الرفض أو « النبى » التى نادى بها ما تحدد به خطوطاً فى آمالها . من هنا جاء إقبال الشباب على مؤلفات وآراء هربرت ماركيوز الفيلسوف الأمريكى الموطن اليهودى النشأة . وأخذت آراؤه تحتل ــ عند قطاع كبير منهم فى الغرب ــ المكان الذى كان يحتله الفكر الماركسى .

وإذا كان لماركيوز نقده لكل من الماركسية والرأسمالية بأوضاعهما الراهنة وجوانب من أصولهما الفكرية ، فإن الذى أود الإشارة إليه فى هذه الورقة أنه استطاع أن يقدم هيكلا فكرياً وخطاً للتطور ،يقوم فيه كل من الشباب والأقليات المقهورة والعالم الثالث بدور إيجابى .

هذه أفكار يموج بها العالم المعاصر ، ويتأثر بها شباب الربع الأخير من القرن العشرين ، الذى ازدادت رحلاته — مهما تكن موارد رزقه وقدراته وهو يحاول أن يكتشف العالم لنفسه ، وأن يرى مناطق الحضارات القديمة ، والدول المتقدمة الحديثة . ونشطت بذلك السياحة الحرة الفقيرة ومعسكرات العمل وبيوت الشباب .

ومع كل هذه الأنشطة يزداد الاحتكاك الفكرى والحضارى ويعود الشباب إلى بلادهم بخبرات ومواقف فكرية جديدة .

ونحن — والحمدلله — فى موقف أفضل . .

فالأصالة الحضارية التى نستمدها من ديننا وتقاليدنا ، والسماحة التى تعودنا أن نعيشها ، والاحترام المتبادل بين أفراد الأسرة ، ووجود قضية مصيرية تدفع إلى بذل الجهد وحشد الطاقة ، وتحديد ملامح الطريق والتخطيط لمستقبلنا — كل أولئك يساعد على أن تكون القاعدة التى ينطلق منها شبابنا أكثر رسوخاً .

ولقد برهن شبابنا فى العاشر من رمضان على أصالته . . بالعلم والإيمان وخوض معركة فتحت عهداً جديداً من حياتنا ، تحمل فيه مسئوليتى التحرير والتعمير . ورأى شبابنا مجالات جديدة من التعاون على مستوى القيادة والمستويات الحكومية والسياسية والشعبية . وواجبنا أن نبلور معه ومن أجله تفاصيل ومناهج هذه المجالات ، وأن تتواكب إعادة صياغة الفكر الدينى ، مع المحافظة على جوهره — وهذا أساس ليس محل جدل — مع قدرته على الارتباط بالحاضر والاستجابة والتخطيط للمستقبل .

ومع وجود ميراث مشترك بين الأديان يتمثل أكثر ما يتمثل — فى الأصول الثلاثة التى سبقت الإشارة إليها : من الإيمان بالله والجزاء الأخروى والعمل الصالح ، وفى شمول العمل الصالح للناموس الأخلاقى الذى لا تقوم أية حياة فاضلة بغيره ، فإن لكل دين ، ولكل منطقة حضارية ، خصائصها التى تحتاج

إلى إعادة عرض فى ضوء الإخاء والسماحة، دون أن يكون تعدد الأديان فى أية أمة مدعاة إلى فرقة، بل داعياً إلى التعاون والوحدة الوطنية والسلام العادل.

٦ — من سلبيات الفكر الديني المعاصر :

وسط هذه التيارات يحتاج الفكر الدينى إلى تقويم لتحديد سلبياته وإيجابياته وسأبدأ أولا بتحديد جانب من السلبيات ، تليها إيجابيات هى بمثابة اقتراحات أو توصيات أعرضها على اللجنة الموقرة وسآخذ التطبيقات من الإسلام كنموذج لهذه الدراسة التى يمكن — إذا كانت محل قبول — أن تكون منطلقاً لتوسيع وتعميق . والقضية فيها — عمليًّا — لا تقتصر على الفكر الإسلامى ، وإنما لها نظائرها فى العالم الغربى .

٦ — ١ مذهب الرفض :

وقد عانى منه العمل الإسلامى فى أكثر من قطر مع ميل الشباب إلى الإسلام وحبه له وممارسته شعائره . قد يبدأ مذهب الرفض نوعاً من « الانعزال » عن تيار الحياة العام. وينطوى على نفسه أو على مجموعة صغيرة من الأصدقاء .. يصلّون معاً ، ويذاكرون معاً ويتريضون معاً ، ليصونوا أنفسهم من مفاسد المجتمع الذى يعيشون فيه .

ولو اقتصر الأمر على هذا لما كان فيه أى خطر .فالفكر والحوار الفكرى والعبادة والقدوة الصالحة خير . ولكل شاب أن يختار لنفسه أصدقاءه وكتبه ويربط نفسه بالنماذج الطيبة — ممن قدموا الخير للدين والدنيا .

ولكن قد يقع الشاب هنا تحت تأثير نظرة لا ترى من حوله إلا الفساد ، وتتجاهل جوانب الخير فى المجتمع ، وتكثر من الحديث عن الفساد وعن الانحلال ، وتزيد من حجم الخطأ ، وتملأ نفس الشاب بالمرارة . . ويحس الشاب شيئاً فشيئاً أنه يزداد عزلة عن تيار الحياة من حوله . وينتقل تحت تأثير هذه النظرة إلى مرحلة جديدة يقول فيها صاحبه الذى تولى التأثير عليه

« إن علينا أن نتخذ من المجتمع » موقفاً « يستهدف « تغيير » هذا الواقع . .

وقد وصل الأمر ببعض الشباب ، فى بعض الأقطار العربية والإسلامية ، إلى الانعزال الكامل — فكرياً — عن تيار الحياة من حولهم . وكتموا مافى نفوسهم حتى عن آبائهم وأساتذتهم وعلمائهم ، ورأوا فى هذا المجتمع « جاهلية » جديدة تحتاج إلى تغيير جذرى ، وإن هذا التغيير الجذرى فرض عليهم ينبغى أن يستخدم فيه أى سلاح ، ولو التآمر والقتل والتدمير . ومع تراكم هذا الاتجاه فى نفوسهم وانعزالهم واتخاذهم موقف العداء من المجتمع ، حدث أكثر من مرة — تفجرات — رأى فيها بعض الشباب — باسم الإسلام — أنهم المنقذون للدين ، «والمنفذون» لأوامر الله ، والمخلصون للمجتمع من شروره .

إن فكرة المنقذ أو المخلص قديمة فى الفكر الدينى ، وليست مقتصرة على الإسلام . وقد يرى بعض الذين يعتنقونها أنهم يستلهمون الوحى مباشرة من السماء ، أو من قراءة جديدة للنصوص الدينية ، أو من هواتف النفوس ، وأحياناً تنطلق فى المجتمع رصاصاً وخناجر ، وتترك بعد هذا طابعها الدامى على العمل الإسلامى ، وتدعو بعض الآباء والشباب إلى الإحجام عن النشاط الإسلامى ، لما قد يكون وراءه من مزالق وشبهات .

ونستطيع أن نجمع هذه الظواهر كلها تحت عنوان واحد نسميه « مذهب الرفض » ، وقلما يستطيع شبابنا أن يربط بين هذا الذى نراه فى عالمنا الإسلامى ، وبين الرفض باعتباره تياراً فكرياً ومعاصراً وعالمياً .

٦ — ٢ الفكر المثالى :

ويرتبط بمذهب الرفض الفكر المثالى الإسلامى . فلكى نبرهن على صلاحية الإسلام — وهو ذاته صالح — نحاول أن نصور الواقع الإسلامى فى عهود ازدهاره بصورة تقرب من الفكر الأسطورى وتنأى به عن الواقع . ونلجأ فى هذا إلى اختيار نماذج محدودة المدى من عصور ازدهار الإسلام دون أن

ننظر إلى المجتمع نظرة شاملة تبدو فيها قوى البناء وقوى الهدم متفاعلة فى وقت واحد .

ونحن لا نستطيع أن نتصور قوة إيمان المؤمنين وشدة مراسهم، إلا بقدر ما خاضوه من معارك ضد الكفر والنفاق ولو كانت هذه المعارك هزيلة لما كانت مجالا لبروز إيمان المؤمنين . وسعنى قوة هذه المعارك أن الكفر والنفاق كانا على درجة من القوة ينبغى أن يعمل لها حسابها . وهى موجودة فى مكة قبل الهجرة وبعدها ، وأن النفاق كان موجوداً فى المدينة وله أساليبه ومؤامراته . . وكأن الإسلام بهذا – من أجل إعلاء كلمة الحق – خاض معارك متتابعة تعاونت فيها القيادة والقاعدة من أجل تثبيت دعائم الإسلام وحمايتها ؟

وإن التأكيد على إيجابيات هذه المراحل من تاريخنا مع إغفال أو تهوين شأن السلبيات البشرية ، وهى جزء من الكيان الإنسانى والتاريخى يعطى الشباب صورة غير متوازنة وغير واقعية عن عهود ازدهار الإسلام .

ونتيجة تفاعل هذين العاملين – وأعنى بهما مذهب الرفض والفكر المثالى – تزداد الفجوة بين الشباب – بخاصة – والواقع . الماضى عنده فى غير صورته المتناسبة ، والحاضر عنده فى غير حجمه . ومع تشويه الماضى والحاضر – بالتكبير والتصغير – تضطرب مقاييس العمل . وقد ينتهى الأمر إلى « معاداة » الحاضر . وفرق كبير بين الرغبة الواعية فى الصعود به وبين معاداته ، فرق كبير بين الإصلاح والتدمير ، بين التطور المخطط والهدم ، بين النفس الطويل فى العمل والاندفاع الانتحارى .

٦ – ٣ الأخطاء المنهجية :

وتحاول بعض اتجاهات الفكر المعاصر تيسير هذا على الشباب بأن تبين أن التغيير يمكن أن يحدث عن طريق إصلاح دستورى . عن طريق المعارك الانتخابية والظفر بكراسى المجالس النيابية .. إلى هنا وهذا حق المواطن ،

ثم يتدرج الأمر بعد هذا إلى الرغبة فى السيطرة على الحكم بأية وسيلة. وإن الإصلاح الأخلاقى الفردى طويل ، وإن الهجرة إلى المدينة كانت أساساً للبحث عن قاعدة يحكم فيها الإسلام وتصير كلمته هى العليا . وكأن كل إصلاح هجرة. وكل داع إلى الإصلاح يبدأ من جاهلية وحوله أصنام مكة!!

ويأخذ الإلحاح الفكرى يدق على رأس الشباب ؛ ؛ فما دام الحكم هو أقرب السبل وأسرعها فليكن الاتجاه هو الاستيلاء على الحكم . . ويتحول الأمر إلى الرفض والتآمر المسلح . .

كل هذه وغيرها رءوس أقلام فى الحديث عن سلبيات التفكير الإسلامى المعاصر أود أن أربط بها أمرين :

٦ — ٤ اللامبالاة :

وهى نقيض الموقف السابق الذى يجمع بين الرفض والفكر المتعالى : واللامبالاة أسلوب فى الرفض السلبى الذى يحس فيه الشاب بأن عليه أن يعنى بذاته فقط . هو مركز الدائرة ومحيطها . وفى اتجاهات الشباب العالمية — ما قد يشجع على ذلك . وعلى امتداد الخط ما بين قاعدة الالتزام الواعى الإيجابى ، واللامبالاة السلبية فى ناحية ، والرفض فى ناحية أخرى ، نجد مواقف كثيرة . وعلينا أن نزيد من تركيز التوجيه الدينى الواعى على هدى وبصيرة متعاونين من أجل إقامة مجتمع العلم والإيمان .

٦ — ٥ . . غياب الحوار ومكتبة الشباب الإسلامى :

ونحن حتى الآن لم نقم على مستوى قومى باستفتاء علمى للشباب عن الإنتاج العلمى الإسلامى ونسأله :

— ماذا يريد منا ؟

— هل الذى كتبه له هو الذى يريده ؟

— هل إذاعاتنا المسموعة والمرئية ملائمة له ؟

— هل كتب الدين فى مدارسنا حبيبة إلى قلبه قريبة من عقله ؟

– هل يعود إليها بعد انتهاء العام ويحتفظ فى مكتبه بها ؟
– هل خطب الجمعة ملائمة له من حيث الموضوع والمستوى ؟

وسيرتبط بهذا إعداد رجل الدين نفسه. ذلك الذى يستطيع أن يقوم بكل هذه المسئوليات. وإعادة النظر فى البرامج والمناهج وخطط الدراسة على مستوى إعداد رجال الدين ومستوى الكليات والمدارس .

وفى غياب هذا التواصل المستمر –أو على الأقل عدم انتظامه ومنهجيته علينا أن نتحمل مع الأجيال الجديدة ، وأن نحدد مسئولياتها علينا .

وهذا يقودنا إلى دراسة :

٧ – إيجابية الفكر الدينى المعاصر :

« مقترحات بتوصيات » :

٧ – ١ . . الهياكل الإدارية والوحدة الوطنية . .

وأول ما يقترح البدء به هو تنظيم التعاون بين الهياكل الإدارية العاملة فى الحقل الدينى على الصعيد الوطنى ومجالات تعاونها الداخلية والخارجية.

إن الدين يدعو إلى الإيمان بالله والإخاء بين الناس. وأبرز مظاهر الإخاء أن يكون الدين سنداً قوياً للوحدة الوطنية .

وهناك مجالات مشتركة فى العمل الدينى على صعيد الوحدة الوطنية. وكانت لنا تجربة قريبة فى مصر فى صيف ١٩٧٣ عندما دعا الرئيس محمد أنور السادات إلى دراسة المتغيرات العالمية وتأثيرها على أوضاعنا الداخلية والخارجية . وقدمت وقتئذ إلى الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكى العربى ، وبتكليف منها ، ورقة عن الدين فى عالم متغير ، وقام بمناقشتها زملاء من رجال الدين الإسلامى والمسيحى فى لقاءين أولهما فى الإسكندرية والثانى فى القاهرة .

هذا مجرد مثال سبقته ولحقت به أمثلة أخرى . . فى المؤتمرات الدولية الإسلامية والمسيحية تبدو مظاهر هذا التعاون تؤكد الوحدة الوطنية والسماحة

التى نرتوى منها كما ترتوى من ماء النيل ؟

وهناك فى خريف (١٩٧٤) مؤتمرات مشتركة إسلامية مسيحية ستنعقد فى أوربا ، وستحضرها بإذن الله وفود مشتركة إسلامية ومسيحية من مصر.

فالتعاون قائم على الصعيدين المحلى والعالمي . والحوار أصبح فى عالمنا المعاصر صيغة واسعة الانتشار لا يقف عند أوجه التباين ، وإنما يعنى — أساساً — بأوجه الشبه والتعاون ويحاول دعمها .

ومن المنطقى أن تكون الهياكل الإدارية على المستوى الوطنى متلائمة مع هذه الأهداف النبيلة .

وأقترح فى هذا الموضوع أن تصدر عن اللجنة الموقرة التوصية الآتية : توصى اللجنة بتنظيم الهياكل الإدارية الدينية على المستوى الوطنى بما يزيد من دعم الوحدة الوطنية وتيسير التعاون الفكرى على الصعيد المحلى والإقليمى العالمى »

وأتصور لجنة فرعية منبثقة من هذه اللجنة الموقرة تنسق التعاون بين القطرين ، وتتعاون فى كل قطر مع الوزير المسئول عن الوحدة .

نحن — عملياً — فى حاجة إلى هذه اللقاءات النوعية لتغطى مجالات التعاون جميعاً فى خطة قصيرة ، وأخرى خمسية إلى عام ١٩٨٠ سيراً إلى تخطيط طويل يعين على رسم خريطة المستقبل ، ولعل تقريراً سنوياً يصدر عن هذه اللجنة الموقرة يغطى هذه الأنشطة كافة ، ويكون عوناً على المتابعة والتنمية .

٧ — ٢ الحوار مع الشباب :

وهذا مجال واسع من مجالات العمل ، ويستطيع هذا الحوار أن يقابل السلبيات بالتواصل الخصب .يقابل الرفض والتفكير المثالى والأخطاء المنهجية واللامبالاة .

وهذا الحوار له مجالات متعددة : فى المدرسة ، فى الكلية ، فى المسجد فى الكنيسة فى الاتحاد الاشتراكى ، فى التجمعات الجماهيرية ، فى أجهزة الإعلام.

وسيلتنا إليه : اللقاءات المتدرجة على مستويات المسئولية المتتابعة ، وقياس الرأى العام قياساً سليما يقودنا إلى تحديد اتجاهات ورغبات ومشكلات الشباب . بحيث تكون خطواتنا نابعة نبعاً صادقاً من مصادر الدين ومن حاجات الشباب فى الوقت نفسه .

وفى هذا أقترح التوصية الآتية :

« عمل دراسات علمية عن اتجاهات الفكر الدينى قائمة على استبيانات ودراسات ميدانية تمهيداً لمراجعة التوجيه الدينى من حيث الأساليب والمضمون والأهداف دعماً لجوهر الدين وربطاً بينه وبين الأجيال الجديدة».

٧ـ٣ . . المكتبات الدينية :

وأقصد بها المكتبات المتدرجة مع مراحل السن المتتابعة . . من الطفولة إلى الفتوة والشباب . . والنضج والتخصص .

وأود أن أضرب مثالا :

لو جاءنى شاب مسلم وطلب منى تحديد عشرة كتب متكاملة متوسطة الحجم سهلة العبارة معتدلة الثمن ، تعطيه صورة شاملة للفكر الإسلامى فماذا تكون إجابتى ؟

فلنبدأ بهذا النوع من التأليف المتكامل. وقد قدمت هذا الاقتراح إلى مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف بعد توجيه من الرئيس محمد أنور السادات بتنظيم العمل الدينى فى مصر . والموضوع محل دراسة وسيطرح فى مسابقة عالمية .

ولكن هل نحن فى حاجة إلى سلسلة واحدة ؟ أو مرحلة سن واحدة ؟ وأطفالنا ماذا يقرءون ؟ وماذا يسمعون ؟ أين كتبهم الدينية الجميلة ؟

أين أغانيهم التى تجمع بين الإيمان بالله والثقة فى المستقبل والتفاؤل والعمل من أجل الوطن ؟

أين أغانى العمال القائمة على تمجيد الإيمان والعمل ؟

ومكتبة خريج الجامعة التى تقرب إليه المعرفة بدينه دون إرهاق لميزانيته، ودوائر المعارف الميسرة المبسطة . .

هذا مجال واسع من مجالات التعاون بين مصر والسودان ، وقد درس المؤتمر الإسلامى جانباً من ذلك . . ونحن فى حاجة إلى تخطيط مكتبة إسلامية . ولنركز فى هذه المرحلة على الأطفال والشباب . ولا شك فى أن التعرف على الجهود المبذولة فى هذا المجال على الصعيد العالمى توفر كثيراً من الجهد وتختصر الطريق .

وأقترح أن تصدر اللجنة الموقرة التوصية الآتية :

تكوين لجنة تخطط لوضع المكتبات الدينية الملائمة لمراحل السن والبيئات المتنوعة مع عناية خاصة بالأطفال والشباب ، وتوثيق التعاون بين أجهزة الإعلام المسموعة والمرئية فى هذا المجال دعماً للإيمان بالله والسماحة والأخوة».

٧ — ٤ . . تبادل الزيارات :

تشجيع تبادل الزيارات بين العلماء والباحثين والشباب بين مصر والسودان ، وعقد ندوات علمية لدراسات مفصلة عن العلاقة بين الدين والمجتمع ولهذه الندوات نظائر فى العالم العربى وأوربا وأمريكا . . وتقدم توصيات هذه اللقاءات لتكون تحت نظرة هذه اللجنة الموقرة أو اللجنة الفرعية المختصة إذا ما أنشأتها ، ويمكن أن يصدر بهذا المضمون توصية من اللجنة بذلك .

الإسكندرية فى ٥ أغسطس ١٩٧٤

مؤتمر قرطبة *

* دعت جمعية الصداقة الإسلامية المسيحية بمدريد إلى عقد أول مؤتمر إسلامى مسيحى بمدينة قرطبة فى جنوب إسبانيا فى الفترة من ١٠ إلى ١٥ سبتمبر ١٩٧٤ .

وفى الجلسة الافتتاحية ألقيت الرسالة الموجهة من السيد الرئيس محمد أنور السادات إلى المؤتمر .

وقد ألقى البحث التالى فى ثانى أيام انعقاد المؤتمر ، كما ألقيت كلمة الشكر فى ختام الجلسات ، وفيها صدر بيان قرطبة عن المؤتمر .

ومن الجدير بالذكر أنه فى خلال انعقاد المؤتمر فتح مسجد قرطبة الكبير لأداء صلاة الجمعة فى ١٣/٩/١٩٧٤ .

رسالة من الرئيس محمد أنور السادات

رئيس جمهورية مصر العربية

إلى المؤتمر الإسلامى المسيحى بقرطبة

١٠ – ١٥ سبتمبر ١٩٧٤ (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة . . :

يسعدنى أن أبعث باسمى وباسم شعب جمهورية مصر العربية بخالص التحية إلى مؤتمركم الموقر ، وتحية إلى إسبانيا رئيساً وحكومة وشعباً على استضافتها له ، وإلى العالمين الإسلامى والمسيحى ممثلين فيكم ، وأنتم تلتقون من أجل فهم أوسع وتعاون أفضل .

وفى عالمنا هذا الذى يزداد فيه اتصال الشعوب والأديان والحضارات ، استطاع العلم فيه أن يزيل حواجز العزلة الإقليمية . ووصلت رحلات الإنسان فيه إلى الفضاء الخارجى ، نجد أنفسنا فى حاجة إلى رحلات أخرى فى داخل عقولنا وقلوبنا ، نكشف فيها آفاقا جديدة رحبة من السماحة والأخوة ويفهم من خلالها – كل منا – ما عند أخيه. والفهم أول طريق السلام .

هذا التعاون من أجل الفهم والسلام يد مبسوطة بالمعرفة والحب الكبير الذى لا يعرف الكراهية والحقد . ويتطلع إلى إخاء عالمى يربط الأرض بالسماء ، والإنسان بالإنسان ، والعبادة بالسماحة ، والكلمة الطيبة بالعمل الطيب . والشعوب المتقدمة بالشعوب النامية ، ومناطق الوفرة بمناطق الحاجة

---

(١) تليت فى حفل الافتتاح صباح العاشر من سبتمبر ١٩٧٤ .

ولقد دعا نبينا محمد كما دعا المسيح ومن سبقهما من الأنبياء ، عليهم جميعاً من الله صلاة وسلام، إلى الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح؛ وإذا كان لأهل كل دين عقائدهم وأساليبهم فى الإيمان ، في ظل من الحرية الدينية ، فإن علينا كمجتمع إنسانى كبير أن يكون لنا أسلوبنا المتقارب ثم الموحد فى العمل الصالح من أجل الإنسان ومستقبله .

ونحن فى مصر وفى عالمنا العربى والإسلامى ، تفتحت أعيننا على السماحة والأخوة ، هما عندنا من أمر الدين وأسلوب الحياة . فى بلادنا ترتفع المآذن وأبراج الكنائس ويلتقى الشيخ بالقس . ويتلقى أبناؤنا العلم فى المدارس والجامعات من أساتذتهم مسلمين ومسيحيين فى ظل وحدة وطنية ومحبة ، ويخوضون المعارك معاً من أجل استرداد أرضهم المغتصبة والحقوق المشروعة لشعب فلسطين وعروبة القدس الشريف . ويقدمون أرواحهم فى ساحة الشرف ، وتمتزج على أرضها دماؤهم . . . تعرف عيونهم دمعة الحزن النبيلة على شهيد ، وفرحة النصر بما حققوا من إنجازات فى معارك التحرير والتعمير ولهم فى المؤتمرات الدولية إسلامية ومسيحية وعالمية صوت واحد: هو إدانة الظلم حيث كان ، والوقوف إلى جوار الحق والعمل الدائب من أجل السلام القائم على العدل .

أيها الإخوة . .

لقد عانت بعض أجزاء العالم الإسلامى والمسيحى قروناً من سوء الفهم وتربية الأجيال الجديدة عليه . وتلك صفحات نرجو جميعاً مخلصين أن تختفى آثارها من برامج التعليم ووسائل الإعلام ومجالات الحياة اليومية . وبهذا نستطيع أن نتخذ من آلام الماضى وصراعاته عملا يحفظ للأرواح نقاءها ، وللعقول سعة آفاقها ، ويزكى فى نفوس الأبناء على المستوى المحلى ، وحدة وطنية، وعلى المستوى العالمى إخاء إنسانياً . ، وما أشد حاجة

الشباب فى هذا العصر الملىء بالشك والقلق إلى أن ينهض رجال الدين بتجلية جوهر الإيمان بالله .

أيها الإخوة . . :

حياكم الله فى لقائكم ، ورعاكم برعايته ، وأدعوه أن يجعل خطواتكم سلاماً ولقاءكم سلاماً وقراراتكم سلاماً .

محمد أنور السادات

تقديم إسلامى للمسيحية

فى صورة تمكّن المسيحى من رؤية نفسه فيها

أيها الإخوة :

يسعدنى أن أضم صوتى إلى أصوات طيبة سبقت إلى هذا المنبر ، وأصوات تنتظر لتقدم الشكر الخالص لإسبانيا رئيساً وحكومة وشعباً ، ولكنيستكم وجمعيتكم الموقرة ، ولقرطبة العريقة ، ولجهازها الإدارى وشعبها الطيب ، أن أتحتم لنا فرصة هذا المؤتمر الذى جاء خطوة فى مرحلة جديدة من مراحل اللقاء بين الإسلام والمسيحية :

هنا على المنبر الواحد يتعاقب مسلمون ومسيحيون . يتحدث المسلم عن المسيحية والمسيحى عن الإسلام. والاثنان عن مجالات التعاون . وأصبح الحوار يدور حول: فيم نتفق ؟وكيف نوسع أراضى اللقاء ؟. . أما ما نختلف فيه فلا أطلب منك ، ولا تطلب منى ، إلا أن أفهمك وتفهمنى ، وأسمع منك وتستمع إلىّ ، دون إكراه فى الدين . . توسيعاً لدائرة الفهم والاتفاق .

إن التركيز فى لقائنا هذا على ما يمكن أن نسميه « تقديماً متبادلا

للإسلام والمسيحية ،ودعماً لمجالات التعاون فيما بيننا » . لجأ فيه كل منا إلى كتب أخيه يقضى معها وقتاً ، ويزداد فيها تأملا وتعمقاً . . واسترجع تجاربه ، وأعد عقله وقلبه لمزيد من الصداقة والمحبة والتعاون السمح ، الذى لا يتجه إلى عداوة ، ولا يستهدف إلا الحق والسلام القائم على العدل .

أيها الإخوة :

لقد جئت إليكم من أرض السلام والمحبة . . من مصر . . مصر المؤمنة التى دأبت من أقدم عصور حياتها على أن تتخذ إلى الله سبيلا .

ومنذ أيام ، وقبل حضورى إلى مؤتمركم ، كنت فى صعيد مصر ، أشهد بعض أحفالنا الإسلامية ، وهى أحفال يشارك فيها الإخوة المسيحيون بالحضور ، يؤكدون وحدتنا الوطنية وإيماننا العميق . وزرت بعض الآثار المصرية القديمة هناك ،ورأيت كيف تمثلت فيها الأركان الثلاثة الأساسية فى الدين : إيمان بالله وبالجزاء الأخروى ، وعمل صالح فى هذه الحياة . وأخذت أستعيد أحداث التاريخ ، وكيف استقبلت مصر المسيح طفلا — كما جاء فى إنجيل متى — وحفظ المصريون مسيرة العائلة المقدسة : فى سيناء وشرق الدلتا ووسطها وغربيها وعند رأسها وفى صعيد مصر . وفى كل مكان نزلت فيه أقاموا كنيسة ، ظل لها توقيرها واحترامها وحياتها بإقامة الشعائر فيها .

ودخلت المسيحية مصر ، وحافظت كنيستها على تراثها وعقيدتها ، وتحملت فى سبيل ذلك ما سجله تاريخنا .

وجاء الإسلام فاستقبلته مصر استقبالا كريماً ، وأشاع روح السماحة والإخاء ، وتعايش الإسلام فيها مع المسيحية ، ومرت قرون وقرون . . ومصر — وذلك من فضل الله علينا وعلى الناس — تقدم نموذج الإخاء والمحبة الذى تحاول جاهدة أن تزيل ما يعلق به من غبار الحياة ، وما قد يحاول حجب ضوئه من تصرفات لا يلبث تيار السماحة أن يزيلها ، كما يزيل

النيل عقبات مجراه . ويلتقى الكل حول سماحتهم كما يلتقون على ضفاف نهرهم . الإيمان غذاء لأرواحهم ومدد لوجودهم ، والنيل شريان حياتهم وبه تخضر الأرض وتزدهر . وكما أقاموا سداً عالياً ينظم ماءه عند أسوان، أقاموا سداً عالياً من السماحة والمحبة فى كل قلب،تسير به الحياة وتتدفق .

وحتى فى ظل الإسلام تعاقب فى مصر أهل السنة والشيعة . . ولكن مصر اتخذت الموقف الذى يجمع بين الاتباع الأصيل للقرآن وسنة النبى عليه الصلاة والسلام ، والحب العميق لأهل بيت النبى ، رضى الله عنهم .

هذا أسلوب الحياة فى أرض عشت فيها . . فعندما أكتب عن سماحة الدين وعن الإخاء ، فإنما أكتب عن جو عشت فيه ومارسته وآمنت بثمراته الطيبة .

من أجل ذلك أحس بأن كل دعوة إلى التعاون والمحبة إنما تنبع نبعاً صادقاً من مصدر كريم يروى أرضاً نبت من ثراها ، وجاهدت من أجلها كما جاهد الملايين عبر القرون .

ولا أستطيع من موقفى هذا إلا أن أذكر أروع مظاهر الإخاء الوطنى فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ (رمضان ١٣٩٣ ﻫ) ، عندما وقف أبناء مصر والوطن العربى – من مسلمين ومسيحيين – يدافعون عن الأرض وعن التاريخ وعن الحاضر وعن المستقبل . . ولم تكن قواتهم تمتد إلى جبهة القناة أو الجولان أو داخل فلسطين العزيزة فقط ، وإنما كانت تمتد على جبهة حضارية يزيد عمقها على سبعين قرناً من التاريخ المتصل :

وإذا كنا قد أودعنا ثرى أرضنا شهداءنا الأعزاء . . وامتزجت على أرض معركة الشرف دماؤهم الزكية ، فإننا لنرجو أن يتحقق من وراء الجهد الغالى سلام نادى به محمد كما نادى به من قبل عيسى عليهما السلام ، ودعا إليه كل نبي ورسول ، سلام نقرؤه فى دعاء النبي محمد

صلى الله عليه وسلم ، مناجياً ربه :

« اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، وإليك السلام ، فحيّنا ربنا بالسلام » ، ونقرؤه فى الإنجيل يترنم به الرعاة وتردده الأجيال من بعدهم:

« المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة »

أيها الإخوة :

هذا هو الجو النفسى والحضارى الذى نعيش به فى ديارنا ، والذى جئنا إليكم به. وحينما أتحدث إليكم عن تقديم إسلامى للمسيحية بصورة تمكّن المسيحى من رؤية نفسه فيها . . أجد نفسى على مفرق طريقين :

الأول : طريق ألجأ فيه إلى أقوال الشراح ، وكبار رجال الدين ، بدءاً من تفسيرات وإضافات القديس بولس إلى توماس الإكوينى والقديس أوغسطين ، إلى بارث وتمبل ونيبوهر ، وأن أعرض لجوانب الدين وقواعد ما وراء الدين .

وقد يحس المستمع أو القارئ الذى نود أن ننقل إليه البساطة والسماحة أننا سرنا به فى دروب وعرة المرتقى . نعم ، هى دروب علمية ومنهجية ، ولكنى أحس أننا — عملياً — بحاجة إلى أن نزداد اقتراباً من المواطن غير المتخصص ونقيم معبراً رحباً محبباً بينه وبين الدين .

الثانى : وهو الطريق الذى أجده قريب المنال فى الإنجيل والقرآن . وما أثر عن محمد وعيسى عليهما وعلى جميع الأنبياء صلاة وسلام . الطريق الذى أقنع الصياد وراعى الغنم ، واجتذب العشّار وتاجر القوافل . . واستجابت له الخاطئة فتابت . . وسارت على خطوات الأنبياء . . الطريق الذى يقرب الدين إلى الطفل ويفتح له ملكوت السموات ؟

وآثرت الطريق الثانى . . رأيت أن أجعله رسالة أكتبها إلى الجيل الجديد من الشباب المسيحى محاولا أن يرى نفسه فيها .

الرسالة

أيها الأعزاء :

يكتب إليكم هذه الرسالة مسلم يأمره دينه بأن يؤمن بجميع الأنبياء والمرسلين ، ويؤمن بنبوة محمد كما يؤمن بنبوة عيسى ، ومن سبقهما من الأنبياء والمرسلين ، عليهم جميعاً من الله صلاة وسلام ، ويتقرب إلى الله بمدحهم ، ويقرأ فى القرآن الكريم عن مريم العذراء الطاهرة قول الله :

« وَإِذْ قَالَتِ المَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ العَالَمِينَ . يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ » (آل عمران : ٤٢ و ٤٣) .

وفى السورة نفسها نقرأ خطاب الله تعالى لمريم عن عيسى عليه السلام :

« إِذْ قَالَتِ المَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ المُقَرَّبِينَ . وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي المَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ » . (آل عمران : ٤٥ — ٤٦) .

ويقرأ عن محمد عليه الصلاة والسلام :

« لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حسنة لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً » (الأحزاب : ٢١) .

ويؤمن أن الأنبياء إخوة ، وأنهم أمة واحدة ، وأن الله بعد أن قص علينا قصصهم فى سورة الأنبياء قال مخاطباً رسوله :

« إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ » (الأنبياء : ٩٢) .

ويؤمن أن محمداً ، عليه الصلاة والسلام ، فى ليلة الإسراء والمعراج التقى بالأنبياء ، وجمعتهم الصلاة ، ورآهم فى ليلة طوى الله فيها الزمان والمكان، وأرانا مظاهر الإخاء بين الأنبياء لنتعلم منهم دروس الإخاء والمحبة.

هذا — يابنى — شيء عن الذى يتحدث إليك عن نفسك، ويحاول أن يقدم إليك صورة من دينك ترى نفسك فيها .. فلننظر معاً إلى هذه الصورة لنرى أهم ملامحها :

— ١ —

إن عيسى عليه السلام جاء مصدقاً لما بين يديه من التوراة ، معترفاً بحق من سبقه من الأنبياء والمرسلين . وأشاع بهذا روح المحبة والإخاء قائلا «لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس والأنبياء . ما جئت لأنقض بل لأكمل (متى : ٥ — ١٧) .

ويصور نبينا محمد عليه الصلاة والسلام هذا الإكمال بمثال محسوس فيقول :

« مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » (رواه مسلم عن أبى هريرة) .

ونستطيع أن نسمى هذا : البعد التاريخى، أو الامتداد التاريخى للدعوة إلى الله .

— ٢ —

إن المسيح دعا إلى حب الله وحب الناس . . وعندما سئل :

* يا معلم أية وصية هى العظمى فى الناموس ؟

فقال يسوع : تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك . هذه هى الوصية الأولى والعظمى . والثانية مثلها : تحب قريبك كنفسك . بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء (متى : ٢٢: ٢٦ – ٣٩) .

وأنت ترى الوجود كله يقوم على الحب وعلى التجاذب . . عد إلى الذرة . . هناك تجاذب بين الإلكترون والبروتون . . وانظر إلى الكون تره كأنه ذرة كبيرة . . ولك أن تقول إن الذرة كون صغير . . وحدة الخلق فى الذرة والأكوان الضخمة . عد إلى الأسرة إنها تقوم على الحب بين الأب والأم والأبناء . . إن التجاذب بينهم هو الذى يحمى البيت من الانهيار .

ولك أن تقول إن هذا هو البعد العاطفى أو القلبى فى الدعوة إلى الله . وكما رأيته فى حب يملأ قلبك لله ، تراه فى حب للناس يتناسقون به مع نظام الوجود كله . ولك أن تقرأ مع هذا وصف الله تعالى لما بينه وبين المؤمنين :

« يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ » (المائدة : ٥٤) .

ويترجم الرسول بأمر الله هذا الحب إلى نظام فى الحياة :

« قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ » (آل عمران : ٣١) .

— ٣ —

إن المسيح — عليه السلام — عندما دعا إلى حب الناس عاد إلى أخوة إنسانية شاملة وعندما كره الشر إنما كرهه فى نفوس الناس وحاربه فيها فإذا خرج الشر حل محله الحب والخير .

من أجل ذلك جالس العصاة والمذنبين والخاطئين ، وأجاب عندما

اعترض الكتبة والفريسيون على ذلك بقوله :

« لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى . لم آت لأدعو أبراراً ، بل خطاة إلى التوبة » (لوقا ٣١و٣٢) .

واستمع إلى قول الله تعالى فى القرآن الكريم :

« قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (الزمر : ٥٣) .

ودعا الله نبيه محمداً عليه الصلاة والسلام إلى العناية بالفقراء والضعفاء . . وهو فى حياته عرف اليتم والفقر وخاطبه الله قائلا :

« وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا » (الكهف : ٢٧) .

ونستطيع القول إن هذا هو البعد الإنسانى فى الدعوة إلى الله .

الإنسان . . كل إنسان . . أى إنسان . . تتجه إليه كلمة الله كما يرى أمامه نور الشمس، وكما يرى الزهر والثمر . والسماء التى ينزل منها الوحي فتحيا به القلوب، ينزل منها المطر فتحيا به الأرض بعد موتها.

— ٤ —

وربط المسيح بين الكلمة والعمل : الكلمة ينبغى أن نكون ولوداً لا عقيماً . كلمة الحق هى أغلى ما أعطانا الله . . بها تحركت الإنسانية فى مسارها .

وما أهم ما بين يديك من المسيح الآن ؟ كلمات الإنجيل .

وأخوك المسلم ما أغلى ما عنده ؟ كلمات القرآن . ونحن فى لقائنا هذا كيف نتفاهم ؟ كلمات نحاول أن نترجمها إلى عمل صالح.

وعندما تكلم المسيح ربط بين القول والعمل . . وعندما جاء أورشليم ودخل الهيكل قلب موائد الصيارفة وكراسى باعة الحمام وقال لهم : « مكتوب بيتى بيت الصلاة يدعى . وأنتم جعلتموه مغارة لصوص . . وتقدم إليه عمى وعرج فى الهيكل فشفاهم » (متى ٢١و٢٣و٢٥) .

فاليد التى تمتد لتقلب كراسى باعة الحمام وموائد الصيارفة تربط بين الكلمة والعمل ، وتطهر الهيكل من اللصوص ، وتمتد فى الوقت نفسه حانية شافية الأعمى والأعرج .

واشتد بقوله على الذين يفصلون بين الكلمة والفعل . . والذين يقولون قولا ويفعلون غيره فقال : « ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم مثل القبور المختفية ، والذين يمشون عليها لا يعلمون » (لوقا : ١١ — ٤٤) .

« وويل لكم أيها الناموسيون لأنكم تحملون الناس أحمالا عسرة الحمل وأنتم لا تمسون الأحمال بإحدى أصابعكم » (لوقا : ١١ — ٤٥) .

هذا بعد أن وصفهم بأنهم يحبون المجلس الأول فى المجامع والتحيات فى الأسواق (لوقا : ١١ — ٤٣) .

ونجد التحذير من هؤلاء بصفاتهم واضحًا فى إنجيل مرقس (١٢ : ٣٨ : ٤٠) :

« تحرزوا من الكتبة الذين يرغبون المشى بالطيالسة والتحيات فى الأسواق والمجالس الأولى فى المجامع والمتكآت الأولى فى الولائم . الذين يأكلون بيوت الأرامل ولعلة يطيلون الصلوات . هؤلاء يأخذون دينونة أعظم » .

وانظر إلى تحذير الله للمؤمنين من الفصل بين القول والعمل فى القرآن الكريم :

« يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ ؟

كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ » (الصف : ٢-٣) :
وقال تعالى واصفاً المنافقين الذين يقولون ما لا يفعلون :
«وَإِذَا لَقُوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خَلَوْا إلى شياطينهم قالوا إنَّا معكم إنما نَحنُ مستَهزئون . الله يَستهزئ بهم ويَمدُّهُم فى طُغْيَانهم يَعْمَهون . أولئك الذين اشتروا الضَّلالة بالهدى فما رَبِحَت تِجَارتهم وما كانوا مُهتَدين » (البقرة : ١٤ – ١٦) .

ولك أن تسأل :

لماذا عنى المسيح عليه السلام بالكلمة . . الكلمة الولود المثمرة عملا صالحاً ؟ ولماذا عنى بها القرآن الكريم ؟

وستجد أن هذه القضية من أهم ما يقابل أى حق من عقبات . . وراجع بنفسك الحجم والقوة التى تصدر بها قرارات تتعلق بحقوق شعوب فى الأمم المتحدة والمؤتمرات الدولية . وانظر إلى الترجمة العملية لهذه القرارات . . ألسنا نسمع عن قرارات حق يقولون عنها إنها قصاصة ورق ! أو لا تساوى المداد الذى كتبت به ؟ !

ونحن فى مرحلتنا هذه علينا أن نقى قراراتنا من خطر الانفصام بين الكلمة والعمل . بل إن أهم التوصيات التى يمكن أن نخرج بها من مؤتمراتنا فيما أتصور : أننا نقرر استمرارنا فى التعاون ، فلا ينقطع ، ومتابعتنا له لنرى ما الذى حققناه مما قلناه . وماذا نستطيع أن نضيفه إليه فى كل لقاء . . ومدى قدرتنا – ونحن جميعاً نعمل فى الحقل الدينى الكبير – الحقل الذى شرف بالأنبياء والوحى – على أن تحول الكلمة إلى عمل ، وأن نتصدى بإيمان وثقة لقضايانا .

وأكتفى بأمثلة محدودة :

١ – نحن نتكلم عن التسامح والإخاء . . فهل نستطيع – وأرجو أن نأخذ هذه التوصية بأن نقوم بتأليف كتب إسلامية مسيحية مشتركة

لتأكيد الإيمان بالله دون دخول فى تفاصيل العقائد : : الإيمان بالله الواحد ؟

٢ ــ هل نستطيع أن ننشر مخطوطاتنا فأريك ما عندى ، وتريني ما عندك ، ونعرض العلم للنور ، ويستطيع رجل الدين الإسلامى أن يقضى فترة باحثًا فى دير ، وأن يقضي رجل الدين المسيحى فترة باحثًا فى مكتبة إسلامية ، عاكفًا على نص أو محققًا وثيقة ؟

٣ ــ هل نستطيع أن نخطط لتلاقى أبنائنا وعلمائنا تحت مظلة السماحة فى ندوات أو مؤتمرات تنظمها خطة رحبة من التعاون ولتكن « خطة خمسية على سبيل المثال » تحدد أبعادها لجنة عمل متخصصة تنبثق من هذا المؤتمر ؟

كثيرة هي المجالات التى نستطيع أن نؤكد بها الربط بين القول والعمل : فنحن هنا نتحدث عن خطوط التعاون العامة ، ومن ورائها خطوط تعاون تفصيلية بين :

١ ــ علماء الدين ٢ ــ بين الشباب ٣ ــ بين المؤرخين ٤ ــ بين المتخصصين فى الحضارات الإنسانية ــ ٥ ــ فى الدراسات المقارنة .

وأتصور هذا كله وما نتفق عليه يتضمنه بيان قد نرتضى أن نسميه « بيان قرطبة » اعترافًا بفضل هذه المدينة على الإنسانية . . إحدى المدن العشرين التى اعتبرها المؤرخ العالمى أرنولد توينبي مدن الحضارة العالمية .

ــ ٥ ــ

وعد يا بنى إلى الإنجيل واسأل نفسك : هل آثر المسيح عليه السلام نفسه يومًا بشيء من طعام ، من شراب ، من كساء ؟ لقد عاش العدالة

والمساواة . . ولم يكن يشبع وإخوانه من حوله يشتكون الجوع . ومعجزاته فى تكثير الطعام ، وإطعام من حوله ، علينا أن نترجمها فى حياتنا بأسلوب جديد :

* زيادة الإنتاج وعدالة التوزيع :

هذه هى روح المعجزة وكأنه يخاطبنا قائلا :

* القليل الذى عندكم اجعلوه كثيراً . والكثير وزعوه على من يحتاج إليه . . والتوزيع . . والسير على هذا الهدى يقتضى تحول الأفراد إلى منتجين عاملين . . وبذلك يصبح العمل عبادة ، والإنتاج عبادة، وعدالة التوزيع عبادة .

لقد امتدت يده الطاهرة إلى عالمى الحيوان والنبات ممثلين فى السمك والخبز . . ومـا زالا أهم مصدرين للرزق . . ومـا يشتكى منه مجتمعنا المعاصر من مجاعة غذائية نجد علاجه فى هاتين القاعدتين اللتين مارسهما المسيح عليه السلام بأسلوبه المعجز : زيادة الإنتاج وعدالة التوزيع ، وبهذا نقابل المجاعتين الكبيرتين : مجاعة الغذاء ، ومجاعة الروح .

— ٦ —

ويقتضى هذا توفير المعرفة العلمية لزيادة الإنتاج ، واتساع القلب والعقل لعدالة التوزيع ؛ وبذلك تتحدد أبعاد وآفاق من العلاقات والتعاون فى داخل الوطن الواحد ، وعلى الصعيد الدولى . تعاون تتساقط فيه أسوار التفرقة العنصرية دون تعصب للون ، والعصبية الدينية ، فلا يضار شعب لعقيدته ، ولا لمستواه العلمى ، أو حاجته إلى المعرفة ، وتستطيع الإنسانية السير إلى المواطن العالمى ، والوطن العالمى ، مع التقدير لأوطاننا الأم ، فلا تعارض . . وإنما اتساع دوائر . .

— ٧ —

وأود أن أختتم حديثي إليك بنظرة إلى موطن المسيح والأنبياء قبله ، ومسرى محمد ، وملتقى الأنبياء ، عليهم جميعاً من الله صلاة وسلام .

ألست ترى الدماء المراقة فيه ؟ والهدم والتخريب والحرق ؟ فلم تنج كنيسة القيامة ولا المسجد الأقصى . ألست ترى رجال الدين من مسلمين ومسيحيين كيف يساقون إلى السجون فى أرض السلام ظلماً ؟ ألست ترى تدمير آثارنا الإسلامية والمسيحية بدعوى البحث عن الآثار ؟ ألا تذكر إخوانك الذين ملأت جثثهم آبار دير ياسين عام ١٩٤٨ ؟ وكيف تحركت آلة الحرب الشريرة بين يدى العدوان الإسرائيلى تحصد الرجال والنساء والأطفال دون تفرقة بين مسلم ومسيحى . وتتابعت المجازر والحرائق فى أرض السلام ؟

لقد وقف إخوانك فى فلسطين العزيزة وفى القدس الشريف ، وقفوا مسلمين ومسيحيين يجمعهم الإيمان بالحق والسلام . وسقطت منهم طلائع عزيزة شهيدة على أرض الوطن شهدت جهاد المسيح وأصحابه. وشهدت مصرع يحيي عليه السلام والأنبياء قبله من أجل الحق .

فما حق أرض شهدت مولد المسيح وجهاده عليك ؟ وما حق أرض هاجر إليها المسيح طفلا عليك ؟

كل الذى نريده منك أولا أن تدرك هذا الحق ، وأن تجعل كلمة الحق هى التى تحركك إلى ما تحب من عمل ؟ كلمة الحق الولود المثمرة.. المؤمنة بالحب والسلام القائم على العدل . وإن موطن المسيح يطالبنا بكلمة فى هذا المؤتمر فلنقلها . . وإذا كنا قلناها فلنؤكدها . كلمة حق للقدس الشريف ، لفلسطين المناضلة ، للأرض السليبة . ولو كان وطن يغنى عن وطن لكانت مصر أولى الأراضى بالمسيح ، فقد رعته وأحبته

طفلا . . ولكنه عاد ليتابع جهاده هناك . وما نريده أن يعود أبناء فلسطين والأرض السليبة إلى ديارهم يتابعون عمارة أرضهم والتقدم بها فى ظل السلام والرخاء . وإذا كنا نتحدث عن التقديم الإسلامى للمسيحية ، أو التقديم المسيحى للإسلام ، أو مجالات التعاون ، أو التطور التاريخى ، فسيظل موطن المسيح وماحوله ميزاناً دقيقاً يحدد مدى قدرتنا على التصدى لمسئولياتنا ، ومجالا محتماً للتعاون الإسلامى المسيحى.

وأكاد أتصور بعداً آخر لهذا المؤتمر . . إن وطننا العربى بمن فيه من المسلمين والمسيحيين يتعاونون فى الحياة اليومية ، وفى بذل دمائهم من أجل استرداد أرضهم . . إنه عصر شهداء جديد نمر فيه لنصل إلى السلام القائم على العدل . والبعد الجديد المطلوب هو دعم التعاون بين الوطن العربى بمن فيه من مسلمين ومسيحيين ، والعالم الإسلامى بمن فيه من مسلمين ومسيحيين . . دعم التعاون بينهم وبين العالم المسيحى الكبير .

وإننى لعلى يقين بأننا نزداد كل يوم اقتراباً من الحق . .نعرفه ونتحرر به . . . وأملنا أن نصل إلى السلام العادل . وأن تتحول أسلحة الحرب إلى أدوات سلام . وتتحول ميادين الحرب إلى حقول ومصانع : وخطوط القتال إلى مدن عامرة . تعود بها البسمة إلى الشفاه ، وأبناء فلسطين إلى ديارهم ، والقدس الشريف إلى عروبته ، تتجاوب فيه أصوات المؤذنين بأجراس الكنائس ، وتصبح فيه جميع المعابد مفتوحة للعابدين فى ظل سماحة نؤمن بها . وتعود الفرحة إلى الضفة الغربية والجولان وسيناء . ونتلاقى فى المجامع والحياة والجامعات مسلمين ومسيحيين من أجل السلام . يدنا إلى الجميع مبسوطة بالخير .

وعلى لساننا كلمة السلام ، وفى قلوبنا حب السلام. . ولكم من الله تحية وسلام .

بيان قرطبة

انطلاقاً من الإيمان بالله والقيم الدينية والأخلاقية التى يدعو إليها الإسلام وتدعو إليها المسيحية ، ورغبة فى التعاون من أجل العمل المشترك لتعميق الإيمان بالله لإسعاد المسلمين والمسيحيين والبشرية جمعاء ؛ وأملا فى تنقية العلاقات بين المسلمين والمسيحيين ، مما شابها فى بعض فترات التاريخ من شوائب أو سوء فهم ؛ دعت جمعية الصداقة « الإسلامية المسيحية » بإسبانيا لعقد مؤتمر إسلامى مسيحى ، فلبى الدعوة وفود وأشخاص ينتمون إلى ثلاث وعشرين دولة إسلامية ومسيحية. وعقد المؤتمر فى مدينة قرطبة من العاشر إلى الخامس عشر من شهر سبتمبر سنة ١٩٧٤ (الثالث والعشرين إلى الثامن والعشرين من شهر شعبان ١٣٩٤هـ) ، وكانت الموضوعات التى طرحت للبحث هى :

١ — تقديم مسيحى للديانة الإسلامية ، فى صورة تمكن المسلمين من رؤية أنفسهم فيها .

٢ — تقديم إسلامى للديانة المسيحية ، فى صورة تمكن المسيحى من رؤية نفسه فيها ؛

٣ — الترابط بين الدين والتوسع السياسى .

٤ — أزمة العقيدة والتجارب التربوية فى كل من الإسلام والمسيحية .

٥ — ميادين العمل المشترك التى يمكن أن يتعاون فيها المسلمون والمسيحيون.

وفى جلسة الافتتاح تليت رسالة تحية وتأييد من الرئيس محمد أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية . كما وردت إلى المؤتمر رسائل وبرقيات من الرئيس أحمد حسن البكر رئيس الجمهورية العراقية ، والسيد ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، ونيافة الكردينال بيندولى رئيس إمامة العلاقات مع غير المسيحيين

بالفاتيكان، والسيد خوسيه لويس مسيا المدير العام للعلاقات الثقافية بوزارة الخارجية الإسبانية.. وقد أبرقت أمانة المؤتمر إلى حضراتهم بالشكر والتقدير.

ثم ألقيت بحوث متعددة فى كل من الموضوعات السابقة ، وأعقبها حوار اشترك فيه أعضاء المؤتمر ، واتسمت البحوث ، كما اتسم الحوار بالانفتاح والعمق والمودة . وسوف تقوم جمعية الصداقة الإسلامية المسيحية بإسبانيا بنشر هذه البحوث وإذاعتها ، لتمكن أكبر عدد من المسلمين والمسيحيين من التعرف على جو المؤتمر وما دار فيه .

وفى ختام هذا اللقاء التاريخى ، يسر المؤتمر أن يتقدم إلى العالمين الإسلامى والمسيحى وإلى كل محبي السلام بالتوصيات التالية التى وافق عليها المؤتمر :

١ — إقامة تعاون إسلامى مسيحى ، لتأكيد الإيمان بالله ، وتعميق القيم الدينية والإنسانية ، وقصر دراسة الخلافات العقائدية على مجالات المتخصصين ، مع الاحترام المتبادل بين الجانبين .

٢ — الدعوة إلى تأليف فى حقل العقيدة ، يتعاون فيه متخصصون من المسلمين والمسيحيين لنشر الحقائق الداعية إلى الإيمان .

٣ — تيسير تبادل سبل البحث العلمى ، والتعاون بصفة خاصة فى مجال الوثائق والمخطوطات الإسلامية والمسيحية .

٤ — تنقية المناهج والكتب الدراسية فى العالمين المسيحى والإسلامى من الأخطاء التى تسىء إلى أى من الدينين .

٥ — تشجيع تبادل الزيارات والإكثار من اللقاءات وتوسيع دائرتها بين المسلمين والمسيحيين ، لمواصلة الحوار بينهم فى الموضوعات المشتركة .

٦ — عقد المؤتمر المقبل بقرطبة بعد عامين لمواصلة دراسة الموضوعات التى تهم المجموعتين ولمتابعة إنجازات اللقاء الحالى .

٧ — الدعوة إلى إقامة مؤتمرات مماثلة فى البلاد الإسلامية والمسيحية

الأخرى للتعاون على تحقيق الأهداف التى دعا إليها هذا المؤتمر .

٨ ــ مناشدة المسلمين والمسيحيين بأن يعنى كل منهم بنشر عقائده بين أتباعه ، والإهابة بالهيئات الدينية الإسلامية والمسيحية أن ترعى الوسائل الإعلامية والتعليمية والثقافية والفنية حتى لا يتسرب منها إلى المجموعتين ما يفسد خططها وأهدافها من تعميق الروح الدينى وتمكينه .

٩ ــ التعاون بين المسلمين والمسيحيين على منع ما تلاقيه الأقليات الدينية فى أى جزء من أجزاء العالم من اعتداء واضطهاد ، والعمل على وضع حد حاسم لذلك إقراراً للعدل والسلام .

١٠ ــ تأكيد الحقوق الوطنية والإنسانية للشعب الفلسطينى مع اعتبار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعى الوحيد لهذا الشعب ، وتأكيد عروبة القدس ، ورفض مشروعات التهويد والتقسيم والتدويل ، وإدانة الاعتداءات التى تقوم بها سلطات الاحتلال الإسرائيلى على الشعوب وعلى المقدسات الإسلامية والمسيحية وخاصة المسجد الأقصى ، والمطالبة بإطلاق سراح جميع المعتقلين لا سيما رجال الدين الإسلامى والمسيحى . وتأييد النضال العادل للشعب الفلسطينى ، والمطالبة بتحرير جميع الأراضى العربية المحتلة .

١١ ــ اعتبار الآثار الإسلامية والمسيحية فى العالم تراثاً إنسانياً ينبغى الحفاظ عليه والإشادة بالمنجزات التى قامت بها إسبانيا فى هذا المجال ، والمأمول أن نواصل العمل لتحقيق مزيد من النتائج .

١٢ ــ تأليف لجنة مشتركة دائمة لمتابعة تنفيذ توصيات المؤتمر :

ومن الحق فى ختام هذا اللقاء ، أن يتقدم المشتركون فيه بعميق الشكر والعرفان بالجميل لكل من يسر إقامته ، ويخصون بالذكر المسئولين فى إسبانيا وفى قرطبة بصفة خاصة ، دينيين ، ومدنيين ، مع الإشادة بالروح الطيبة التى فتحت مسجد قرطبة الكبير للمسلمين لأداء الصلاة :

شكر ودعاء

أيها الإخوة :

باسم الوفود التى سعدت بالحضور إلى هذا المؤتمر والمشاركة فى أعماله ، أتقدم بخالص الشكر إلى إسبانيا رئيساً وحكومة وشعباً ، وإلى قرطبة محافظتها وعاصمتها ممثلة فى المسئولين المدنيين والدينيين فيها ، وأخص بالذكر سيادة المحافظ ، ورئيس البلدية ، والعمدة ، وسماحة مطران قرطبة . وإلى جمعية الصداقة الإسلامية المسيحية برئيسها الصديق السيد جالندو ، والسيد الوكيل الدكتور أحمد هيكل وأمينها العام السيد توجالس .

وإلى الإخوة الذين عاونوا فى هذا المؤتمر بالتنظيم والجهد الإدارى والترجمة الفورية . .

وإلى شعب قرطبة المضياف الذى جمع بين الأصالة والتقدم، وحب الجمال والواقعية ، وحب الحياة والدين .

لقد فتحتم لنا عقولكم وقلوبكم ، فسجد المسلمون منا فى محراب المسجد ، ووقف المسيحيون منا فى ساحة الكاتدرائية . . وترددت الدعوات من منبر المسجد ومنبر الكنيسة تنادى بالإخاء وترفع أكف الدعاء إلى الله أن يجمع بين القلوب بالإيمان والودّ .

أيها الإخوة :

إننا نقف على طريق جديد من طريق الإخاء . وهذا المؤتمر علامة منيرة تعاونا جميعاً على إضاءتها بنور الإيمان . مرحلة نرجو أن نستطيع فيها إشاعة علم ، وتقارب فكر ، وتصحيح خطأ ، وزرع محبة ، ورفع ظلم ، وعون ضعيف ، وهداية حائر ، وتحبيب الأجيال الجديدة إلى الإيمان وتزيينه فى قلوبهم ؟

لقد رأينا هنا فى قرطبة نموذجاً من نماذج الإخاء العالى . . كيف يعتنى الإخوة بالآثار الإسلامية ، ويبذلون الجهد فى ترميمها .

ورأينا من الإخوة الإسبان نماذج من العلماء الذين يجمعون بين عمق البحث ، وسعة الأفق ، ووضوح العرض ، وتواضع العلماء ، وصبر الباحثين ، والإيمان بالحق .

ولم يخل المؤتمر من حوار ، وقد ترتفع أحياناً درجة حرارته وقد تنخفض . ولكن كان له اتجاه واحد هو الرغبة فى الوصول إلى الحق . . وأعتقد أننا نجحنا فى اجتياز الحاجز الأول وبدأنا نرسى علمياً وعملياً تقاليد اجتماعاتنا المقبلة ، التى نرجو أن تكون أكثر خصوبة وإنتاجاً ، وأن يكون الغد عندنا دائماً أفضل من اليوم وأن تتسع دائرة التعاون محلياً وإقليمياً وعالمياً ، ويجد تطبيقه العملى فى مجالات الحياة ؛ فالدين هو الحضارة الحية التى تمد وجودنا بالنماء ، وتدعونا إلى كل تقدم . . وهو والعلم الجناحان اللذان نحلق بهما فى آفاق مستقبل مشرق بالحب والتقدم ، تصبح فيه الإنسانية أمة كبيرة ربها واحد .

أيها الإخوة :

وأعتقد أننا فيما نستقبل من أيامنا سنحاول أن نترجم قراراتنا إلى أعمال ، وسنوالى الاتصال ، وعندما نتلاقى بعد عامين بعون الله وتأييده ، سنكون أكثر قدرة على العمل وخضوعاً لله ، واتجاهاً إلى مزيد من الوضوح على طريق الحق .

حياكم الله فى لقائكم ، وحياكم فى سفركم ، ورعاكم برعايته ، وليذكر كل منا أخاه بدعوة صالحة وكلمة طيبة ، وإلى لقاء على طريق الإيمان والمودة والتعاون .

وشكراً لكم .

صلاة الجمعة

فى مسجد قرطبة *

١ – صلاة :

كانت لفتة كريمة من الإخوة المسيحيين فى قرطبة أن جعلوا من برنامج المؤتمر الإسلامى المسيحى العالمى الأول (١٠ – ١٥ سبتمبر ١٩٧٤) أداء صلاة الجمعة فى مسجد قرطبة الكبير .

واحتاج القرار إلى شجاعة أدبية ، وصمود أمام بعض الضغوط والمخاوف ، وارتفع أفق جديد وأصيل من آفاق السماحة تمثل فى أسقف قرطبة ، الذى وافق على ذلك عندما عرضه عليه رئيس جمعية الصداقة الإسلامية المسيحية وأعضاء مجلس إدارتها المسلمون والمسيحيون فى إسبانيا . وكانوا فى استقبالنا – مشكورين – عند دخولنا المسجد ظهر يوم الجمعة ١٣ من سبتمبر ١٩٧٤م الموافق ٢٦ من شعبان سنة ١٣٩٤هـ.

كان أمر الصلاة قد انتشر مع بدء انعقاد المؤتمر . وفى ضحى يوم الجمعة هبطت فى مطار قرطبة طائرة من مدريد تحمل سفراء الدول الإسلامية فى إسبانيا ، وطائرات من أقطار المغرب العربى تحمل صفوة من علمائها وكبار الشخصيات الإسلامية فيها . والتقى الجميع فى المسجد فى المناسبة التاريخية تنتظم صفوف الصلاة .

* نشرت بجريدة الأهرام فى ٢٥ من رمضان ١٣٩٤ هـ (١١ أكتوبر ١٩٧٤ م) .

٢ – الراكعون الساجدون :

وتمر عيني على صفوف المسلمين . . عباءات من المشرق ، برانس من المغرب ، رؤوس حاسرة ، عمائم ولحى بيضاء فيها جلال المشيب ، كهول مكتملون ، شباب متفتح ، ومن حولنا وقف الإخوة المسيحيون وفي نظراتهم مودة وتطلع إلى هذا المشهد الجديد القديم . .

وصوت القارئ يرتفع بالقرآن . . ومن حولك الراكعون الساجدون . . وترى الدموع وتسمع النشيج تطلقه روعة الذكرى ويكتمه جلال الموقف، وقد انطوى كل عابد على نفسه في عالمه بذكرياته وحاضره . .

وتمتد الأعين إلى الآيات الصامتة على جدران المسجد والمحراب . . وتقرأ « الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق » (الأعراف : ٤٣) . ظلت هذه الآيات صامتة على الجدران ثمانية قرون حتى ترددت من الحناجر في يوم الجمعة المشهود . .

ويرتفع صوت الأذان : الله أكبر . . الله أكبر ، ويزداد معه الحزن والبكاء ، وتتذكر الأذان الأول . . أذان بلال في المدينة المنورة . . وكيف حملته القلوب والأيدى والألسنة المؤمنة عبر الصحاري والجبال والبحار والقارات حتى ارتفع من صومعة مسجد قرطبة وظل يتردد فيها قرونًا . .

وتستمع إلى خطبة الإمام عن الحضارة الإسلامية وسماحتها وإخائها ، ويرتفع صوته داعيًا الله أن يحفظ للقلوب صفاءها ونقاءها ، وأن يجمعها على الندى والمحبة ، وأن يوثق التعاون لترتفع أعلامه النقية .

٣ ــ مسجد :

ومسجد قرطبة درة فى جبين العمارة الإسلامية . . وضع عبد الرحمن الداخل ــ صقر قريش ــ أول حجر فيه عام ٧٨٠ ميلادية : وكان آخر حجر فيه على رأس الألف الأول الميلادى . مائتان وعشرون عامًا فى استكمال عمل فنى ممتاز تحس حين تراه كأن المعماريين الذين أسهموا فيه كانوا فريقًا واحداً يقوده عقل واحد .

والراجح أن المسجد بنى على أرض عذراء . . بدأ قسمه الأول فى عهد عبد الرحمن الداخل ، وجاءت توسعته الثانية فى عهد عبد الرحمن الأوسط ، والثالثة فى عهد عبد الرحمن الثالث وولده الحكم الثانى . وهذه التوسعة الثالثة هى قمة عالية من قمم الفن الإسلامى وصل بها المحراب إلى ضفة نهر الوادى الكبير . . وكأن ملك بنى أمية والمسجد كانا على موعد ، فبعد هذه التوسعة بدأ الضعف فى الدولة وفى توسعة المسجد معًا . .

وجاءت التوسعة الأخيرة على يد الحاجب المنصور بن أبى عامر ، ولم يكن أمامه إلا التوسع شرقاً على طول المسجد .

وظل عامراً بالصلاة والقضاء وتدارس العلم والأدب حتى سقوط قرطبة عام ١٢٣٦ عندما خرجنا من هناك وتركنا المسجد وحيداً يلقى صروف الزمان . .

٤ ــ عودة الحياة :

ولقد تحول جزء من المسجد تبلغ مساحته نحو ١٥ ٪ إلى كتدرائية ، وتحولت صومعة المسجد (المئذنة) إلى برج أجراس . . ومن أجل ذلك أزيل ثمانون عموداً وقوسًا وما فوقها من سقف . .

وأغلقت أبواب كانت مفتوحة تدخل قدراً من الضوء أراده الفنان

الذى صمم المسجد . . ولم يكن التداخل المعمارى محل رضا الذين أمروا به . . . وجاء غير متناسب مع الوحدة الهندسية للبناء والحاول المعمارية التى ابتكرها العقل الذى ظل مسيطراً على البناء أكثر من قرنين حتى إتمام هذه الصورة العبقرية التى لم تتكرر . .

فليس هناك مسجد غيره فى أرض الإسلام اعتمد على فكرة العقود المزدوجة . . وأنت لا تجد عموداً يزيد قطره على خمسة وعشرين سنتيمتراً، وتنتهى الأعمدة بعقود ، وعلى رأس العمود تجد قاعدة جديدة أقام عليها المعمارى عموداً آخر ، وتتشابك الأعمدة بعقود غاية فى الدقة والرشاقة . . . فإذا نظرت إليها رأيت نفسك فى حديقة من حدائق الإيمان . . كأن الأعمدة أشجار والعقود فروع أثقلتها الثمار . . أو كأنها نافورات تجمد ماؤها . . وتمتد أمامك وتمتد إلى ما لا نهاية كأنها ترتبط بمساجد الشرق . . هناك فى مصر والجزيرة العربية والشام . .

والمحراب آية أخرى من آيات الفن ، وهو عبارة عن حجرة صغيرة . . . أو مسجد صغير سقفه من قطعة واحدة من الحجر على هيئة صدفة . . وفوق بلاطة المحراب والبلاطتين المحيطتين بها عن يمين وشمال ثلاث قباب صغيرة بلغت الذروة من الجمال ودقة الفن . .

واستخدام الضوء كان بنسب تتوازن مع ما يدخل من الأبواب . . . وهنا تحت القباب كانت قراءة القرآن . . نور القلب . . تحت نور السماء . . وفيض النور المتدفق من الأبواب . . . نور على نور . .

وفى الجزء الشمالى من المسجد صحن مكشوف تغطيه أشجار البرتقال . وإذا كنت فى المسجد ناظراً إلى الخارج رأيت التداخل بين الأعمدة الرشيقة وأشجار الحديقة . .

وفى الزيارات التى قمت بها شكراً لأسقف قرطبة وكبار المسئولين المدنيين دار الحديث حول المسجد والكاتدرائية . .

وهناك اتجاه فى إسبانيا يرمى إلى نقل الكاتدرائية إلى مكان مجاور للمسجد وإعادة المسجد إلى صورته التى كان عليها . وقد وجدت هذه الفكرة قبولا لدى نفر من المثقفين الإسبان . فالمسجد فى كماله واكتماله عمل عبقرى لن يجود بمثله الزمان . . والذين يفدون إلى قرطبة إنما يفدون أساساً لزيارة المسجد . . حتى نستطيع القول بأن قرطبة نفسها « ضاحية » المسجد . وقد جرت أحاديث بين الإسبان وبعض الشخصيات العربية المسئولة الكبيرة حول التعاون على تنفيذ مشروع النقل . ليعود المسجد إلى صورته الأولى .

وإذا كان الأمر يحتاج إلى بعض الوقت لتتقبله الجماهير . . فإن الصورة المقترحة والتى اطلعت على بعض دراستها مما يساعد كثيراً على أن تصبح لكل من المسجد والكاتدرائية شخصيته الواضحة الكاملة ، ويعطى بعداً جديداً تطبيقياً من أبعاد التعاون بين العالم الإسلامى والعالم المسيحى . .

إننى أحس وأومن أننا نسير على طريق جديد من طرق التعاون والمحبة رأينا بعض ثماره ، وكلنا فى انتظار المزيد . .

وتحية إلى قرطبة السمحة وإلى إخوة مسلمين ومسيحيين أعطوا النموذج الكريم والخطوط الرئيسية لتعاون إسلامى مسيحى عالمى .

وحدتنا الوطنية

* ألقيت في حفل المجلس الملي للأقباط الأرثوذكس وفي العيد الأول لمعركة رمضان (أكتوبر)
* أقيم الحفل في قاعة محاضرات الكنيسة الكاتدرائية بالعباسية مساء يوم ٩ — ١٠ — ١٩٧٤ بالقاهرة .

وحدتنا الوطنية

حضرات الإخوة والأخوات :

تحية طيبة مباركة فى هذه المناسبة الكريمة التى تفضلتم بدعوتى إليها والحديث فيها .

وإذا كان لى أن أبدأ بتحية فهى إلى إخوة سبقوا إلى الله تبارك وتعالى ، بذلوا أكرم ما يكون البذل ، وجادوا أكرم ما يكون العطاء ، وضحوا بأنفسهم من أجل حياتنا ، ووطننا ، وأرضنا وعرضنا .

وكنت فى جلستى قبل أن أقف للحديث ، أطالع وجوه الجالسين والجالسات ، وأرى دمعات نبيلة حزينة تسيل فى صمت وقور . وترتفع الأيدى فى هدوء لتتلقاها أو تسترها . وأحس معها عظمة ما بذل بعضنا . . . وبعضنا منا . فكلنا أهل . والذين سبقوا إلى الله إنما هم — من قبل ومن بعد — أولادنا وأكبادنا تمشى على الأرض ، ولقد تعلمنا من نبينا عليه الصلاة والسلام حينما اختبره الله فى ولده فسالت دموعه على خديه وقال : إن العين لتدمع ، وإن القلب ليخشع ، ولا نقول ما يغضب الرب ، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون » .

فأيامنا هذه إذا كنا نذكر فيها فرحة النصر ، فإنا نذكر — قبل هذا وبعده — أبناءنا وإخوتنا الذين سبقوا إلى الله تبارك وتعالى . وكان من حكمته أن يجمع فى قائدنا فرحة النصر ونبل الحزن : فاستشهد أخوه فى ميدان القتال . فإذا كان المنتصرون يرون فيه قائد النصر ، فإن أهل الشهداء يرون فيه أباً وشريكاً فى هذا الحزن النبيل ، على من سبق إلى الله تبارك وتعالى .

تحية لشهدائنا وإلى أهلنا الذين صبروا الصبر الجميل من بعدهم ،

وتحية إلى قائد مسيرتنا الرئيس المؤمن محمد أنور السادات ، الذى جمع فى شخصه بين فرحة القائد المنتصر وبين الحزن النبيل لمن سبق من بعض أهله فى هذا إلى الله، وتحية إلى قواتنا المسلحة الصامدة ، وتحية إلى قداسة البابا الذى دعانا إلى هذا الحفل الكريم وإلى حضراتكم جميعاً .

وكما قال قداسته : فإن يوم ٦ أكتوبر يوم لا يمكن أن نفصله عما قبله ولا عما بعده، ولقد تكلم عن بعض العبر فى ذلك اليوم والحكم فيه، وجال بنا جولة واسعة على الصعيد المحلى والعربى والأفريقى والعالمى ، ووازن بين منطقنا قبل ذلك وبعده .

الوحدة الوطنية

وما أريد أن أتابع القول فى هذه الجوانب . وإنما سأختار زاوية واحدة أركز حديثى حولها ، وهى الوحدة الوطنية وأثرها فى مصر. ويكاد هذا الحديث أن ينقسم بين يدى إلى قسمين :

قسم يتعلق بأحداث من تاريخ وطننا ، شاركنا فى صناعة بعضها، والبعض يرجع إلى تراث ورثناه ، وكل الذى علينا أن ننميه وأن نرعاه ، وأن نسلمه أكثر إزهاراً وإثماراً إلى أجيال من بعدنا .

وقسم آخر من الحديث يتعلق ببعض خطوط عامة واقتراحات للمستقبل .

العائلة المقدسة وأهل البيت

أما فيما يتعلق بالماضى فلقد استوقفت ذهنى مقارنة حدثت فى التاريخ الإسلامى والمسيحى ، حينما أراد الله تبارك وتعالى للعائلة المقدسة أن تهاجر ، كان أمامها أن تهاجر إلى عدة أمكنة ولكن الحق جل وعلا

اختار لها أن تهاجر إلى مصر . وجاءت العائلة المقدسة إلى مصر . وفى كل مكان نزلت فيه وجدت رعاية وعونًا وحماية وتمجيداً . بل إن كل مكان نزلت فيه ، أقام فيه المصريون كنيسة ظل لها توقيرها واحترامها .

هذه الرحلة بعضها كان فى سيناء الحبيبة وبعضها كان فى شرق الدلتا ، وبعضها فى وسط الدلتا ، وبعضها فى غرب الدلتا ، وبعضها عند رأسها ، وبعضها فى صعيد مصر .

وأعود إلى ناحية من تاريخ الإسلام ، فأرى أنه عندما حدث الصراع بين أهل البيت وبنى أمية وطلب والى المدينة من العقيلة الطاهرة السيدة زينب بنت الإمام الحسين رضى الله عنهما أن تبرحها . وخيرت السيدة زينب رضى الله تبارك عنها فى هجرتها منها ، قالت : إن كنت تاركة مدينة جدى فلن أتركها إلا إلى مصر . وجاءت العقيلة الطاهرة إلى مصر ، ومعها على زين العابدين بن الحسين (رضى الله عنهما) واستقر هذا الفرع النبوى فى مصر . وأصبحنا نطلق أسماء أفراد البيت النبوى على أحياء فى القاهرة : السيدة زينب . السيدة نفيسة . السيدة سكينة . السيدة رقية . سيدى حسن الأنور . سيدى زين العابدين .

وأسائل نفسى : ماالذى جعل هجرة العائلة المقدسة إلى مصر وهجرة بيت النبي إلى مصر ؟ إن هذا الشعب الذى استطاع أن يكرم العائلة المقدسة هو نفسه الشعب الذى أكرم بيت النبي عليه الصلاة والسلام . ذلك لأنه شعب مؤمن يحب الإيمان والمؤمنين من قديم ، وإذا ما رجعنا إلى التاريخ المصرى الذى يمتد قرونًا بعد قرون وجدنا أن تاريخه لم ينقطع وأن حضارته لم تتوقف ، وأن إيمانه لم يبْتَر فى عصر من العصور ، وحتى فى مصر القديمة عندما كانوا يؤمنون بآلهة كثيرة ، كانوا يعتبرون أن لهذه الآلهة كبيراً يؤمنون به ، وكما تعلم المصريون أن يلتفوا حول نهرهم يستقون منه الخير ، فقد تعلموا أيضًا أن لا حياة لهم مع نهرهم إلا بالوحدة والتوحيد .

كذلك كان دينهم وحدة وتوحيداً عبر القرون ، مصر إذن أرض الحضارة المستمرة . مصر أرض الوحدة والتوحيد . من أجل ذلك فإن كل دعوة إلى الاستمرار الحضاري ، وإلى الوحدة والتوحيد والإيمان ، تجد صداها في كل قلب ، ويحس كل إنسان منا أنها تتلاقى مع ما في أعماقنا من حضارة أصيلة ، تسري في فكره كما يسري دمه في عروقه . وأي دعوة إلى التنافر أو البغضاء أو الحقد أو الإلحاد لا تجد صدى في نفسه الطيبة .

من أجل ذلك حينما نتكلم عن الوحدة والتوحيد إنما نتكلم أساساً عن طبيعة عاشت بها هذه الأرض الطيبة ، وحينما نتكلم عن أخوة ومحبة فنحن لا نفتعل شيئاً ، وإنما نحن نضع آذاننا على نبض مصر ، وقلبها. ونسمع ما يقول هذا النبض ونترجمه فإذا به « فليحب بعضكم بعضاً » .

لا إكراه في الدين

١ ـ إنني أعتقد ديناً ، إن الله سبحانه وتعالى علمنا في كتابه أن نؤمن به . وأن نترك لكل فرد أساوب الإيمان به « لا إكراه في الدين » وهناك مجال واسع مشترك في العمل سأعرض له بعد قليل ، وإنما الذي أود أن أسجله في هذا المجال أن المصريين قبل الإسلام ، وجدوا أن حرية عقيدتهم وحرية وطنهم ، أمران متلازمان ، وأن الدفاع عن قضية العقيدة أمام الظلم الذي مارسته بيزنطة . كان في الوقت ذاته دفاعاً عن حرية الوطن . وعصر الشهداء الذي شهدته مصر لم يكن أكثر من تصوير عملي لما آمن به المصريون وقتئذ : من وجوب أن تترك حريتهم الدينية ، هذا هو الأسلوب الذي عاشته مصر في هذه الناحية .

٢ ـ وعندما جاء الإسلام ترك حرية العقيدة لمن شاء أن يؤمن . وأكبر دليل على هذا ما ذكره المؤرخون الجغرافيون والعرب كالمقدسي

عن تعايش المسيحية والإسلام هذه القرون كلها : وكما تعود المصرى : مسلماً كان أو مسيحياً ، أن يرد نهر النيل ، ليسقى أرضه ، وليرتوى هو وماشيته ، فإنهم تعودوا جميعاً أن يأتوا إلى نهر السماحة والإخاء يشربون منه ويعيشون جميعاً إخوة متحابين .

٣ ــ وعندما حاولت أوربا أن تتستر وراء صلب المسيح عليه السلام، ذلك المعلم الجليل الداعى إلى السماحة والمحبة ، وستروا أطماعهم بستار دينى رقيق . لم يخف ذلك على ذكاء إخواننا هنا ، واستطاعوا بنظرتهم الثاقبة أن ينفذوا إلى ما وراء هذا الستار ، وأن يعلموا أن الذين جاءوا إلى ديارنا ، إنما جاءوا طامعين فى أرضنا وخيراتنا ، فإذا بالأقباط وبالمسلمين معاً يقفون صفاً واحداً يدافعون عن وطنهم ضد الغزو الدخيل وغيروا مساره . فى معركة حطين (١١٨٧ م) وغيروا مسار الغزو التتارى فى معركة عين جالوت (١٢٦٠م)

واستطعنا بعون من الله تغيير مسار الغزوة الصهيونية فى ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ :

إن معركة العاشر من رمضان (السادس من أكتوبر) أصبحت درة فى جبين الوحدة الوطنية : قادة من مسلمين وأقباط ، هم محل احترام جنودهم من مسلمين وأقباط ، الماء الذى يشربونه من نهر واحد . الطعام الذى يأكلونه جاء من الأرض الطيبة الخضراء . الهواء الذى يتنسمونه إنما تنسمه قبلهم آباؤهم وأجدادهم . وتعلموا أنه هواء السماحة والمحبة والإخاء . على هذا عشنا أيها الإخوة ، وعندما جاءت المعركة كانوا يعبرون قناة السويس ، وكل منهم يحاول أن يفدى أخاه بنفسه ، لا يسأله ما اسمه ، إنه أخوه فى الوطنية وفى الإيمان بالله . عبروا القناة معاً ووضعوا أقدامهم على أرض سيناء الحبيبة ، الأرض الغالية التى مشى عليها المسيح عليه السلام فى طفولته ، ومشت عليها مريم العذراء ، ومشت عليها الأسرة

المقدسة ، والتى مر عليها النبي عليه الصلاة والسلام فى ليلة الإسراء والمعراج ، والتى شهدت مسيرة أكثر من نبي ، هذه الأرض التى احتضنت دير سانت كاترين . والذى، أبرزت فيه صورة من صور الإيمان والمحبة والسماحة عزت على الدنيا ، وذلك الدير الذى اعتدت إسرائيل على كنيسته ومسجده ومكتبته ومخطوطاته بعد أن كان فى رعاية المسلمين والمسيحيين.

بهذا استطعنا عبور القناة وأن نتقدم خطوات واثقة على الطريق إلى القدس الشريفة ، إلى المسجد الأقصى الأسير ، إلى كنيسة القيامة الأسيرة . ولو كان للمسجد الأقصى ولكنيسة القيامة أن يرسلا إلينا رسالة، لأرسلا إلينا خطاباً واحداً يقولان فيه : «أنقذونا من إسرائيل » وأنتم تعلمون أن مفاتيح كنيسة القيامة كانت محفوظة عند أسرة مسلمة ، برضى واتفاق من الإخوة المسيحيين دون أى تعال أو تكبر ، وإنما سماحة بين الجميع على أمر لو أرادوا غيره لكان ، ولكننا تعلمنا أن نعيش الإخاء وأن نعيش المحبة .

لقد كانت حرب رمضان حرباً رأينا فى نارها نور الأخوة والسماحة والمحبة ، وجاءت برهاناً جديداً وأصيلا يدعم براهين قديمة من التاريخ الإسلامى والمسيحى والفرعونى على أننا نعيش دائماً الإخاء والمحبة والود والخير .

. . . والمستقبل

أما ما يتعلق بالمستقبل فأذكر من قريب ، وفيما بين العاشر والخامس عشر من سبتمبر الماضى (١٩٧٣) ، أنى كنت مع إخوة من المسلمين والمسيحيين فى قرطبة ، نحضر المؤتمر الإسلامى المسيحى العالمى ، حضره مندوبون يزيدون على المائة من كبار علماء الإسلام والمسيحية يمثلون نحو ثلاث وعشرين دولة ، والتقينا جميعاً على قضايا بعضها يتعلق

بالفكر وبعضها يتعلق بالقضية المصرية ، وكان من أبرز هذه المقررات تأكيد حقنا فى عروبة القدس بلا تهويد ولا تدويل، وتأكيد حق الشعب الفلسطيني فى أرضه ، وتأكيد حقوق الشعوب العربية فى أرضها المغتصبة السليبة . والذى استوقف نظر المؤتمر ما بدا عمليًا لا قولا مجرداً ، من محبة وتواد وتعاطف فيما بين أعضاء الوفد المصرى ، لماذا ؟ كان الجهاز التنفيذى ممثلا بوزيرين أحدهما مسلم والآخر مسيحى. كانت الأجهزة الدينية ممثلة بزميلين أحدهما من الأزهر والثانى من الكنيسة القبطية . ومعنا أستاذان من الجامعة مختصان فى الدراسات الإسلامية المقارنة ، وفى تاريخ العصور الوسطى . حينما كانت تنبت أية نابتة تحاول أن تنحرف بالمؤتمر عن مساره فى الإخاء والمحبة ، كان يتصدى لها الوفد المصرى بمن فيه من مسلمين وأقباط معًا . يتعاونون جميعًا من أجل تأكيد معنى الإخاء والمحبة . وتقدم الوفد المصرى بعدة مقترحات كانت محل قبول .

الحوار الديني ودعم الوحدة الوطنية

ومن توفيق الله سبحانه وتعالى أنه قبل دخول هذه القاعة ، كنت أجلس إلى جوار قداسة البابا ، وتحدثنا عن بعض المشروعات التى يمكن أن نقوم بها ، دعمًا للوحدة الوطنية ، وذكر قداسته بعض هذه المشروعات: فقلت له : كأنك تقرأ الورقة التى معى . فإننى كتبت هذه المشروعات فى هذه الورقة التى أمامى ، وإن ما تقدمت به باسم إخوانى فى قرطبة ، هو الذى سجلته فى هذه الورقة وهو الذى حدثنى فيه قداسة البابا لنتعاون فيه :

أولا : نحن نعلم أن الحوار الدينى الآن أصبح صيغة مقبولة بين أهل الأديان . والحوار الحديث لا يتصيد نقط الخلاف وإنما يستهدف الأرض المشتركة بين الأديان فيما يتعلق بعقيدتك لك حريتك ، وما يتعلق بعقيدتى

لى فيه حريتى . ولكن هناك أرضًا واسعة مشتركة فيما بيننا، فما أهم ملامح هذه الأرض ؟

هناك قضية الإيمان بالله الواحد . ويمكن أن يلتقى عدد من الزملاء العلماء من مسلمين وأقباط من المتخصصين فى كافة فروع المعرفة : علم النبات . علم الحيوان . علم التشريح . علم الفلك . ويقدم كل منهم بعض الحقائق العلمية المبسطة التى تؤكد وجود الله ، ونجمع هذه المعلومات كلها فى كتاب كنقطة بدء ، تليها مجموعة من الكتب الأكثر تفصيلا لتأكيد وجود الله . وإلى جانب الفوائد العلمية ستزداد الألفة بين علمائنا وتكون لهم لقاءاتهم ويتعود أبناؤنا أن يروا كتابًا واحداً فيه عشرات من أسماء العلماء من مسلمين ومسيحيين كلها تؤكد معنى واحداً هو الإيمان بالله الواحد .

ثانيًا : فيما يتعلق بقضية فلسطين والأرض السليبة والقدس الشريف : نحن نعلم أن لإسرائيل مزاعم فى هذا الموضوع . وقد تكلم الأزهر وتكلمت الكنيسة فى ذلك على أعلى المستويات . ولكن لماذا لا نعقد ندوة مشتركة إسلامية مسيحية عن القدس الشريف ونتكلم جميعًا عن هذا الأمر . ونخرج كتابًا واحداً نترجمه بلغات مختلفة ونوزعه على العالم كله ليقرأ آراء رجال العلم والدين من مسلمين ومسيحيين، رأى الأزهر ورأى الكنيسة. يقرأ هذا كله فى كتاب واحد يؤكد عروبة القدس وأنها عندنا — قولا وفعلا — رمز السلام والإخاء والمحبة .

ثالثًا : هناك موضوع الأخلاق الفاضلة وهى السلوك فى الحياة دعا إليها عيسى كما دعا إليها محمد والنبيون من قبلهما عليهم من الله السلام. وأنت ترى هذا الخلق الفاضل فى الحواريين كما تراه فى الصحابة . وتقرأ مدح هؤلاء وهؤلاء فى القرآن الكريم .

هذه نماذج أذكرها لحضراتكم فى هذه المناسبة وأود أن نعلم أن علينا

بعد ٦ أكتوبر أعباء كثيرة فى التحرير والتعمير ، وإننى أفهم التعمير بمعناه الواسع : إن التعمير فى أوسع مدلولاته يشمل تعمير الأرض بالمنشآت وتعمير النفوس بالإيمان بالله . كما أفهم التحرير بمعناه الواسع : هو تحرير للأرض من العدو وتحرير للنفوس من رق الهوى والشهوات . وعلينا ــ ونحن نعنى بهذه الجوانب الروحية والفكرية والأخلاقية أيها الإخوة ــ أحس أن علينا ــ أن نتخذ خطوات إيجابية فى هذا المجال ، بهذا نكون قد تحركنا فعلا بروح العلم والإيمان التى جاء ٦ أكتوبر تعبيراً عملياً عنها ، ونكون قد قدمنا خريطة فكرية جديدة تتفق مع الخريطة الشاملة التى أرادها السيد/ الرئيس حينما قدم ورقة أكتوبر العظيم .

أيها الإخوة : أرجو ألا أكون قد غاليت فى استغلال صبركم وحسن استماعكم ، وأرجو أن تكون أعمالنا أفضل من أقوالنا ، وأن يكون غدنا أفضل من يومنا . « ربَّنا عَلَيْك توكّلْنا وإليْك أنبْنا وإليْك المصير » إن السلام كان دعوة أنبيائنا . . وهو من قبل ومن بعد دعوة الله لنا . . لنعيش السلام فى ظل العدل والإخاء والتقدم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الإسلام ودوره في بناء الإنسان المعاصر *

* عقد في معهد الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية بجامعة تونس الملتقى الإسلامي المسيحي في موضوع :

« الضمير الإسلامي والضمير المسيحي في مواجهة تحديات النمو » .

وذلك في الفترة ما بين ١١ و ١٧ نوفمبر سنة ١٩٧٤ ، وعقدت جلسته الأولى في فندق أميلكار بقرطاج (تونس) عصر يوم ١١ نوفمبر .

وقد ألقي هذا البحث في الجلسة الافتتاحية باسم الإسلام ، مع بحثين آخرين أحدهما باسم المعهد الداعي والثاني باسم المسيحية .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله . والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى إخوانه من الأنبياء ومن سار على هداهم إلى يوم الدين .

السيد / الرئيس :

حضرات الإخوة والأخوات :

أودّ أن أقدم الشكر خالصاً إلى تونس الشقيقة : رئيساً وحكومة وجامعة وشعباً ، أن يسروا لنا هذا اللقاء الأخوى فى ظل السماحة والرغبة فى مزيد من الفهم المتبادل والتعاون .

وتحية إلى مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية : مديراً وأساتذة وطلاباً . .

ومن مصر أحمل إليكم تحية الرئيس والحكومة والشعب داعياً الله أن يثبت على طريق الإخاء أقدامنا ، وأن ينير قلوبنا وعقولنا بنور الإيمان والعلم .

السيد الرئيس :

حضرات الإخوة والأخوات :

إن تونس حرية بموقعها الجغرافى ، وتراثها التاريخى ، وعطائها الإنسانى ، أن تقوم بدور إيجابى فى هذا الحوار الخصب بين الإسلام والمسيحية ، بين الشرق والغرب ، بين العالمين الأوربى من ناحية والعربى والأفريقى من ناحية أخرى .

فى منتصف الطريق العربى الممتد بين الساحل الشرقى للبحر المتوسط وجبل طارق غرباً ، وفى موقع كأنه شرفة حضارية متقدمة تطل على صقلية وإيطاليا وجنوبى أوربا ، وعلى رأس طريق صحراوى يقود إلى

قلب أفريقية ، وعلى الباب الشرقى بلجزيرة المغرب حيث تمتد سلسلة الأطلس وحيث تنتقل مؤثرات المغرب إلى المشرق العربى : هنا — فى تونس — نجد الملتقى الحضارى الذى يشهد ملتقانا هذا ؛ متابعاً رسالته التاريخية ، باحثاً عن الصيغ الجديدة لبناء المستقبل .

فأنت فى تونس فى لقاء بين محورين : أحدهما رأسى والآخر أفقى ، الأول يربطك بأفريقيا وأوربا ، والثانى بالمشرق والمغرب العربيين . . . ولك هنا — من قديم — أن تركب البحر أو تمشى فى مناكب الأرض عالماً أو متعلماً . وإذا كان من طبيعة مناطق اللقاء الحضارى أن تكون أكثر من غيرها تأثراً بنبض الأحداث العالمية ، ففى عالمنا المعاصر الذى اختزل المسافات ويسر طرق التواصل ، لم تعد القضية مجرد الاستجابة للتفاعلات العالمية ، ولكن « الاختيار الأفضل » بين البدائل المتاحة وتركيز العناية على قضايا ، لها — بوزنها وأثرها — أن تجتذب البحوث الجادة . وبهذا تبدو أهمية هذا الملتقى فى أنه حوار بناء بين إخوة علماء يمثلون العالمين الإسلامى والمسيحى ، ويتدارسون معاً كيف يواجهون تحديات النمو .

ولا أتصور أن أسلوبنا فى العمل سيقتصر على العرض المتوازى ، وإن كان من الممكن أن يبدأ به — أو يستفيد منه — كما أننى لا أتصور أننا نود أن نبتدع تركيباً جديداً من الإسلام والمسيحية : فكل من الدينين حقيقة قائمة وراسخة . ولا أتصور أننا ندعو مسلماً أو مسيحياً إلى التساهل أو الترخص فى دينه . وإنما أومن أن كلا من جوهر الإسلام وجوهر المسيحية دعوة إلى الإيمان العميق بالله تعالى ، الإيمان بالله الواحد. ودعوة إلى حب الإنسان واحترامه . ودعوة إلى العمل الصالح فى هذه الحياة ، ثم كلنا سنعرض على ربنا يوم تجد كل نفس ما عملت محضراً .

أتصور أننا نريد المسلم الذى يحسن اتباع دينه ، والمسيحى الذى

يحسن اتباع دينه ، ويحترم كل منهما ما عنده وعند أخيه . ولهما معاً مناطق مشتركة ، يعملون فيها ، ويحاولون جادين أن يوسعوا مجالها ، عن طريق التعاون والدراسة المشتركة ، وهو ما نحن بسبيله الآن . وعندهما مناطق تميز بين الأديان ، وهذه مجال فهم متبادل ، دون أن تكون مثاراً لما سبق أن عانى منه الدينان قروناً ، وترك طابعه على تاريخ العلاقة بين الشرق والغرب .

ثم حين أتحدث عن دور الإسلام فى بناء الإنسان المعاصر لا أقطع هذا الإنسان عن ماضيه ولا عن مستقبله ، ولا عن رؤيته فى المنظور العالمى ، فالمعاصرة لا تعدو أن تكون تركيز البحث على قطاع زمنى ، إذا كان من اليسير أن نحدد مركزه ، فمن الصعب — إن لم يكن من المستحيل — أن نحدد فيه البدء والنهاية . فالتاريخ — كما نعلم جميعاً — فى تدفق مستمر ، نتبادل فيه التأثير والتأثر ، والإسلام بدوره لم يقطع مساره عن تاريخ الإنسانية العام فى الآفاق والعصور ، ولا عن جهاد الأنبياء والمرسلين و بناء الحياة والرقى بها .

من أجل ذلك لا نملك فى هذا البحث إلا الاختيار ، اختيار قضايا رئيسية يسهم بها الإسلام فى بناء الإنسان المعاصر . وسأعرض منها ست قضايا أو ركائز رئيسية فى حدود الوقت المتاح :

أولاً : الإيمان .
ثانياً : الإخاء الإنسانى .
ثالثاً : المنهجية العلمية .
رابعاً : القانون الأخلاقى .
خامساً : حجم السكان .
سادساً : التنمية الشاملة .

ولعلكم ترون معى أن كل موضوع منها يحتاج إلى وقفة مستأنية ، وأرجو أن يعقب هذا اللقاء ندوات أكثر تفصيلا ، تستطيع أن تحول الخطوط العامة إلى برامج تفصيلية عملية نجد تطبيقها المرن فى حياتنا .

والبدء – كما ترون – من الإيمان وتحديد مركز الإنسان فى الكون، وأنتقل معه إلى علاقته بأخيه الإنسان ، ثم إلى منهجه فى سعيه الرائد إلى الحقيقة ومزيد من العلم . وهو فى سعيه عليه أن يلتزم بقانون أخلاق يعيش به وترجع إليه تصرفاته ، ثم علينا أن ندرس الحجم السكانى ومشكلاته، وتلتقى هذه الدراسات جميعاً فى تنمية شاملة متكاملة .

هذه هى استراتيجية البحث ونقاطه الأساسية ، أنتقل منها إلى عرض متتابع ومترابط لهذه العناصر .

أولاً – الإيمان :

١ – ويربط الإسلام فى أول آياته نزولا بين الإيمان والعلم : « اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ، خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ، الَّذِى عَلَّمَ بِالقَلَمِ ، عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » (العلق : ١ – ٥) .

وتبين الآيات الكريمة أن للإنسان رحلتين : أولاهما رحلة الخلق « خلق الإنسان من علق » والثانية رحلة العلم الإيجابية المستمرة فى حياته وفيها يدأب على ارتياد طرق المعرفة فى الأنفس والآفاق، فى تكوين الإنسان وتكوين الكون . وهذه جميعاً طرق إلى الإيمان .

فنحن نقرأ باسم ربنا الذى خلقنا . وكل ما نكسبه من علم ، يزيدنا تواضعاً أمام خالق هذا الكون كله ، وزيادة إيمان بوجوده . .

٢ – هذه القضية مستمرة فى الوجود الإنسانى كله. قضية الإنسان من حيث هو إنسان فى كل عصر ومكان . ومهما تتابعت القرون وتباينت الأقطار فلكل منا – دائماً – هاتان الرحلتان : رحلة الخلق ورحلة العلم . وبهما تصبح أبواب الإيمان فى زيادة مستمرة . ويستطيع علماؤنا بما يكشفون كل يوم من جديد يؤكد وحدة الإرادة والتكوين فى هذا الكون الكبير ، وفى النفس الإنسانية . . يستطيع علماؤنا أن يقدموا لنا

زاداً نامياً لتأكيد الإيمان بالله تعالى .

والجديد الذى يكشف كل يوم فى وجودنا هو الذى دعا عالماً جليلا « كأينشتين » إلى أن يقول أمام روعة هذا الكون :

« إن الذى لا تجيش نفسه لهذا ، ولا تتحرك عاطفته ، حى كميت. إنه خفاء لا نستطيع أن نشق حجبه . ومع هذا نحن ندرك أن وراءه شيئاً هو الحكمة أحكم ما تكون . ونحس وراءه شيئاً هو الجمال . أجمل ما يكون .

« وهو حكمة ، وهو جمال ، لا تستطيع أن تدركهما عقولنا القاصرة إلا فى صور بدائية أولية . وهذا الإدراك للحكمة . وهذا الإحساس بالجمال — فى روعته — هو جوهر العبادة عند الناس .

« إن الشعور الدينى الذى يستشعره الباحث فى الكون هو أقوى حافز على البحث العلمى وأنبل حافز .

« إن دينى هو إعجابى — فى تواضع — بتلك الروح السامية التى لاحد لها . تلك التى تتراءى فى التفاصيل الصغيرة القليلة التى تستطيع أن تدركها عقولنا الضعيفة العاجزة . وهو إيمانى العاطفى العميق بوجود قدرة عاقلة مهيمنة تتراءى حيث نظرنا فى هذا الكون المعجز للأفهام . ومن هنا ينبع إيمانى بالله » .

٣ — والإسلام يبدأ قضية الإيمان مصدقاً بجميع الأنبياء والمرسلين . والمسلم يتقرب إلى الله بمدح أنبيائه . والإيمان بهم جزء من الإيمان بدينه مصداق قول الله تعالى : « آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ » (البقرة : ٢٨٥) . وإن القرآن لا يقتصر على ذكر الأنبياء ، وإنما يقص علينا أخباراً عن الصالحين من أتباعهم ، ويتخذ من هؤلاء جميعاً معالم منيرة على طريق الإيمان بالله تعالى .

بل إنه ليعتبر ما قصه علينا من أخبار الرسل اختياراً من عدد أكبر لم يذكره كله ، وفى هذا يقول الله تعالى : « مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ » (غافر ٧٨) فهناك فى تاريخ الإنسانية جهود وجهود لم ترد كلها فيما جاءنا من وحى الله .

٤ — فمن هذه النظرة الشاملة التى تضم جهود الأنبياء والمرسلين ، ومن فتوح العلم فى الأنفس والآفاق ، نستطيع أن نجد مجالا واسعاً للتعاون يدعو إليه الإسلام كما تدعو إليه المسيحية فى توسيع دائرة الإيمان وتعميقه فى نفس الإنسان المعاصر . يستطيع رجال العلم أن يقدموا الكثير من المواد العلمية التى تعين على تأكيد الإيمان . وأن يتعاون رجال العلم ورجال الدين من مسلمين ومسيحيين فى هذا الأمر فى لقاءات متخصصة . وإلى هذا ذهب المؤتمر الإسلامى المسيحى العالمى الأول الذى شهدته قرطبة ما بين ١١و١٥ سبتمبر ١٩٧٤ فى مقرراته . . بل إن هذه المعلومات العلمية المؤكدة للإيمان، تستطيع أن تجد طريقها إلى عظات رجال الدين من مسلمين ومسيحيين . . وتستطيع طريقة العرض العلمى — مع الاحترام الكامل للمنهجية — بل من أجل الاحترام الكامل للمنهجية — أن تكون موجهة نحو هذا الهدف دون لجوء إلى أساليب التلقين التقليدية ، ولكن معينة للأجيال الجديدة على الوصول إلى حقائق الإيمان عن طريق الملاحظة والتجربة والتعاون العلمى المشترك . وسنعرض لهذا عند دراسة المنهجية العلمية .

٥ — إن الإيمان بالله يحدد الخيط الأول الذى يعرف به الإنسان موقعه من الوجود . . وإن الإسلام يجعل كل إنسان يبدأ مع خالقه صفحة جديدة لا يحمل فيها وزر أحد ولا أخطاءه . . والإنسان فى القرآن هو خليفة الله فى أرضه . . مر أبوه الأول بتجربتين :

الأولى : علّمه الأسماء فتعلمها . وسأله عنها أمام الملائكة فقالها، وأسجد له ملائكته ، وأسكنه جنته ، وكفل له أموراً أربعة هى أساس

فى حاجات الإنسان : « إنَّ لكَ ألاَّ تجوعَ فيها ولاَ تعرَى . وأنَّكَ لاَ تظمأُ فيها ولَا تضحى » (طه : ١١٨ — ١١٩) — الطعام والشراب والملبس والمسكن — ونهاه نهياً صريحاً عن الأكل من شجرة معينة ، ودار الصراع بين صريح الأمر الإلهي والطموح الذى يحاول به الإنسان أن يتخطى حدوده « مَا نهَاكُمَا ربكُمَا عنْ هذه الشَّجَرة إلاَّ أن تكونا ملكين أو تكونا منَ الخالدين . وقاسمَهُمَا إنِّى لكما لمن الناصحين . فدلاَّهُمَا بغرُورٍ » (الأعراف : ٢٠ — ٢٢) .

الإغراء كان للأبَ الأول والأم الأولى . الصراع فى النفس كان طلبًا للخلود أو أن يكونا ملكين . الخطأ كان من الاثنين . ثم تسمع قول الله فى القرآن : « وعصَى آدمُ ربَّه فغوَى . ثم اجتبَاه ربُّه فتَاب علَيه وهدى » (طه : ١٢١—١٢٢) ، وقوله تعالى : « فتلقى آدم منْ ربِّه كلمات فتَاب علَيْه إنه هُوَ التَّوَّاب الرَّحيم » (البقرة : ٣٧) .

وجاء بعد الذنب توبة . ومع التوبة اجتباء واختيار لهذه المهمة السامية : « وإذْ قَالَ ربُّكَ للْملاَئكَة إنِّى جاعلٌ فى الأرْض خليفَة » (البقرة : ٣٠) .

فى المفهوم القرآنى كانت التجربتان مدرسة لآدم — فى الاتباع وفى الخطأ — ومع الاتباع سجود الملائكة . ومع المعصية غواية ، ثم تتداركه رحمة الله بالتوبة ، ويختاره خليفة ، ويكلفه هو وأبناءَهُ بعمارة هذه الدنيا . فحين أعامل ربى أعامله من صحيفة بيضاء لا أحمل فيها وزر أحد ، وإنما ينطبق علىَّ قول الله : « وكُلَّ إنسَان ألزمْنَاه طَائرَه فى عنُقه ونُخْرج له يوْم القيَامَة كتَاباً يلْقَاه منْشُوراً . اقْرَأْ كتَابَك كَفَى بنفسك اليوم علَيْكَ حسيباً . منْ اهتدى فإنما يهْتَدى لنَفْسه ومَن ضَلَّ فإنما يضلُّ علَيْها ولا تزرُ وازرَة وزْرَ أخْرَى ومَا كُنَّا مُعذِّبين حتى نبعث رسولا » (الإسراء : ١٣ — ١٥) .

ذكرت هذا الموضوع لأنه أساس فى بحث المسئولية فى الإسلام ، وموقف الإنسان من خالقه ، وبيان لمهمته فى كل العصور . وهو بنص القرآن الكريم : الخلافة — عن الله — وعمران الأرض — والتقدم بها . وأن يتعاون مع إخوانه من أجل ذلك . هذا ينقلنا إلى الحديث عن :

ثانياً — الإخاء الإنسانى :

فكما يقيم الإسلام الحياة على أساس من الإيمان بالله ورسله والعمل الصالح فى هذه الدنيا والجزاء الأخروى . وأن يبدأ الإنسان حياته مع خالقه بصحيفة بيضاء ، يقيمها على أساس من الإخاء الإنسانى الشامل الذى يعلو فوق فروق اللون والجنس والطبقة والإقليم الجغرافى والمستوى الاقتصادى والاجتماعى .

وما التفرقة العنصرية والحواجز اللونية ؟ إننا فيها نحاول أن نحمل الابن «ذنب» لون أبيه إذا كان فى اللون ذنب . ومن هنا يأتى الارتباط الوثيق بين أن أبدأ حياتى فلا أحمل ذنب أبى الأول ، وأن أبدأ حياتى لا أحمل عاقبة أبى أو وضعه الاجتماعى . ويأتى التكامل فى النظرة الإنسانية بين موقفى من أبى الأول وأبى المباشر . ولا يعدو اللون فى الإسلام أن يكون مظهراً لقدرة الله تعالى وانعكاساً جزئياً لظروف البيئة الطبيعية .

أنت وأنا وهو . . وكل إنسان فى الخلق سواء . . بيننا المساواة فى نسبتنا إلى الأب الأول . ونحن جميعاً — حيث نكون أسرة إنسانية كبيرة واحدة تربطها صلة الأرحام وفى هذا نقرأ قول الله تعالى :

« يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْهَا زَوجَها وبَثَّ مِنهُمَا رِجَالاً كَثِيراً ونِسَاءً . واتَّقُوا اللهَ الَّذِى تَساءلونَ بِهِ . والأَرْحامَ إِنَّ اللهَ كانَ عَلَيْكُم رَقِيباً» (النساء : ١) ؛ وقول الرسول عليه الصلاة والسلام فى حجة الوداع : « أيها الناس كلكم لآدم وآدم من تراب ، ليس لعربى فضل على عجمى إلا بالتقوى » . .

من هذا المدخل يقيم الإسلام حياة الإنسان المعاصر على أساس المساواة مع إخوانه فى الإنسانية .

وأنت ترى حول الكعبة حجاجاً من جميع أجزاء الأرض ، تختلف ألوانهم وأجناسهم ، يلبسون ثياباً بسيطة ، خلت من التفاخر والزينة . ويؤدون شعائر واحدة أمرهم بها ربهم . ورأوا نبيهم والذين اتبعوه بإحسان يؤدونها جيلا بعد جيل ، ويستلمون — أو يحاولون — استلام الحجر الأسود. هل نقف قليلا عند لون هذا الحجر ، كأنه تحد دائم لكل من ينادى بتفرقة لونية ؟ هل نذكر بلالا الحبشى المؤذن على ظهر الكعبة عام الفتح، فيكون أول صوت فى عهد النبوة يرتفع فوقها بالأذان ، صوتاً ترجع أصوله إلى قارتنا الأفريقية ؟ هل تذكر أستار الكعبة السوداء بجلالها ووقارها وكلنا حولها طائفون وركع سجود ؟ !

إن الإسلام فى هذه الشعيرة يقدم التصوير العملى لنظام الكون . كأن البيت الحرام ومن حوله من العابدين يمثلون نظام الذرة . أو نظام المجموعة الشمسية بدوران كواكبها حول شمسها . ويمثلون وحدة الإنسانية المصدقة بجميع أنبياء الله ورسله على اختلاف ألوانها وأقطارها ، وهى تدور حول بيت الله الواحد قيوم السموات والأرض .

ولقد استطاع الإسلام — عملياً — أن يمتص ما قد طفا على سطح حياته فى بعض العصور من مشكلات تتعلق باللون ، جاءت من تهجير بعض العناصر الأفريقية إلى أجزاء من أرض الإسلام . كما أن المسلمين هاجروا يحملون دعوتهم إلى قلب القارة ، فى حين بقيت هذه المشكلات بارزة برءوسها فى بعض المجتمعات المتقدمة ، وبخاصة فى العروض المعتدلة الباردة . ولا نود ونحن نحاول أن نبنى عالمنا الجديد أن نستعيد رحلات الآلام عبر المحيط الأطلسى إلى الأرض الجديدة وما أصاب سكانها الأصليين أو الوافدين من عنت ، وما يلقاه إخوتنا الأفريقيون فوق أرض الآباء

والأجداد فى أقصى جنوب أفريقيا ، ولكنى أومن أن صوت العلم وصوت الدين يلتقيان معاً من أجل إخاء إنسانى شامل تتساقط دونه حواجز اللون والطبقة والوضع الاجتماعى والمستوى الاقتصادى والعلمى .

وإذا كانت الأمم المتحدة قد جعلت من عام ١٩٧١ عاماً لإدانة التفرقة العنصرية وساهمت وكالاتها المتخصصة وبخاصة اليونسكو والدول جميعاً فى هذه الإدانة ، فعلينا أن نتعاون فى أن نزيل من طريق الإنسان ما بقى من هذه التفرقة عملياً فى مجالات الحياة موضوعياً وإقليمياً ، بدلا من تراكم الآلام وثورات الرفض الإيجابى لهذه التفرقة واختصاراً واعياً وعاقلا لمسار الإنسانية نحو مستقبلها ، دون أن تضطر إلى مزيد من التضحيات بأنفس وأجيال من أبنائها كلهم — من قبل ومن بعد — إخوة فى الإنسانية يأملون — حين يصدقون — فى سلام قائم على العدل » .

وقبل أن أنتقل إلى النقطة التالية أود أن أقف عند مقابلة تاريخية لنؤكد السماحة والإخاء فى حياتنا . .

عندما جاء نصارى نجران من جنوب الجزيرة العربية المدينة المنورة وزاروا الرسول صلى الله عليه وسلم فى مسجد المدينة ، وحان وقت صلاتهم أذن لهم بالصلاة فى المسجد . فاتجهوا ناحية المشرق وأدوا صلاتهم . وعندما دخل عمر بن الخطاب مدينة القدس الشريفة بعد تحريرها من الرومان عام ١٥هـ ، وأذن له البطريرك بالصلاة فى كنيسة القيامة ، فضّل عمر أن يصلى خارجها لئلا يتخذ بعض المسلمين من بعده مكان صلاته ذريعة لإقامة مسجد . . وفى دير القديسة كاترين فى سيناء العربية ، نجد مع الكنيسة مسجداً يؤدى فيه المسلمون صلاتهم . وفى زيارتنا الأخيرة لقرطبة دعانا الإخوة المسيحيون هناك إلى أداء صلاة الجمعة فى مسجدها الجامع[1] بعد أن انقطعت فيه الصلاة قروناً ،

(١) ٢٦ من شعبان ١٣٩٤ الموافق ١٣ من سبتمبر ١٩٧٤ م .

كما دعونا بعد هذا إلى حضور قداس فى الكاتدرائية المقامة فى المسجد . . وكانت الكلمات التى ألقيت فى كل من اللقاءين الإسلامى والمسيحى داعية إلى الإخاء والمودة والاحترام المتبادل .

هكذا بدأنا ، وهكذا بدأنا نعود ، بعد رحلة طويلة عسى أن نستطيع تأكيد الإخاء والسماحة .

ثالثاً — المنهجية العلمية :

عرضت لجانب من مكانة العلم عند الحديث عن الإيمان ، وتأكيد التفاعل المتبادل بينهما . ومفهوم العلم فى الإسلام شامل يضم المعرفة فى أوسع مدلولاتها . . نراه فى القرآن منسوباً إلى الله وملائكته ورسله والصالحين من عباده وجاء وصفاً لوحى الله ، كما جاء لما يكسبه الناس من معرفة من خلال تجاربهم وإضافاتهم وسعيهم فى الأرض .

واعتبر الإسلام طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة . وإذا كان هناك حوار بين العلماء حول حدود العلم الذى هو فريضة ، فالذى يعنينا هنا هو الحث على طلب العلم وأنه فرض ، وأن على الإنسان أن يرحل فى سبيله ويهاجر . وهو مثاب على كل خطوة يخطوها فى هذه السبيل . ويرفع الإسلام من شأن العلماء فيجعل مداد العلماء كدماء الشهداء .

وإذا كنا فى المفهوم المعاصر لم نعد نطلق العلم بهذا الشمول وإنما نقصره على مجموعة من المعارف النامية تنظمها وحدة وقوانين . . وأن المنهجية العلمية تقوم أول ما تقوم على قواعد تعارف عليها علماؤنا من الملاحظة والتجربة ، وإعادة الاختبار والتقييم والمقارنة واستخلاص النتائج ثم تطبيقها ، ودراسة هذا التطبيق ؛ فإن الإسلام من ناحيته — يدعو إلى التجريب ويحذر الإنسان من اتباع طريق لا علم له به . . بل إنه ليعتبر عدم

استخدام العقل خطيئة. ولنعد معاً إلى آيات من القرآن الكريم فى هذا المجال :

١ — « ولا تَقْفُ ما لَيْسَ لك به علمٌ إنّ السَّمْعَ والبَصرَ والفُؤاد كل أولئك كانَ عَنْه مَسْئُولا » (الإسراء : ٣٦) .

٢ — « هَلْ يَسْتَوِى الّذِين يَعْلَمُون والّذِين لا يَعْلَمُون » (الزمر : ٩) .

٣ — « وقَالُوا لَوْ كُنّا نَسْمَعَ أو نَعْقِل ما كُنّا فى أصْحَاب السَّعِير ، فَاعْتَرفُوا بِذَنبهم فَسُحْقاً لأصْحاب السَّعِير » (الملك : ١٠ — ١١) .

ولقد عنى علماؤنا بتأصيل مناهجهم العلمية. وابتدعوا طرائق فى التحقيق العلمى تفردوا بها ، لعل أبرزها مناهج الجرح والتعديل وتحقيق الأحاديث الشريفة .

فكل الجهاد العلمى مادام مقصوداً به خير الإنسانية يلقى من الإسلام دعما وتأييداً . وهو فى الإسلام عبادة حين يرتبط بالنية الصالحة . . عبادة فى محراب هذا الكون الكبير بين يدى خالق هذا الكون .

الإسلام دعوة إلى مزيد من البحث فى عالم الإنسان والكون الكبير : والله تبارك وتعالى يقول : « سَنُرِيهِم آياتِنا فى الآفاقِ وفى أنْفُسِهم حتى يَتَبيَّنَ لَهُمْ أنه الحق » (فصلت : ٥٣) .

وإذا عرضنا لمراتب البحث العلمى فى أكمل مظاهرها وجدناها أربعة :

١ — مرتبة التجارب والمشاهدات .
٢ — مرتبة المقارنات والمقابلات .
٣ — مرتبة الفروض الخصبة .
٤ — مرتبة الإلهام . وفيها سنجد لقاء قوياً بين العلم والدين .

١ — ونحن نعلم أن التجربة هى أساس البحث العلمى . ولها أصولها وقواعدها . والإضافات الإسلامية فى مجال العلوم البحتة قامت على أسس

عريضة من التجارب . : فى الكيمياء – فى الطب – فى الزراعة – فى العمارة :

٢ – وفى اتصال المسلمين بالحضارات السابقة أخضعوا نتائجها لتجاربهم ، واستطاعوا تصحيح أخطاء سابقة . كما حدث فى قياس محيط الأرض بتوجيه من الخليفة المأمون العباسى ، وذكر القصة ابن يوسف المصرى (المتوفى سنة ٣٩٩ هـ – ١٠٠٩ م) . فى الباب الثانى من كتاب الزيج الحاكمى الكبير نسبة إلى الخليفة الحاكم الفاطمى . وقد كلف المأمون فريقين من العلماء : : كل فريق من اثنين ليقوما فى مكانين مختلفين بالقياس فى وقت واحد ، وجاء القياسان متفقين . ويعقب نالّينو على ذلك بقوله فى كتابه علم الفلك : تاريخه عند العرب فى القرون الوسطى – ط . روما ص ١٩١ – ٢٨٤، « قياس العرب (لمحيط الأرض هو أول قياس حقيقى أجرى كله مباشرة على كل ما اقتضته تلك المساحة . . من المدة الطويلة والصعوبة ، واشتراك جماعة من الفلكيين والمساحين فى العمل فلا بد لنا من إعداد ذلك القياس فى أعمال العرب العلمية المجيدة المأثورة[1] » .

ومن هنا تبدو تطبيقياً العلاقة الوثيقة بين التجارب والمقارنات والمقابلات ، فالمسلمون يتقبلون التراث الماضى بقبول أو رفض كاملين . . ما رفعوه إلى مرتبة تعلو على النقاش ولا أحرقوه أو أغرقوه . . ولكنهم نظروا إليه كجهد إنسانى يخضع للمقارنة والمقابلة ، ومن هنا كان جانب من إضافتهم إلى التراث الإنسانى .

٣ – ومع دعوة الإسلام نظرياً وتطبيقياً إلى التجربة والمقابلة فإنه

(١) راجع : عبد الرحمن بدوى : دور العرب فى تكوين الفكر الأوربى فى فصل : قياس محيط الأرض ص ٢٣٠ – ٢٣٤ ط . القاهرة ١٩٦٥ .

يسير إلى المرحلة الثالثة من الفروض الخصبة . . نقول الخصبة : : لأنها تجمع بين نتائج المرحلتين السابقتين ، وتحاول أن نقدم فروضاً تحتمل الخطأ والصواب ، ولكنها فى الوقت نفسه تدعو إلى مزيد من البحث ، وتفتح فيه آفاقا جديدة . والقدرة على تخيل الفروض العلمية الخصبة قدرة خاصة لا تتوافر إلا لمن لهم مواهب كبيرة فى هذا الباب ، وتاريخ العلم ملىء بالفروض الخصبة التى أعانت على فتح آفاق من العلم جديدة .

٤ – وهذه مرتبة تكاد تلتقى فيها إلهامات العلماء بالمتصوفة ، وتكاد أن تكون إشراقاياًتى بعد المعاناة الطويلة فيدل الباحث على الحل الصحيح[١].

وهذا الإلهام لا يهبط دون استعداد أو فى أى مكان وإنما – عملياً – أنسب أمكنته معامل العلماء والبيئات العلمية المنظمة وتمهيد العلماء فى المراتب الثلاث السابقة . ولنا أن نطبق هذا على نظريتى التطور والنسبية ، وما سبق كلا منها من بحوث عظيمة فى الرياضيات والفيزياء . ولهؤلاء العلماء الجهابذة أثرهم فى دفع الحركة العلمية ، لافى قطرهم وحدهم ولكن فى غيره من الأقطار . .

آثرت أن أذكر هذه المراتب الأربع بهذا الشمول لأؤكد التأثير القوى المتبادل بين العلماء على الصعيد العالمى .

وإن الإسلام فى عهود قيادته الحضارية فتح الباب أمام الإنسان ، كل إنسان وأى إنسان . وفى ظل الدولة الإسلامية كان العلماء من مسلمين ومسيحيين ويهود وغيرهم يجدون الجو العلمى الذى يعملون فيه ، والرعاية والحماية . وكانت الأوقاف الكثيرة على دور العلم ومعاهده ، ودور الحكمة ، تعين الباحثين على التفرغ والتوفر على بحوثهم . .

---

(١) انظر فى هذا : محمد كامل حسين : متنوعات ٢ : ١٣٨ – ١٦٢ وفيه دراسة عن البحث العلمى ط . القاهرة (بدون تاريخ) .

وإننا كمسلمين فى هذا العالم المعاصر نحاول جاهدين أن نطبق ذلك . وهناك أقطار إسلامية يلتقى فى جامعاتها أبناء الإسلام من أكثر من ثمانين قطراً يجدون الاستضافة العربية الكريمة . . . وهذه كانت تقاليد جامعاتنا العريقة من قديم : فى الأزهر ، والزيتونة ، والقرويين على سبيل المثال . . وإننا لندعو باسم الإسلام إلى مزيد من الإخاء العلمى ، وإلى دعم التعاون بين الباحثين ، وإلى تبادل المعرفة ، فهى كالنور والهواء والماء . فهذا تطبيق للقول الإلهى الأول : « اقرأ باسْم ربّك الّذى خلق » (العلق : ١) فنجعل القراءة والعلم والقلم حقّاً لكلّ إنسان فى حياتنا المعاصرة .

رابعاً ــ القانون الأخلاق :

ولا أتحدث هنا عن قانون أخلاق جامد ، وأستطيع أن أضرب المثال من حياة الأنبياء أنفسهم . إنهم ــ كما يوضح القرآن الكريم ــ نماذج من الأخلاق الكريمة ، ولكنك واجد فى حياة كل منهم تركيزاً على جوانب كانت أكبر ما يحتاج إليه عصرهم ، وأنت واجد فى حياة كبار أتباعهم نفس القاعدة . وكان تركيز جهادهم على نقاط الضعف الموجودة فى مجتمعاتهم ، وعلى تأكيد جوانب الخير . وهذه النقاط تختلف من مجتمع إلى آخر . ونستطيع أن نضرب أمثلة قريبة :

حياة المسيح عليه الصلاة والسلام كانت هزة روحية عميقة للوجود الإسرائيلى والرومانى فى عهده ، هذا الفكر الذى اشتد التصاقه بالأرض والمادة والنصوص والمناقشات المجدبة ، حتى أصبحت ــ هذه جميعاً ــ أشواكا متكاتفة تحول دون نمو الزهر والثمر فى حديقة الإنسانية .

جاء معجزة فى ميلاده وطفولته وما أجراه الله على يديه من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى .

ومن قبله جاء يحيى عليه السلام صوتاً صارخا فى البرية منذراً . . فيه العنف

والشدة ليمهد الطريق أمام المسيح :

إن الأساس الأخلاقى الذى نبعت منه تصرفات يحيى والمسيح واحد . ولكن تباين سلوكهما وفق المواقف التى كان على كل منهما أن يقابلها :

وحياة الرسول عليه الصلاة والسلام اقتضت أن يجمع بين الدعوة إلى الله وإقامة الدولة الجديدة فى كافة مجالاتها ، السياسية والاقتصادية والاجتماعية . وقابل المشكلات التى تنجم عن إقامة مجتمع جديد التقت فيه عناصر وفدت من أكثر من مكان فى الجزيرة العربية أو خارجها .

ذكرت هذه الأمثلة لأمهد بها لسؤال :

ماهى المواصفات التى نود أن نركز عليها فى القانون الأخلاقى للإنسان المعاصر ، وما عطاء الإسلام فيها ؟

لقد تحدثنا عن الإيمان ، وعن الإخاء الإنسانى ، وعن العلم والمنهجية العلمية . . ثم سننتقل بعد حديثنا عن الأخلاق إلى الحجم الأمثل للسكان وإلى التنمية الشاملة . والأخلاق فى هذا كله عصارة حية تعين هذه المجالات جميعاً على ما يأتى :

١ ــ أن تحافظ على مستوى سلوكى قادر على صيانة ذاته من الانحراف :

٢ ــ وقادر فى الوقت نفسه على الاستمرار والنمو الأمثل .

٣ ــ وقادر على أن يعيد الفرد أو الجماعة إلى الصواب إذا ما أخطأت أو انحرفت .

٤ ــ وقادر على مقابلة متغيرات الحياة فى محاولة مستمرة للتغلب على عقبات الطريق .

ونحن ــ إنسانياً ــ فى حاجة إلى هذه الخطوط العامة التى يتكون بها المواطن الإنسانى العالمى حيثما كان موطنه . . وإذا كنا ــ كأهل دين ــ نحس بانتمائنا إلى إخواننا فى العقيدة ، فإننا ــ كأهل دين أيضاً ــ

نحس بانتمائنا الإنسانى الكبير ، فى عالم استطاعت فيه طرق الاتصال أن تختزل المسافات ؛ واستطاعت المعرفة أن تختزل العصور والحضارات ، وتعين على اقتراب فجر جديد من التعايش والتفاهم العالميين .

هذا القانون الأخلاقى أساس فى تقدم الحياة . . والرسول عليه الصلاة والسلام يقول : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ، والإتمام بناء على أمر قائم . ووصفه ربه بقوله : « وإنَّكَ لعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » (القلم — ٤) .

وإن مما أعان على تقدم العلم أن قواعده عالمية : الرياضيات — الطبيعة — الكيمياء — الهندسة — الطب . . . بحيث يستطيع من يجيد أى علم من هذه العلوم أن يعمل فى أى قطر مادام يملك أداة اللغة التى تعينه على التخاطب مع أهله . ذلك لأن أصول هذه العلوم أصبحت لغات عالمية يتفاهم بها أبناء هذا التخصص .

وإذا ما بنى المهندس المعمارى بناء فهو يجمع بين أمرين : تمكن من قوانين العلم ، ثم حسن التصرف فيها بما يحقق الهدف من إنشائه مع جمال فى الأداء ، وتناسق مع البيئة الطبيعية والحضارية .

ونحن لا نرى فى اتباع المهندس لقواعد الهندسة قيداً على حركته ، بل إن الحرية الحقيقية هى فى حسن استيعابه لهذه القواعد وتصرفه فى حدودها . ولا أتصور الأخلاق فى شمولها غير هذا :. إنها هندسة النفس الإنسانية ، وإن السلوك الإنسانى فى تنوعه مع وحدة المصدر الأخلاقى لا يختلف — من هذه الزاوية — عن هندسة الإنشاء . .

ونحن محتاجون إلى هذه اللغة الأخلاقية العالمية ، أو على الأقل إلى خطوطها العامة . وما يدعو إليه الإسلام هو شيوع هذه اللغة الأخلاقية ، إذا كان لنا أن نستخدم هذا التعبير ، وأن يتسع تطبيقها من مجال الأسرة الصغيرة ودور العبادة إلى الحياة على اتساعها . . نحن محتاجون إلى لغة أخلاقية فى حقوق الإنسان :. وفى حقوق الشعوب فى إقامة السلام على العدل .

ولكن أن تصبح الأخلاق قمراً صناعياً تابعاً، يدور مرة فى فلك المصلحة ومرة فى فلك القوة .. فلا يتحدث بها إلا الضعيف لينال حقه. . فصورة نؤمن من قلوبنا أنها غير سليمة ، وتفرض علينا أن نتعاون جميعاً فى ألا تصبح الأخلاق أضعف المشتركين فى معترك الحياة . ولتكن قوتنا وقدراتنا وسائل لدعم القيم التى تثرى بها الحياة . .

وبين أيدينا مثال حى :

لقد كان حقنا نحن العرب واضحاً وقوياً فى أرضنا السليبة وفى مقدساتنا ، وفى الحفاظ على عروبة القدس وحقوق شعب فلسطين فى وطن آبائه وأجداده .. ولكن ظلت حقوقنا فى حالة كمون ، خافتة الصوت ، محدودة الحركة ، تدخل إلى المجامع الدولية لتأخذ مكاناً تقليدياً تزداد به الأوراق والقرارات التى لا تستطيع الحياة خارج حوائط المجامع الدولية . . ظلت كذلك حتى استطاعت هذه الحقوق أن تحرك المؤمنين بحقهم فى حرب رمضان المجيدة[1]، تؤيدهم الشعوب والحكومات العربية، ومن ورائهم العالم الإسلامى ، واستجابت لهم قلوب وعقول فى العالم المسيحى والرأى العام العالمى ، وكان عبورنا تحقيقا لسيطرة شريعة الأخلاق على شريعة الغاب وصيانة لمقدسات الأنبياء .. مسرى النبى ومولد عيسى وأرض النبوات .

وكما نحن فى حاجة إلى هذا الميثاق الأخلاقى لصيانة أرضنا واستقلالنا، نحن فى حاجة إليه فى عمارتها اقتصادياً وعلمياً ، وتعاوننا الداخلى والخارجى.

وهذا أيضاً مجال واسع من مجالات التعاون الإسلامى والمسيحى ، الذى نرجو أن يتسع ويعمق فى لقاءات بين العلماء تمهيداً للقاءات أوسع بين العاملين فى حقول الحياة العريضة .

---

(١) عام ١٣٩٣ هـ - أكتوبر ١٩٧٣ م .

خامساً ــ حجم السكان :

وهذا الموضوع يمكن أن نعرض له على مستويات متعددة ومتتابعة ، فى الأسرة ، الأمة ، القارة ، الأقاليم الدينية ، العالم .

وقد دعت الأمم المتحدة إلى اعتبار عام ١٩٧٤ « سنة سكانية » يعنى فيها العالم كله ببحوث السكان . وشهدت الدول ــ بوفود على مستوى عال من الكفاية العلمية مؤتمر السكان العالمى فى بوخارست فى الثلث الأخير من شهر أغسطس الماضى (١٩٧٤ م)

القضية عالمياً مطروحة . وهى هنا فى مؤتمرنا هذا مطروحة ، ولها جلسة خاصة . ولهذا سأكتفى بأن أعرض لرءوس الموضوعات بحيث يتكامل العرض الذى بين أيدينا :

١ ــ فالتنظيم فى الإسلام مرغوب فى كل أمر . وهذا الكون كله له نظامه . يقول تعالى : « مَا تَرَى فِى خَلْقِ الرَّحْمنِ مِن تَفَاوُت » (الملك : ٣) ، وهناك وحدة فى تنظيم هذا الكون نراها فى نظام الذرة ، وفى الجدول الذرى للعناصر ، كما نراها فى المجموعات الشمسية .

ولا تستطيع الأسرة وهى نواة المجتمع أن تعيش بغير نظام . فلو اختلت لسرى اختلالها إلى المجتمع الكبير . ولقد وضع الإسلام للأسرة نظامها : فى العلاقات الإنسانية بين الأب والأم والأبناء . وعلاقاتها الاقتصادية فى مصادر الكسب وأبواب الإنفاق وتوزيع الثروة . وعلاقاتها الاجتماعية من حيث غرس العقيدة والمبادئ التى تمكن الفرد من الوفاء بالتزاماته نحو أسرته ومجتمعه . فهى بهذا وحدة متحركة . . ولا يمكن أن تتحرك بكامل فاعليتها بقيادة رب الأسرة أو ربتها ما لم يكن عدد الأسرة نابعاً من نظام . ولك أن تتصور حركة مصنع أو حتى حفل أو اجتماع . . دون أن يعرف المسئول فيه عدد المتحدثين والعلاقة بين سعة المكان وعدد الحاضرين .

٢ ــ إن قيادة المجتمع مسئولية . وقيادة الأسرة مسئولية . ولا يمكن تنظيم أمر المجتمع مالم تكن خطوات القادة المحليين ــ وهم أرباب الأسر ــ متناسقة مع خطوات القيادة العامة للمجتمع فى مسئولياتها عن الإنتاج والخدمات وحماية المجتمع داخلياً وخارجياً ، وهذه القيادة ينبغى أن تكون على أساس علمى . ولاعلم بدون إحصاء . وكثيراً ما تضيع منا هذه الحقيقة إذا كان الأمر متصلا بالدين . . كأن كل أموره ذاتية وكيفية . . وكأن البحث العلمى موضوعى وكمى .

٣ ــ ولكن الأمر فى الإسلام غير ذلك ، فهو يجمع بين الكم والكيف ، والذات والموضوع . والإسلام يقوم فى جوانب كثيرة منه على الحساب والإحصاء :

العقيدة توحيد . ودون دخول فى تفاصيل العلاقة بين الدراسات الرياضية والدينية ، نرى أن الواحد الصحيح هو الرقم الأوسط : ما دونه كسوره ، وما فوقه مضاعفاته ، وفى الإسلام الصلاة لها عدد معين من الركعات . وكل ركعة لها حركاتها المحسوبة من قيام وركوع وسجود ، مع مرونة فى التطبيق إذا كنت وحدك ، والتزام بالإمام إذا كنت فى جماعة . والصوم أيام معدودات . والحج أشهر معلومات . والطواف والسعى تحدده أرقام . وكل أنصبة الزكاة تستطيع أن تردها إلى أساس رقمى يتدرج من ٢,٥٪ إلى ٢٠٪ . . ثم حسابنا يوم القيامة بميزان العدل فى ظل الرحمة . ونستطيع أن نجمع هذا كله فى قول الله تعالى : « والسَّماءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ المِيزَانَ . أَلاَّ تَطْغَوْا فِى المِيزانِ . وَأَقِيمُوا الوَزْنَ بِالْقِسْطِ ولا تُخْسِرُوا المِيزَانَ » (الرحمن : ٧ ــ ٩) .

٤ ــ ألا يدعونا هذا الميزان الذى أمرنا ربنا بوضعه إلى أن يكون لنا

ميزاننا السكانى بين الحجم والموارد . .

على مستوى الأسرة ينظم هذا الميزان العلاقة بين أفرادها على مستويين : رأسى وأفقى . وأقصد بالرأسى العلاقة بين الأجيال المتتابعة ، والأفقى العلاقة بين الإخوة أو بين الجيل الواحد ، ثم ينطلق منها إلى العلاقة بين الأسرة والمجتمع الكبير . والتنظيم السكانى هنا ليس هروبا من مسئولية ، بل يمكن أن نقول « إن التنظيم حب ومسئولية » حب لأبنائى فأرعاهم كأحسن ما تكون الرعاية ، ووفاء بمسئوليتى نحوهم وهى مسئولية قدسها القرآن حين اعتبر القرآن الأبناء « قرة أعين » (الفرقان . ٧٤) و« زينة الحياة الدنيا » (الكهف : ٤٦) وعلى أن أوفر لأبنائى الفرص وأتعاون معهم على أن يكونوا عملياً قرة أعين وإضافة لهذه الحياة ، وإذا كنا فى الإسلام ندعو ربنا قائلين : « رَبَّنَا ولاَ تُحمِّلْنا مَالاَ طَاقَة لنا به » (البقرة : ٢٨٦) ، فأول مايتجه إليه الفكر حجم الأسرة الأمثل الذى أستطيع الوفاء بمسئولياته ، وبالتالى الحجم الأمثل للمجتمع وعلاقته بالدولة . وهنا ستتجه العناية مع النمو العالمى السريع إلى ارتفاع المستوى الكيفى للأبناء . . فلا يكون نمو المجتمع مجرد زيادة مسطحة يزداد به عدداً وإنما نمو كيفى يزداد به الفرد فاعلية وقدرة على مقابلة حاجات المجتمع المتجددة .

٥ – ولكنى أود أن أقول : إنه ليست هناك صيغة ثابتة جامدة علينا أن نطبقها على كل أقطارنا . فالسياسة السكانية تنبع عملياً – أكثر ما تنبع – من مستوى القطر نفسه . إنها تستطيع أن تستفيد من الخبرات والاتجاهات العالمية ، وأن تتصرف بوحى من عقيدتها . وأن توجد الدولة والمجتمع – على الصعيد القومى – الصيغة الملائمة له : ولكن – حتى على مستوى القطر – ستجد أن الأمر – عملياً – أمر تراض بين الأب والأم . ثم من حق الأبناء أيضاً أن يكونوا فى أمان على مستقبلهم . ومن حق الدولة ألا نحملها برغبات الأفراد فى زيادة حجم أسرهم بأكثر مما تطيق .

فليكن هناك البحث عن الحجم الأمثل للسكان ، وكيف نسير إليه ؟ وكيف نضع التنمية فى خدمة السكان . وكيف نرتفع ارتفاعا دائما مستمراً بالكيف السكانى . وهذا عندى من أهم الجوانب التى ينبغى أن تتجه إليها البحوث . ولا نستطيع أن ننظر إلى قطر يعانى من خلخلة سكانية مثلما ننظر إلى قطر مكتظ بالسكان . أو نطالب قطراً سبق أن عانى من نزيف سكانى انتقل به جانب من سكانه إلى آفاق جديدة وعالم جديد .. ثم نقول له حافظ على عددك الحالى . . ولا أن تكون فى الدراسات السكانية شبهة سيطرة لون على لون أو جنس على جنس أو عقيدة على عقيدة . ولهذا ينبغى أن تبدأ دراساتها من احترام عميق للإنسان باعتباره ثمرة كريمة أبدعتها العناية الإلهية ، وكلفتها بخلافة الله فى أرضه ، تعمرها على أساس من نورالوحى والعلم — فى ظل الإخاء .

وعلينا ونحن نضع سياساتنا أن نحقق هدفين :

أولهما : أكبر قدر ممكن من التقدم للسكان ، وثانيهما : حجم أمثل للسكان .

أما الجوانب الشرعية فى التنظيم وتقويم كل وسيلة من وسائله فأعتقد أن هذا من نصيب الجلسة الخاصة بهذا الموضوع ، وسأكتفى بالإشارة إلى مجموعة الدراسات التى أصدرها الاتحاد العالمى لتنظيم الوالدية بعنوان « الإسلام وتنظيم الأسرة» وسجل فيها بحوث ومناقشات المؤتمر الإسلامى الذى عقد فى الرباط من ٢٤ — ١٩٧١/١٢/٢٩م .

سادساً — التنمية الشاملة :

من أهم ما تميز به الإسلام فى عهد النبوة الترابط الوثيق بين نزول الوحى وتطبيقه فى الحياة اليومية .

ثلاثة عشر عاماً قضاها الرسول صلى الله عليه وسلم فى مكة ، يدعو إلى

ربه ويعدّ أصحابه ، ويبحث عن قاعدة للإسلام ، حتى وجد هذه القاعدة فى المدينة فأقام فيها أول مجتمع إسلامى متكامل .

هذا مما انفرد به الإسلام . . فلم تتأخر دولته عن دعوته . . بل تكونت والوحى ينزل ، ويبنيها يوماً بعد يوم ، وجمع النبي صلى الله عليه وسلم فى شخصه بين الإمامة فى المسجد والقيادة فى الجيش ، والقضاء بين الناس وحكم الدولة . . وكان المسجد هو الأب الأول الذى تفرعت منه مرافق الدولة ، كما كان الرسول الأسوة الحسنة لمن ولوا مسئوليات هذه المناصب جميعاً ، بعد أن تشعب العمل الإسلامى وتعددت مسئولياته .

ويصور لنا هذا المدخل نظرة الإسلام إلى الحياة فى تكاملها ووجوب تنميتها فى كافة مجالاتها .

وأنت إذا ماعدت إلى القرآن الكريم تقرؤه ؛ وجدته يعطيك فى السورة الواحدة « وحدة حيوية » . ينقلك من العبادة إلى التجارة إلى ميدان القتال ويعود بك إلى بيتك وأسرتك ، ثم يقوم معك برحلة فى صحبة الأنبياء ، ويدعوك إلى تأمل هذا الكون بسماواته وأرضه ، وسحبه وأمطاره ، ويتخذ من هذا كله ما يعينك على إثراء الحياة بالعمل الصالح والإخاء الإنسانى ، ويفتح لك أبواب الأرض والسماء .

وكما رأينا تكامل المجتمع فى نموه ، رأينا تكامل النظرة الإسلامية إلى الوجود . . نظرة تضم الدنيا والآخرة والبشر على امتداد أقطارهم وتعاقبهم ، ومناشطهم على تعددها وتنوعها ، واختلاف ألسنتهم وألوانهم .

وهذه النظرة تنبع من دعوة الإسلام الأولى إلى الوحدة والتوحيد ، مع اعتراف بفروق الأزمنة والأمكنة ، وقبولها — لا لتعميقها — ولكن لاجتيازها ، تقارباً وتعارفاً : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِنْ ذَكَرٍ وأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُم شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُم عِنْدَ اللهِ أتقاكم إِنَّ الله عليم خَبِير » (الحجرات : ١٣) .

وإذا كان هذا هو المنطلق الإسلامى الذى يدعونا إلى الحركة فى كل عصر ، فإن مساهمة الإسلام فيه طبيعية فى عصرنا هذا ، الذى تنادى فيه الشعوب والحكومات والمجامع العلمية بالتقارب والتعاون والإخاء العالمى .

إن هذا التحرك مساهمة إيجابية فى صناعة الحياة الجديدة وتصحيحها بالعلم والإيمان ، وهذا التصحيح يمكن أن يتخذ ثلاثة مسارات متعاونة ومتكاملة . .

الأول المسار السياسى : فالدين يدعو إلى حرية الإنسان فى وطنه وأمنه فيه .. ويجعل الدفاع عن هذا الوطن فريضة وواجباً مقدساً : « أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ » (الحج : ٣٩ — ٤٠) .

وتأسيساً على ذلك نطلب الحرية لأنفسنا وغيرنا ، ولا يستطيع قطر أن يبدأ تنمية حقيقية إلا من قاعدة حرة يحس فيها أن مقاليد وطنه السياسية بين يدى أبنائه . .

وحينما حدد الله مهمة الرسول فى القرآن الكريم قال إنها « يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُم إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ » (الأعراف : ١٥٧) .

وليس هناك من غل وإصر أقسى من ضياع الاستقلال :

يأتى بعد هذا المسار الاقتصادى : ولا بد من تكامل الحرية الاقتصادية مع الحرية السياسية . وأقصد بالحرية الاقتصادية أن تكون مقاليد البلاد الاقتصادية فى أيدى أبنائه . أما أن تتحكم قوى استعمارية قديمة أو جديدة فى هذه المقاليد ، أو أن تكون أسعار السلع العالمية سلاحاً فى يد

الدول القوية تشهره فى وجه الدول النامية أو الصغيرة ، وتحاول أن تحكمها بسلاح الجوع إذا مارغبت عن استعمال السيف ، أما أن تصبح أسعار السلع الصناعية فوق الطاقة ، وتتسع الفجوة بين الموارد الأولية والمصنوعة ، أما أن يتساقط الآلاف والآلاف صرعى الفيضانات والمجاعات والأوبئة — أما أن يحدث هذا كله فالحديث عن الاستقلال السياسى يصبح حديثاً لا رصيد له فى أسواق الحياة العملية .

وإن هذه الفجوة الواسعة بين المنتج والصانع ، بين الدول النامية والمتقدمة ، من أعظم التحديات التى تحاول الدول النامية أن تجتازها . . وإذا كانت هذه الدول الآن نامية ، فلنذكر ما استنزفته الدول المتقدمة من ثروات وبشر ، فى استغلال مدمر . حطم وراءه حضارات ، ودولا ، ثم سحب عليها ذيول التناسى والنسيان فى مؤلفاته التاريخية .

نحن لا نحاكم الأجيال المعاصرة من أبناء الدول المتقدمة على ماصنعه الآباء . . ولا ندينها عليه . . ولكن نود أن نبدأ معهم صفحة جديدة من الإخاء نتعاون فيها جميعاً اقتصادياً وسياسياً على تضييق الفجوة الحضارية بين الشرق والغرب وبين الدول النامية والمتقدمة . . وتوفير الحياة الكريمة والتقدم والأمن لأجيالنا المقبلة .

وهذا التعاون السياسى والاقتصادى يحتاج إلى مسار ثالث هو تكوين الإطارات العلمية القادرة على صيانة الاستقلال السياسى والاقتصادى . . فالمعرفة الآن أصبحت من أخطر أسلحة العصر إن لم تكن أخطر أسلحته . وإذا كنا نقسم الدول إلى نامية ومتقدمة فهذا التقسيم مرادف للذين سبقوا على طريق العلم والذين يحاولون اللحاق بهم ؟

والقضية فى أقطارنا النامية ليست مجرد استيراد أدوات الحضارة ، وإنما صناعة الحضارة نفسها . . حضارة الأفكار لاحضارة الأشياء فقط . . حضارة الابتكار لا حضارة التقليد . . حضارة الإضافات الإيجابية

لاحضارة الترف والتمتع لما يصنعه الغير ، والوقوف عند ذلك :

وهذا يفرض علينا جهداً مضاعفاً فى الجهاد العلمى ، ويفرض على إخواننا المتقدمين أن يتعاونوا معنا على هذا الطريق :

ونحن حين نقدم أيدينا للتعاون لا نقدمها خاوية أو يداً سفلى .. وإنما يد الأخ إلى أخيه فى الإنسانية . . يد طالما أعطت ، ولا تزال قادرة على العطاء ، وتعاونت ، ولا تزال قادرة على التعاون .

إن أرضنا أعطت الإنسانية رسالات السماء ، وسعدت بأن مشى عليها النبيون والمرسلون والحواريون والصحابة . . ورعت العلم وأهله وحملت مشاعله . . والعلم والإيمان جناحان تحلق بهما إنسانيتنا المعاصرة فى آفاق مستقبلها .

هذه صورة التنمية المتكاملة التى نريد بها أن نكون بحق خلفاء الله فى أرضه نعمرها بالإيمان والعلم ، والتعاون والحب ، والإنتاج وعدالة التوزيع ، فى تخطيط ينظر إلى الإنسانية فى شمولها ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، مع مراعاة التباين الإقليمى ، محاولا إيجاد المعابر فوق أخاديد الحياة ، وفتح طرق الاتصال الأخوى عبر القارات ، ومقابلة المشكلات التى تهدد المصير الإنسانى فى محاولة دائبة ليكون المستقبل أكثر إشراقا من اليوم .

وما عندى من اقتراحات قدمته إلى حضراتكم عند دراسة كل نقطة من النقاط الست .

ومن مصر أكرر لكم التحية ، من أرض تعيش الإخاء والوحدة الوطنية ، حارب أبناؤها من مسلمين ومسيحيين معركة رمضان / أكتوبر المجيدة معا . تجاورت فى الحياة منازلهم ، وامتزجت فى المعارك دماؤهم ، وعلى المودة يرعون أبناءهم . إننا فى عالمنا الإسلامى نطلق على أبنائنا أسماء جميع الأنبياء . وعلى بناتنا أسماء كرمها الإنجيل والقرآن ، وفى سمائنا

ترتفع المآذن وأبراج الكنائس . وفى مجامعنا يلتقى الشيخ والقس ، وفى قدسنا الشريف رأت الدنيا كيف تتعايش الأديان وتسرى أنوار المحبة والإخاء .

وأختتم حديثى بما تعلمته من دعاء فى القرآن الكريم :

« ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا » (الكهف : ١٠)

وأشكر لكم حسن استماعكم . .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

المسجد والمجتمع : تجربة ميدانية *

* أساس هذه الدراسة بحث مفصل عنها مزود بملاحق توضيحية ألقى فى الدورة الخامسة لمؤتمر مجمع البحوث الإسلامية (٢٢ من ذى الحجة ١٣٨٩هـ) ٢٨ من فبراير ١٩٧٠م ونشره المجمع فى أعماله ص ٢٣٥ — ٣٣٥ . وقد روجعت هذه الدراسة على ضوء التطوير الذى مرت به التجربة فى وزارة الأوقاف (مصر) حتى نهاية عام ١٣٩٤ هـ (١٩٧٤ م) .

١ ـ هذه التجربة :

هذه تجربة علمية واسعة النطاق ، ساهم فيها عدد كبير من العلماء والوعاظ بدأت مع العام الهجرى ١٣٨٨ هـ (مارس ١٩٦٨م) فى جمهورية مصر العربية ، وأول خصائصها أنها قامت على تخطيط علمى وتعاون واسع :

والهدف الأول من عرض هذه التجربة : هو توثيقها وتشجيعها. والثانى : أن تكون بين أيدى الزملاء العاملين فى حقل الدعوة الإسلامية يلقون عليها من ضوء خبرتهم ما يعين على إثرائها ، وزيادة فاعليتها ، وليكون من وراء العرض حوار خصب يعين الدعاة فى كافة أرض الإسلام على الإفادة من تجارب إخوانهم .

فحتى الآن مازال كل قطر من أقطار الإسلام ، يقابل مشكلات نشر الدعوة الإسلامية على أساس إقليمى فى الغالب ، يرتبط أكثر ما يرتبط بالقضايا المحلية التى تقابل هذا القطر أو ذاك . والمشكلات من حيث طبيعتها يمكن أن نميز فيها بين قسمين واضحين :

الأول : المشكلات التى تقابل الإسلام ككل : من حيث الترابط بين أقطار العالم الإسلامى ، والمواقف المشتركة بإزاء القضايا المصيرية كالحفاظ على عروبة القدس واستعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى والأرض العربية السليبة .

الثانى : المشكلات المحلية التى يحاول بها كل قطر من الأقطار أن يتبين حكم الإسلام فى قضايا حياته اليومية . وجانب من هذه المشكلات إذا كان محلى الموضع ، فإنه شامل المدى . . فقضايا العناية بالشباب ــ على سبيل المثال ــ محلية الموضع فى كل قطر إسلامى ، وقد يكون لكل

قطر خصائصه فى هذه المشكلات ـ كأن تأخذ القضية مظهر الرفض أو العنف ـ إلا أن العناية بالأجيال الجديدة من أبناء الإسلام تحتاج منا جميعا إلى تعاون وتدارس وتبادل فى الخبرات ، وحوار بين أبناء الأجيال المتتابعة وتقويم لهذه التجارب ، ففى ذلك اختصار للجهود والزمن ، ودعم للتعاون بين العاملين فى مجال الدعوة الإسلامية .

٢ ـ تجارب سابقة :

وككل تجربة ، لا يمكن أن نفصل ما يبذل من جهد ، عما سبقنا إليه سلفنا بإحسان ـ جزاهم الله عنا وعن الإسلام خير ما يجزى به عباده الصالحين ـ فقد توفر نفر منهم على تغيير طرق الوعظ وربط الدين بالحياة. ولهم فى هذا مناهج متنوعة يمكن أن تكون وحدها موضوعاً لمؤتمر أو ندوات علمية :

فمنهم من حاول تحديد وظائف العام والعبادات التى تؤدى على مداره ابتداء من المحرم إلى ذى الحجة : وما يرتبط بها من آيات وأحاديث وتراث كريم . ونموذج ذلك ما كتب ابن رجب الحنبلى فى « لطائف المعارف » . ومنهم من اختار « مجالس وعظ » وحشد فيها من الآيات والأحاديث وقصص الصالحين ما يرقق به القلوب . مثال ذلك ما قام به أبو الفرج بن الجوزى فى كتابه « بستان الواعظين » . فالوحدة عند ابن رجب زمنية ، وعند أبى الفرج بن الجوزى موضوعية ،وإن كان فيها جانب زمنى كما فى مجلسه عن الصوم .

وقد تيبست بعض هذه التجارب فى دواوين ظلت لاصقة بالفكر الإسلامى بعد أن أدت دورها فى مرحلة تاريخية معينة . ولا تزال بعض هذه الخطب التقليدية تردد منذ قرون فى المساجد النائية التى لايستطيع علماؤها ـ بحكم العزلة النسبية ـ أن يظلوا على اتصال منتظم بتفاعلات

الحياة الإسلامية فى تدفقها المستمر . وأعطت هذه الدواوين صورة تقليدية عن المسجد وألقت عليه — فى بعض المواقع — ظلا من البعد عن واقع الحياة المتجددة ..

ولا شك فى أن هذه الدواوين — برغم طابعها — قد استطاعت أن تحفظ للإسلام صوتاً يتردد، وأن تؤكد فى الأذهان والقلوب حفظ مجموعة من الآيات والأحاديث وقصص من تراثنا الإسلامى ، يعتبرها كل مسلم جزءاً من زاده فى حياته . ولكنها إذا ما كانت مرحلة ، فقد بقيت بغير إتمام : وإذا كانت منطلقاً ، فقد ظل وراءها فراغ دينى تضل فيه خطوات الشباب . ولا يكفى الضوء الخافت المنبعث منها لكى يبدد ماحوله من ظلمة ، ويكشف له أبعاد الحياة .

وقد حاولت بعض دور النشر المعاصرة أن تقوم بطبع مجموعات من الأحاديث والخطب مرتبطة بالمناسبات ، يقوم بتأليفها كاتب واحد ، أو يشترك فيها عدد من الكتاب ، كما ساهمت المواسم الثقافية المرتبطة بالمناسبات الإسلامية، والتى تنظمها الدول والوزارات والهيئات المعنية بالشئون الإسلامية — ساهم هذا كله فى إحياء الصلة بين الدعوة الإسلامية والمجتمع . وهى جهود تحتاج منا إلى رصد مركزى ، وحبذا لو تواصينا بأن تقوم كل هذه الهيئات ، على الصعيد الإسلامى ، بتبادل مطبوعاتها وأن يصدر لها كتاب سنوى ، أو أن تقوم كل دولة بإحصاء ما يرتبط بالدعوة الإسلامية فى مناشطها كمرحلة أولى ، ثم ترسله إلى هيئة مركزية — كالمؤتمر الإسلامى — ليصدر كتاباً سنوياً شاملا عن هذا الأمر كمرحلة ثانية ، تتواكب — مع جهود مقابلة — فى المجالات الأكاديمية تقوم بها هيئات متخصصة عالمية .

الذى أستهدفه هنا ما يرتبط بالدعوة الإسلامية ، ووضع الخطوط التى تكفل توثيق تجاربها ونشر الاستفادة منها ، ربطاً بين الدين والمجتمع.

ولا شك فى أن هذه الجهود التى سبقت الإشارة إلى بعضها بينها ترابط

وتفاعل ، فالتجارب الإسلامية — عملياً — لا يمكن فصلها زمنياً ولامكانياً ولا موضوعياً :

زمنياً : كل تجربة تستفيد مما سبقها ، وتبنى عليها . وقد علمنا هذا ربنا فى كتابه فقال عن الرسل السابقين مخاطباً رسوله الأعظم صلوات الله وسلامه عليه: « وكُلاًّ نقصُّ عليْكَ من أنباء الرسُلِ ما نُثَبِّتُ به فؤادك ، وجاءك فى هذه الحقُّ وموعظةٌ وذكْرى للمؤمنين» (هود: ١٢٠) وخاطبنا جميعا فقال « لقدْ كانَ فى قَصَصِهِم عِبرَةٌ لأولى الألباب . ماكان حديثاً يُفْترى . ولكن تَصْديقَ الذى بين يديه وتفصيلَ كُلِّ شىء وهُدًى ورحمةً لقوم يؤمنون » (يوسف : ١١١) .

ومكانياً : يأمرنا ربنا بالسير فى الأرض فيقول «قدْ خلَتْ من قبلكُمْ سُنَنٌ فَسيروا فى الأرض فانظُروا كيفَ كان عاقِبةُ المكذِّبين. هذا بيانٌ للناس وهُدى وموعظةٌ للمتَّقينَ » . (آل عمران: ١٣٧ — ١٣٨) يضم فى هذه الآيات الزمان والمكان .

موضوعياً : يأمرنا ربنا بالتدبر فى الأنفس والآفاق « وفى الأرْض آياتٌ للموقنين، وفى أنفُسِكُمْ أفلا تُبصرون، وفى السَّماء رِزقُكُمْ وماتُوعَدون، فوربِ السماءِ والأرْضِ إنه لحقٌّ مثلَ ما أنكم تَنطِقُون» (الذاريات: ٢١ — ٢٣) ، وقوله تعالى: « سَنُريهم آياتنا فى الآفاقِ وفى أنفُسِهِم حتّى يتَبيّنَ لهُم أنه الحق. أو لم يكفِ بربك أنه عَلى كل شىء شهيد». (فصلت : ٥٣) .

كما أن جانباً كبيراً من قوة التجربة يرجع إلى مدى ارتباطها بالمجتمع

واستجابتها لحاجاته المتجددة . ومن هنا تبدو ضرورة الربط الوثيق بين الدين والحياة[1] .

٣ ـ زاد الخطيب :

وأود أن أقف قليلا عند أقرب التجارب السابقة التى قامت بها وزارة الأوقاف فى هذه السبيل فى ميدانى تدريب الأئمة وإمدادهم بالمادة العلمية التى تعينهم على عملهم . فقد أصدرت الوزارة سلسلة « زاد الخطيب» صدر الجزء الأول عام ١٣٨٣ هـ ــ ١٩٦٤ م وأعيد طبعه عام ١٩٦٨ ، والجزء الثانى عام ١٣٨٧ هـ وذلك بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ م .

واستجابت الوزارة من فورها لواجبها المقدس دعماً لمعنويات أمتنا فى معركتها المصيرية ، وشمل الكتاب مواضيع عن : الشباب ودوره فى بناء المجتمع ــ دور التعاون فى دعم الكيان العربى ــ الإسلام والعلاقات الاجتماعية ــ واجبنا فى المعركة ــ العمل والإنتاج فى الإسلام ــ القوة فى الحق طريق النصر . . .

فمن حيث الموضوعات كان هناك ارتباط وثيق بين الدين والحياة . . وكان المنهج المتبع فى كل موضوع أن نذكر عناصره بعد عنوانه ، يلى هذا آيات مختارة وأحاديث . وهذه المادة العلمية تستغرق نحو صحيفة ، من

---

(١) عالج الكاتب هذا الموضوع بكثير من التفصيل فى بحثه (الدعوة إلى الإسلام) المقدم إلى المؤتمر الإسلامى العالمى فى كوالالمبور فى صفر ١٣٨٩ هـ (أبريل ١٩٦٩م) ونشره فى كتابه «مواقف إسلامية » سلسلة اقرأ رقم ٣٢٧ دار المعارف بالقاهرة . ويعتبر بحث ماليزيا أساساً نظرياً لهذا البحث الذى بين أيدينا .

بعدها الخطبتان ، ولم تكن الآيات المختارة هى كل ما يرد فى الخطبة ، وإنما هى دليل للعمل فيها ، على حين تحوى الخطبة قدراً أكبر من الآيات والأحاديث وقصصاً من تراثنا الإسلامى .

هذا إلى مراعاة الاحتفال بالمناسبات الإسلامية كرأس السنة الهجرية ، والمولد النبوى الشريف ، ورمضان ، والعيدين ، وكان أكبر تركيز الجزء الأول من الكتاب على المناسبات الإسلامية فى العام بدءاً من الهجرة النبوية إلى موسم الحج .

٤ ـ التدريب فى هذه المرحلة :

وكان تدريب الأئمة يتم مركزياً فى القاهرة ، فى قاعة المحاضرات بمسجد عمر مكرم . ويشمل التدريب أساساً قدراً من المحاضرات واللقاءات العلمية بين السادة الأئمة وأساتذة الجامعات وكبار رجال الدين . ولم يكن من اليسير أن تستمر المحاضرات فى اليوم الواحد أكثر من أربع ساعات لمدة أسبوعين ، تعقبها اختبارات تحريرية لتقويم مستوى التحصيل . ولم يكن من المستطاع عمليا أن يعود الأئمة لمتابعة المحاضرات بعد الظهر ، إلا على حساب صحتهم . وكان بعضهم ـ لظروف أو عوائق صحية ـ يفضل البقاء فى المسجد .

هذه كانت طبيعة العلاقة بين الإمام والوزارة فى مجالى التدريب والمعلومات فزاد الخطيب هنا إذا كان عنوانا للسلسلة التى اختارتها الوزارة وقتئذ ، فقد كان ـ عملياً ـ يحدد نقطة الانطلاق التى يمكن أن يبدأ من عندها العمل .

٥ ـ الإمام فى المسجد :

ولا شك فى أننا جميعاً نقدر الجهد الكبير الذى ينبغى على الإمام القيام به فى مسجده :

إنه أولا مطالب بأن يعرض على الناس عقله كل أسبوع مرة فى خطبة الجمعة أمام جمهور أغلبه ثابت يسمعه بانتظام ، ويعى ما يقول كل مرة وهو مطالب ــ باستمرار ــ بالتجديد .

وإذا ما كانت الأنهار بعد أن تلقى بمائها فى البحار يتحول الماء الملح الأجاج إلى سحب ، تعود فتسقط أمطاراً ، ماؤها عذب فرات . . فإن موقف الخطيب أعسر وأصعب . وهو مطالب بفيض جديد . ولا يستطيع تقطير خطبة قديمة لتصبح جديدة . . وإلا حكم على نفسه بالذبول والعقم .

وهو فى تجدده أحد رجلين :

(ا) إما أن يركز فى خطبته على سلبيات مجتمعه أو سلبيات الحياة فيقف على المنبر ناقداً ، لا ترى عينه إلا الخطأ ، ولا تقع إلا على نقط الضعف ، فيصبغ خطابته بصبغة قاتمة من اليأس ، ويلجأ إلى أسلوب من النقد العنيف ينعكس عليه عصبية وهديراً معادياً لما حوله . ويقوده هذا إلى نوع من الانعزال الفكرى غير المتوازن . وقد يستطيع الإمام بهذا الأسلوب أن يجتذب أنظار بعض الناس ، بعض الوقت ، ولكن هذا سيجعله أسير هذا الأسلوب .

(ب) وإما أن يهتم ببناء النفوس وتأكيد الإيجابيات فى تكوين الفرد والأسرة والمجتمع والكيان الإسلامى . . وحديث الإيجابيات بطبيعته يحتاج منه إلى عناء أكثر : دراسته للمجتمع الإسلامى الأول من عهد النبى عليه الصلاة والسلام والذين جاءوا من بعده ، وساروا على هديه بإحسان . .

ويحتاج منه إلى فتح آفاق العمل . وتوجيه أذهان المسلمين إليها بحيث يحسون معه أنهم يسيرون على الطريق الصاعد إلى آمالهم . وهو في تحذيره من الأخطار والانحرافات يمسها كما يمس الطبيب داء المريض : مع التشخيص علاج وأمل فى الشفاء ، وبين عينيه قول الله على لسان يعقوب « يا بنيَّ اذهبوا فتحسَّسوا منْ يوسف وأخيه ولاتيأسوا من رَوْح الله. إنه لا ييْأس من رَوْح الله إلا القوم الكافرون » (يوسف : ٨٧) .

الإمام القادر على إيجاد هذه الصلة بينه وبين المصلين ، يجعل المسجد حبيبا إلى قلوبهم ، ويشجعهم على إحضار أبنائهم معهم ، وتصبح صلاة الجمعة لقاء علمياً يتحقق به قول الله تعالى « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتُوا العلْم درجات ، والله بما تعْملون خبير » (المجادلة ١١) ويصبح أداء الصلاة والاستماع إلى الخطبة لقاء يذكّر المسلم – حيث يكون – بمسجد المدينة ومنبر الإسلام الأول ، وصفوة الصحابة من وراء رحمة الله المهداة – رسول الله عليه الصلاة والسلام – ويصبح اللقاء رحلة يختصر بها المسلم المكان والزمان ، ويعيش مع إخوانه العابدين والطائفين والركع السجود والمجاهدين ، صفوفاً صفوفاً ، تتكامل دوائر حول المسجد الحرام ، وصفوفاً صفوفاً مدافعة عن الحق والإسلام .

ما ينطبق على خطبة الجمعة ينطبق على الدروس ، وإن أمسى روادها محدودي العدد بحكم ضغط ظروف الحياة . ووفرة وسائل الإعلام وما بها من مواد دينية . وأصبحت بذلك خطبة الجمعة أبرز معالم الحياة فى المسجد ، هذا إلى الاجتماعات الكبيرة فى الأعياد والمناسبات الإسلامية الكبرى .

فكيف نوفر للإمام أولا المادة العلمية التى تعينه على عمله بانتظام ؟

٦ ــ أركان ثلاثة :

هناك أولاً موضوع الخطبة . وثانياً المادة العلمية التى تقوم عليها الخطبة وثالثا صياغتها النهائية .

والتقى المسئولون عن الدعوة الإسلامية بالوزارة فى تدارس لهذه الجوانب وبين أيديهم التجارب السابقة للوزارة ، وكان هذا فى أواخر العام الهجرى ١٣٨٧ هـ لنبدأ مع العام الهجرى ١٣٨٨ هـ ــ ١٩٦٨ م بخط فكرى جديد . .

وتم الاتفاق على خطوط رئيسية :

١ ــ أن يكون تعاون الوزارة مع الإمام بمده بموضوع الخطبة والمادة العلمية .

٢ ــ وأن تترك له مرونة واسعة فى الصياغة ، فلا تقدم إليه الوزارة خطبة كاملة .

وكان هذا تغييراً جذريًّا للخط الذى سارت عليه الوزارة فى العناية بالخطبة مع اختصار المادة العلمية المساعدة .

ولكن متى تصل هذه المادة إلى المسجد ؟ وبعبارة أخرى : هل نلجأ إلى أسلوب الكتاب الذى يصدر كل عام مرة أو مرتين ، أم إلى أسلوب النشرة الأسبوعية ؟ أم نصف الشهرية ؟

وحدث الاتفاق على أن ندع جانبا ــ وبصفة مؤقتة ــ أسلوب الكتب ونتبع أسلوب النشرات التى تحوى المادة العلمية اللازمة للموضوع .

وبدأنا بدءاً طموحا فى أول الأمر بإصدار النشرة الأسبوعية ، ولكن مشكلة المواصلات وقفت فى سبيلنا ، ولم نستطع عمليًّا أن نوصلها كل أسبوع فى وقت ملائم إلى المسجد : فأصدرناها نصف شهرية ابتداء من مطلع العام الهجرى ١٣٨٩هـ (مارس ١٩٦٨م) وعدلنا اسمها من « النشرة الأسبوعية » إلى « الدين والحياة » .

٧ ــ المكتب الفنى :

ولكن : من الذى يقوم بإعداد النشرة ويحفظ الصلة بين المسجد والمجتمع؟ من أجل ذلك تكون مكتب فنى ، منبثق من الإدارة العامة للدعوة بالوزارة روعى فى العاملين به عدة اعتبارات :

١ ــ أن يكونوا هم أنفسهم من أئمة المساجد الراغبين بصدق فى البحث العلمى .

٢ ــ أن يظلوا قائمين بعملهم كأئمة يجمعون بين الإعداد العلمى للمادة والتطبيق العملى لها ، والصلة الدائمة بجمهور المصلين ، مع إعفائهم من الدروس فى أثناء الأسبوع . وكونت الوزارة لهم مكتبة علمية واختارت لهم مكاناً هادئاً فى مسجد السيد / عمر مكرم ، يفرغون فيه إلى جهادهم العلمى طوال الأسبوع . ثم اتسع العمل فانتقل المكتب إلى مسجد صلاح الدين على ضفة النيل . . فى مكان يجمع بين الهدوء والاتساع ويستجيب لأعباء العمل المتزايدة .

ويقوم العمل فى المكتب على أساس من التقسيم والتعاون فى الوقت نفسه ، بحيث تتوفر للإمام فرصة واسعة لإعداد المادة العلمية اللازمة للنشرة ، ويوزع العمل بينهم على جدول مدته ثلاثة أشهر . . أى أن السنة أربع دورات ، تتحدد فيها المواضيع الرئيسية التى سيتناولها البرنامج بما فيها المناسبات الدينية الرئيسية ، ويعتمد الخط الفكرى الرئيسى لكل ثلاثة أشهر قبل البدء فيه بوقت كاف ، وتحدد الموضوعات الرئيسية فى كل دورة مع مرونة فى التطبيق إذا جد ما يستدعى التغيير العاجل .

والتخطيط موضوع على أساس من توسيع قاعدة العاملين فى المكتب الفنى ، والسير نحو مساهمة علماء المحافظات مع الديوان العام فى هذا العمل العلمى ، ويسبق هذا توفير المادة العلمية ، وتنظيم اللقاءات ،

والحوار العلمى بينهم وبين زملائهم العاملين فى المكتب بالقاهرة .

كما أن هناك لقاءات وتعاونا بين إدارتى الدعوة بالأوقاف والوعظ بالأزهر الشريف الذى اتخذ علماؤه الخط نفسه فبادروا إلى إصدار نشرات على هذا النسق لتكون بين أيدى السادة الوعاظ .

والذى نود الوصول إليه ، فى العمل على المستوى الإقليمى أن يكون هناك تعاون منتظم بين الهيئات الدينية ، الثلاث الكبرى فى المحافظة وهى إدارة الوعظ ، المعهد الدينى بعلمائه ، مديرية الأوقاف . . وبهذا يمكن تنسيق النشاط الدينى فى المسجد والجمعيات الدينية ، ومد المدارس والمؤسسات بحاجتها من المحاضرين فى المناسبات والقضايا الإسلامية . بعض هذا يحدث الآن ، على أساس تجريبى ، وبحكم الصلة الطبيعية الواجبة بين هؤلاء جميعاً ، وصولا إلى تخطيط شامل مرن لهذا العمل .

٨ — بناء النشرة :

ويمكن أن نأخذ النشرة الأولى كنموذج للعمل عندما بدأ فى صورته الجديدة : كان هذا فى احتفال العالم الإسلامى بالهجرة النبوية الشريفة فى مطلع عام ١٣٨٩ هـ . وكان عنوان النشرة «منهجان فى عرض التاريخ» فنحن نحتفل كل عام بالهجرة النبوية الشريفة . وقد يأخذ هذا العرض بصورة مما يأتى :

١ — التركيز على الجانب المعجز فى القصة كما ورد فى بعض كتب السيرة : بيت العنكبوت . الحمامة . الأغصان المتدلية . وقد يمتد هذا العرض ليسجل قصصاً من الإعجاز وردت فى كتب المناقب ، ولا نستطيع أن نردها كلها إلى أصول صحيحة .

٢ — تأكيد الجهد المبذول فى الإعداد والتخطيط للهجرة من حيث تنظيم وصول الطعام والأخبار من مكة والتعفية على الآثار ، مع فتح الطريق

إلى المدينة عن طريق الرواحل المعدة .

ولا شك فى أن كل جانب من هذه الجوانب له أهميته ؛ ولكن لو تركنا السرد التاريخى المسطح جانبا ، لوجدنا أن معظم التركيز — على الصعيد العام — فى سرد قصة الهجرة ينصب على الجانب المعجز ، دون عناية كبيرة بتأكيد جوانب التنظيم والتخطيط والجهد المبذول فيه .

ونحن فى حياتنا المعاصرة ، وفى صراعنا المقدس ضد قوى الباطل : الصهيونية والاستعمار وربيبتهما إسرائيل . . محتاجون إلى تأكيد الإيمان العميق بالله تعالى . الإيمان الدافع إلى العمل العلمى المنظم ، والذى يعبر عن نفسه دائماً بالربط الوثيق بين القول والعمل . والعمل هنا معاناة مستمرة من أجل الوصول إلى الحق . هذه المعاناة هى الاختبار والابتلاء الذى بينه لنا ربنا فى كتابه فقال « أَحَسِبَ النَّاسُ أن يتركوا أن يقولوا آمنَّا وهُم لا يفتنون ؟ ولقد فتنا الذين من قبلهم، فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » (العنكبوت ٢ ، ٣) .

ومما يعين المؤمن على الصبر فى هذا الامتحان ، أن يرى — عند عرض تاريخه ودراسته — الجهد الكبير الذى يبذله المؤمنون من أجل دينهم والذى يستحقون به نصر الله تعالى . النصر بعد بذل الجهد لا قبله « أم حَسِبتُمْ أن تدخلوا الجنَّة ولما يأتِكُم مَثَلُ الذين خلوا من قبلكم ؟ مَسَّتهُم البأساء والضرّاء وزُلْزِلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه: متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب » (البقرة : ٢١٤) .

من هذه الزاوية يمكن فى عرض الهجرة أن نؤكد جانب التنظيم العلمى الذى لم يترك أى شيء فيها دون أن يقابله :

١ — اختيار مكان الغار فى الجنوب الشرقى بينما طريق الهجرة إلى الشمال مباشرة وإلى الغرب عن طريق الساحل .

٢ — اختيار مكان وعر المرتقى حتى إن الرسول (ص) لم يصل إليه

إلا بعد أن دميت أقدامه وكان وقتئذ فى الثالثة والخمسين من عمره .

٣ — تنظيم أمر الطعام والشراب والأخبار .

٤ — تنظيم الاتصالات : فعامر بن فهيرة يتصل بعبد الله بن أريقط . وعبدالله بن أبي بكر على صلة ببقية أفراد بيت أبي بكر .

٥ — على بن أبي طالب هو الذى ينام فى فراشه وهو الذى يتولى عنه رد الودائع . وهو من أهله وأعلم الناس بهذه الدخائل .

مثل هذا العرض يدفع الإنسان إلى العمل ، ويفتح له الباب الذى يلجه إلى آفاق النصر المرتقبة ، وبه يتنزل عون الله على العاملين المخلصين من عباده .

أما إذا عرضنا الهجرة كأنها إعجاز فى إعجاز ،فقد يأتى من يقول : وماذا أستطع أنا فى أمرى ؟ إنها حياة الأنبياء ، وإن تاريخ صدر الإسلام تاريخ صحابة، وهو أمام هذا التاريخ يقف فى احترام وإعجاب . ولكن نود أن يتحول الإعجاب إلى التأسى الذى دعانا إليه ربنا فقال « لقدْ كان لكُم فى رسولِ الله أسْوة حسَنة لمنْ كان يرجُو الله واليومُ الآخر وذكر الله كثيراً» . وما أعمق تعقيب الله على ذلك« ولما رأى المؤمنون الأحْزاب قالوا : هذا ما وعَدنا الله ورسوله وصدق الله ورسُوله وما زادَهم إلا إيمانا وتسليما. منَ المؤمنين رجال صدَقوا ماعاهَدوا الله عليه فمنْهم من قضَى نحْبَه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » (الأحزاب : ٢١ — ٢٣) هذا بعد أن عرض ربنا صورة من أروع صور الصراع بين الحق والباطل فى قاعدة الإسلام . وذورة من أخطر ما ارتفع إليه الموقف بين إيمان المؤمنين ومكر المنافقين ومن شايعهم من يهود بنى قريظة .

وتتابعت بعد هذا موضوعات النشرة مرتبطة بواقع حياتنا المحلية والعربية والإسلامية .

وجاءت بعد هذا انتخابات فعرضت النشرة لمكانة الشورى فى الإسلام

وأمانة الاختيار مستشهدة بقول الله تعالى «فاجْتنبوا الرجْس من الأوْثان واجْتنبوا قول الزور . حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السَماء فَتَخْطفهُ الطّير أو تهوى به الرّيح فى مكان سحيق » . (الحج : ٣٠ ، ٣١) فقرنت الآية بين النهى عن رجس الأوثان وقول الزور .. فكأن الزور هنا وثنية اللسان . . والأوثان زور العبادة .

وعرضت لتكامل العلاقة بين العقيدة والعمل ودرست قضية فلسطين من جوانبها المتعددة وربطتها بالتعاون العربى والإسلامى والمستوى العالمى .

وأخذت من السيرة دروساً تستفيد بها لمعركة المصير مع عدو الله وعدونا . ومن الممكن أن نجد نموذجا تفصيلياً لنشرة كاملة من الرباط والجهاد فى الإسلام .

وعندما اشتدت الحرب النفسية بين إسرائيل وأوطاننا العربية والإسلامية ، عنيت النشرة بدراسة الصراع العنيف فى قاعدة الإسلام فى المدينة بين القوة المؤمنة من المهاجرين والأنصار من ناحية ، وقوى الشر فى داخل المدينة من قبائل اليهود والمنافقين الذين تواطأوا مع قريش ومن حالفها من قبائل الساحل ونجد ، والقوى المتربصة بالإسلام فى شمال الجزيرة العربية تمثلها تجمعات اليهود فى خيبر وفدك ووادى القرى وتيماء ، وما وراءها فى أرض فارس والروم .

هذا مع العناية — باستمرار — بتأصيل العقيدة وربط الأحداث بها . . استجابة من الدين لمطالب الحياة المتجددة فى صراعها المستمر مع قوى الشر والطغيان .

كما أضيف إلى النشرة بعد هذا باب بعنوان «خُذوا حِذْركم» يركز على أساليب العدو فى حربه السافرة والخفية عسكريًّا ونفسيًّا .

وإذا كان الله تبارك وتعالى يعلمنا فى القرآن الكريم كيف نؤدى صلاتنا وسط المعركة والحرب دائرة ، فإننا من هذا المنطلق نستطيع أن نحدد دور

المسجد فى هذه الظروف ، وما يستطيع الإمام أن يسهم به ، لا فى مجال الكلمة المنطوقة فقط ، وإنما فى العون الاجتماعى والإسعافات الأولية ، والخدمات المدنية ، ويمكن أن تعاونه النشرة على ذلك بالمعلومات والتوجيه إلى المراجع .

٩ ـ النشرة والمراجع :

ويمكن اعتبار النشرة مكتبة للخطبة والدرس لمدة أسبوعين فى المتوسط وقد تزيد المدة على ذلك فى بعض الظروف ، إذا ما خصصنا شهراً لموضوع رئيسى كالشباب مثلا .

وتقوم على حصر عناصر الموضوع ثم تتناول كل عنصر على أساس منهجي :

الآيات : بسورها وأرقامها . الأحاديث بتخريجها . المختار من تراثنا معزواً إلى مراجعه مع تحديد الأجزاء والصفحات .

ميزة هذه الطريقة أنها تزيد من صلة الإمام بالمراجع ، وتفتح له أبواب الاستزادة ، من أى موضوع إذا ما كان راغبا فيه ، وكان جمهوره مقبلا عليه ، وتعوده أن يربط بين ما يقول وبين مصادرالفكر الإسلامى . وهى أيضاً كبيرة الفائدة لجمهور المسجد إذا ما أراد الشباب ـ بخاصة ـ التوسع فى أى موضوع من الموضوعات ، مع القراءة والتوجيه إلى أفضل المراجع ، والتركيز الرئيسى على القرآن الكريم وتفسيره المأثور والسنة المطهرة.

وأمكن للنشرة بهذا أن تفتح للسادة الأئمة ـ عن طريق الحوار المستمر ـ أبوابا لم يكن الكثيرون يطرقونها فى خطب الجمعة والدروس الدينية لقلة ما بين أيديهم من مراجع عنها : كقضايا الشباب ، وتكوين الأسرة، ورعاية الطفولة وتنشئتها على الإسلام ، ودور العامل والفلاح والمجاهد والتاجر والمثقف فى بناء المجتمع . وثواب كل منهم على ما يعمل ، والعلاقة بين

العلم والإسلام ، وحث الإسلام على الاستزادة من كافة العلوم : مع إعطاء النماذج على ذلك بتراجم وافية لعلمائنا فى كافة مجالات المعرفة الإنسانية .

١٠ — حجم النشرة وتوزيعها :

ولقد بدأنا أول الأمر بحجم صغير وتوزيع محدود ، وكنا نود أن نضبط التوزيع الأسبوعى .

ولعلكم تعرفون أن عدد المساجد فى جمهورية مصر العربية نحو ثلاثين ألفا (حتى نهاية عام ١٩٧٤) منها نحو خمسة آلاف تابعة مباشرة للوزارة (مساجد حكومية) والباقى مساجد أهلية تعينها الوزارة ماليًّا وعلميًّا ولكنها أساسا تقوم على الرغبة المؤمنة فى ضمير هذه الأمة . ووزارة الأوقاف نفسها ، ليست أكثر من حل ذاتى ، أرادت به القلوب المسلمة عبر التاريخ أن تعبر عن ذاتها فى كافة مجالات الحياة وخدماتها . . ولولا هذه الرغبات الصادقة فى أجيال المسلمين المتتابعة لما أوقفت الأموال ، ولا كانت وزارات الأوقاف والحبوس .

القضية إذن — والحمد لله — مبدؤها الإيمان وغايتها الإيمان، من أجل ذلك لم يكن هناك مجال أو داع للتفرقة بين هذه الأنواع من المساجد ؛ فكلها بيوت الله .

ولكن أردنا أن تقوم النشرة على أساس من الحب والاستفادة ، لا على أساس من الإلزام .

بدأنا نطبع نحو ثلاثة آلاف وخمسمائة وكتبنا إلى المحافظات والهيئات الإسلامية باستعدادنا لمدها بالنشرة إذا رغبت فى ذلك . .

وكان عدد صفحاتها أول الأمر لا يزيد عن اثنتين .

وأخذت النشرة تنمو عدداً فارتفع المطبوع منها إلى خمس عشرة ألف

نسخة توزع ما بين مساجد الجبهة المحاربة فى أقصى الشمال إلى الواحات فى الصحراء الغربية .

وحجماً بدأت تنمو مع زيادة فاعلية المكتب الفنى ، فأصبحت تتراوح ما بين ٢٤ ، ٣٢ صحيفة ، ثم تراجعت بعد ذلك قليلا تحت ضغط ظروف الورق . وتقتضى المصلحة زيادتها — والوزارة بسبيل ذلك — حتى تشمل المساجد جميعا والجمعيات الدينية وملتقيات الشباب .

ومع تطورات العمل أدخلنا مع النشرة مشروعا تكميلياً أطلقنا عليه اسم :

١١ — مكتبة الإمام :

ويمكن تلخيص فكرتها الأساسية فيما يأتى :

على أساس من المعلومات الواردة فى النشرة أو عناصر الموضوع الملائمة للمناسبة هجرة أو احتفالا بذكرى غزوة ، يقوم الإمام بإعداد خطبته . وخطبة الجمعة تذاع من الراديو . كما أن صلاة الجمعة تؤدى فى مسجد التليفزيون وتذاع منه على الهواء أيضا .

ويختار لهذا العمل الأئمة المشهود لهم بالقدرة . وقد كان هناك تركيز على عدد محدود من الأئمة لهذا العمل . واتجهت الوزارة إلى توسيع هذه القاعدة وإعطاء فرص واسعة للأجيال الجديدة من شباب الأئمة فى هذا المجال ، وفى افتتاح المساجد الجديدة فى المحافظات وحفل الافتتاح عادة — صلاة جمعة — روعى أن يخطبها إمام المسجد إذا كان المسجد مجدداً ، أو الإمام المعين فيه ، أو إمام من ذات المنطقة .

وتجمع هذه الخطب وتلحق بالنشرة التى سبق توزيع عناصرها ، وتنشر كل مجموعة منها مع نسبة الخطبة إلى الإمام الذى أعدها وألقاها ، وتحديد تاريخ الخطبة ومكان إلقائها : هذه هى نواة مكتبة الإمام التى

أصبحت « ديوانـًا مشتركـًا » بين الأئمة ، ومجالا يتعرف فيه بعضهم إلى بعض وميدانـًا تتفتح فيه مواهبهم ويسجل فيه إنتاجهم .

ثم رؤى توسيع الاستفادة من مكتبة الإمام بإصدار أعداد ممتازة : صدر منها عدد خاص بالسيرة النبوية الشريفة ، وأعداد من قضية فلسطين وعن حريق المسجد الأقصى ساهم فى تحريره نخبة من الأئمة العاملين بالمكتب الفنى ، كما تضم نصوصـًا إسلامية قديمة ومعاصرة عن قادة الفكر الإسلامى :

١٢ ــ جهود الوعظ :

وإذا كان من طبيعة عمل الإمام أن يكون مرتبطـًا بالمسجد خطابة وتدريسـًا ، فإن جهود السادة الوعاظ من طبيعتها أن تغطى أساسـًا النشاط الإسلامى خارج المسجد فى الجمعيات والمؤسسات الإسلامية ، وتتعاون مع الأوقاف فى المناسبات الإسلامية الكثيرة وفى المساجد التى تحتاج إلى جهودهم المشكورة :

ولقد سبقت الإشارة إلى الخط المتوازى الذى اتخذته الإدارة العامة للوعظ فى نشراتها ، والتعاون المشترك بينها وبين الأوقاف فى هذه السبيل ، ولكنى هنا أود أن أضيف خطـًا جديداً من خطوط العمل وهو « قوافل التوعية » .

فقد نظمت الإدارة قوافل تغطى المحافظات بالجمهورية ، وتتكون كل قافلة من عدد يتراوح بين الثلاثة والخمسة تقضى فى كل محافظة أيامـًا ، بحيث تستطيع أن تقدم زاداً دينيـًا فى قضية رئيسية فى توقيت منتظم .

على سبيل المثال : بعد تصاعد المعركة مع عدونا ، وهجومه على المصانع والمدنيين كان لابد من جهد يقوم به السادة الوعاظ : ليزداد المؤمنون إيمانـًا بنصر الله ، وصبراً على الفتنة . فكانت هذه المبادرة التى

تتواكب مع جهود يبذلها الجنود على خط المواجهة والعاملون فى كل موقع من مواقع الإنتاج والخدمات .

ومن هنا يبدو التكامل والتعاون بين عمل الأئمة والوعاظ فى المساجد وخارجها . وسنعود إلى صورة أخرى من صور التعاون بعد قليل .

١٣ ــ تدريب الأئمة :

ومع التوسع الكبير فى إنشاء المساجد لم تستطع كلية أصول الدين بالقاهرة أن تفى بحاجتها إلى الأئمة مما دعا إلى إنشاء كلية جديدة فى أسيوط ، حتى تستطيع أن تسهم فى مد الصعيد بجيل جديد من العلماء يستطيعون القيام بدورهم الدينى فى بيوت الله والمؤسسات الإسلامية ، وقد تم افتتاح هذه الكلية فى العام الدراسى ٦٩/ ١٩٧٠ .

هذا إلى اشتداد الضغط على جامعة الأزهر من الدول والجامعات الإسلامية وبخاصة فى كليات أصول الدين والشريعة واللغة العربية .

ولابد للأزهر أن يستجيب لحاجة أرض الإسلام وأبنائه . فهو منهم ولهم . وإذا كان الأزهر مصرى الموقع ، فهو عربى اللسان ، إسلامى الأهداف ، عالمى الخدمات .

وما نعانيه من نقص فى عدد الأئمة تعانيه معنا أقطار إسلامية كثيرة . هذه ناحية كمية ، ترتبط بها أيضاً ناحية نوعية تستهدف الربط المستمر بين الإمام والحياة فى تطورها وتدفقها المستمر .

فلابد من الاحتفاظ بنوع من الصلة العلمية بين الإمام والأجهزة العلمية المرتبطة بالمسجد فى الأوقاف والأزهر : ومن هنا تبدو ضرورة التدريب وفتح المجال أمام الأئمة للقاءات علمية ، على فترات يجددون فيها معلوماتهم ويتدارسون قضاياهم ، ويعرضون مشكلاتهم ويعودون إلى عملهم

إد جديد يضاف إلى ما عندهم من علم ورغبة فى خدمة الإسلام والمسلمين .

يستهدف التدريب – بهذا – دعم الصلة بين الإمام وجمهوره : بين المسجد والمجتمع . وإذا ما أحس المصلى بالانقطاع الفكرى بينه وبين المسجد تراخت صلته به، أقول الانقطاع الفكرى لأن الاعتماد المطلق أو الأساسى على الصلة القلبية والعاطفية ، لا يمكن على المدى الطويل أن يصون هذا الرباط بين المسجد والمجتمع . فلا بد من صلات روحية وفكرية وترابط عضوى يضع المسجد فى مكانه الطبيعى فى الحياة الإسلامية . والإمام – عمليًا – هو المسئول الأول عن هذا كله . هو حلقة الاتصال بين الدين والحياة . بين ماضى المسلمين وحاضرهم . بين واقعهم وآمالهم : قولا وسلوكًا . وإذا كان الناس يقرأون الدين مسطوراً فيما بين أيديهم من كتب ، فإنهم يحبون أن يقرءوه حيًّا فيما يشاهدون من نماذج بشرية .

هذا إلى أن مناهج التدريس الجامعى – بصورتها الأكاديمية – لا تستطيع الوفاء بالخبرات الإدارية والمالية التى يتطلبها العمل فى الإمامة والتوجيه ، فالمسجد ليس مجرد خطبة ومنبر .

وتحقيقًا لهذه الأهداف قامت الوزارة منذ جمادى الأولى سنة١٣٨٦هـ (يوليو ١٩٦٦م) بإعداد وتنفيذ برنامج عام لتدريب الأئمة وموجهى (مفتشى) المساجد ، ليشمل الدراسات والخبرات التى تدعو إليها طبيعة العمل فى المسجد مع مرونة فى التطبيق ، يستطيع بها أن يقابل حاجات المسجد المتطورة وتفاعلاته المستمرة مع الحياة .

واختير لإلقاء محاضراته وإدارة ندواته نخبة ممتازة من أساتذة الجامعات وكبار رجال الدين والفكر الإسلامى . وبدأ تنفيذ البرنامج على دورات

تستمر كل منها – أول الأمر – سبعة عشر يوماً (أسبوعان ثم يومان للاختبار) : وينتظم بكل دورة عدد من الدارسين يتناسب مع الإمكانيات المادية المتاحة للوزارة .

وبعد تقويم الدورات التدريبية التى تم تنفيذها من هذا البرنامج رأت الوزارة فى مطلع العام الهجرى ١٣٨٨هـ (١٩٦٨م) أنه أصبح فى حاجة إلى تطوير مواده وطريقة تنفيذه ليتناسب مع ظروفنا الحالية وما توجبه متطلبات المعركة ضد العدو الصهيونى ومن ورائه الاستعمار العالمى من حشد لكافة الطاقات المادية والمعنوية لقوى الشعب العاملة ومضاعفة الإنتاج لإزالة آثار العدوان .

وقد ترتب على ذلك إضافة بعض المواد الجديدة والتركيز على بعضها الآخر وتوسيع قاعدة اختيار السادة المحاضرين بحيث أصبح يشترك أكثر من محاضر فى تدريس المادة الواحدة لإتاحة المجال أمام الدارسين لمناقشة كافة الآراء والاستفادة منها .

وكذلك تم إعداد وتنفيذ برنامج تدريبى نوعى للسادة الأئمة ومفتشى المساجد الذين اجتازوا البرنامج العام وحصلوا فيه على تقدير بدرجة ممتاز وجيد جداً وجيد ، يستهدف إمدادهم بالمزيد من الدراسات العلمية التى تمكنهم من أداء رسالة الدعوة الإسلامية ، وتعينهم على شرح الإسلام شرحاً يتفق مع اختلاف الثقافات والمهن وتفاوت الأفكار والمطالب والقضايا ، حتى يمكن تخريج أفواج قادرة على توجيه الجماهير فى كافة المناسبات وعلى مستوى جميع القوى العاملة ، دعماً للعلاقة بين المنبر والمجتمع ، وليكون المسجد أكثر قدرة على أداء رسالته فى شتى البيئات التى يقع فيها ، وبين جماهير المسلمين الذين يترددون عليه فالمفهوم التقليدى لوظيفة الإمام قد تغير ، فأصبح الإمام داعياً دينياً ومصلحاً اجتماعياً للحى الذى يعيش فيه – وقد أطلق على هذين

البرنامجين : « معهد الإمامة » .

وروعى أن يخصص يومان على الأقل بكل دورة تدريبية – كلما أمكن ذلك – من دوراتهما للدراسة الميدانية – يزور خلالها الدارسون بعض المصانع الإنتاجية المختلفة والمنتشرة فى أنحاء جمهورية مصر العربية وكذلك جبهة القتال ومناطق التعمير ، فضلا عن إعداد بعض اللقاءات فى كل دورة مع السادة أعضاء التوجيه المعنوى بالقوات المسلحة يلقون خلالها على السادة الدارسين محاضرات عن المعارك التى قامت بها قواتنا المسلحة ببسالة لإزالة آثار العدوان وعن الحرب النفسية التى يبث سمومها العدو بغية النيل من معنويات الشعب وصموده فى المعركة .

ورغبة فى الاستفادة من خبرات المعاهد التدريبية المختلفة فقد تم تبادل الزيارات بين المسئولين عن معهد الإمامة والمسئولين عن المعاهد المذكورة للاطلاع على نظام الدراسة بها وقد أدى ذلك إلى إيجاد تعاون وثيق فيما بينهما . ونذكر على سبيل المثال التعاون القائم بين معهدى الدراسات العليا لضباط الشرطة ومعهد الإمامة . وقد أدى ذلك إلى تبادل خبرات السادة المحاضرين فى هذه المعاهد .

كما أن الوزارة تقوم بتنظيم بعض اللقاءات يجتمع فيها بعض السادة الوزراء وكبار المسئولين بالدولة ، مع الدارسين بالمعهد المذكور ، وتجرى خلالها مناقشات فى الموضوعات المتعلقة بأعمال وزاراتهم والتى تفيد الأئمة فى حياتهم العملية .

وحتى يفرغ الدارسون لتلقى وتحصيل العلم فقد قامت الوزارة بتنفيذ هذين البرنامجين داخلياً فى مدينة ناصر للبعوث الإسلامية مع الإعاشة الكاملة والمبيت ، على أن تتحمل كافة تكاليف هذا النظام ، وخصصت قاعتين للدراسة ، وأخرى لتناول الطعام – وأعدت حجرة نوم مستقلة لكل دارس .

وينتظم فى كل دورة عدد مناسب من الدارسين يتراوح بين خمسين أو ستين دارساً حسب الإمكانيات المادية لاستيعاب هذا العدد لمدة شهر .

والوزارة بسبيل إنشاء معهد مستقل ومتكامل للتدريب يوفر الوسائل الحديثة والجو الإسلامى وإمكانية تطبيق ومتابعة التجارب الجديدة فى دعم الصلة بين المسجد والمجتمع .

١٤ ــ عرض وتحليل برامج التدريب ونظامه :

وأود بعد هذه الرحلة أن نعرض أهم ملامح نظام التدريب بصورته الحالية :

أولاً : المدة والإقامة : لم تكن المدة الأولى كافية فزيدت إلى أربعة أسابيع مع مضاعفة الاستفادة من « اليوم » على أساس من الإقامة الكاملة فى نظام داخلى ، حتى يستطيع الإمام أن يفرغ تماماً لعمله فضلاً عما فى الإقامة من معانى المعايشة الإسلامية وأداء الصلوات فى جماعة والتفرغ للعبادة . وأصبح من اليسير تنظيم الليل والنهار ، والاستفادة من أى وقت أو جهود ، كانت تستنفدها وسائل المواصلات ، والتفكير فى نظام المعيشة . والوزارة كما سبق القول تتحمل نفقات هذا كله .

ثانياً : التفاعل مع المجتمع : وكانت « الكلمة » أبرز ملامح حياة الإمام خطابة وتدريساً . فحاول نظام التدريب أن يدعم الصلة بين الإمام والمجتمع مع الجبهة والمصنع بزيارات ميدانية لمجالات التقدم الجديدة . فهناك يشاهد الإمام إخوانه العاملين أمام أفران الصهر يساهمون صامتين فى حياة أمته . لو غفلت عين أحدهم عن آلة أو مؤشر ساعة ،

لأدى هذا إلى إصابة أو كارثة ؛ ويدرك أنه وهؤلاء جميعاً فى كافة مجالات الصناعة يعملون من أجل هدف كبير دعماً لمعركة مصيرية طويلة على طريق التحرير والتعمير .

وهو يزور الجبهة ويلتقى هناك بإخوانه الضباط والجنود يعايشهم ، ويرى كيف يحافظون على سلاحهم ودينهم ، صابرين مرابطين فى سبيل الله ، ويرى النماذج المؤمنة التى استطاعت فى حرب رمضان المجيدة أن تحقق بالعلم والإيمان والنظام والتضحية صفحة من أروع صفحات تاريخنا. وهو يشاهد مجالات التعمير الجديدة والجهود الدائبة للعمل فيها .

ثالثاً : الحوار المفتوح : وهو يشترك فى حوار مفتوح مع صفوة من كبار المسئولين يوضحون له جوانب قد تكون خافية عليه فى تفسير الأحداث وتبسيطها أمام القواعد الشعبية . أذكر على سبيل المثال — ندوة اشترك فيها السيد / وزير الاقتصاد والتجارة الخارجية تحدث فيها عن أهم معالم تطورنا الاقتصادى ، وواجبنا فى هذه المرحلة . . وتدارس مع الأئمة مضار الإسراف ، مستنداً إلى قوله تبارك وتعالى فى سورة الإسراء : « وآتِ ذا القربىَ حقّه والمسكين وابن السّبيل ولا تبذّر تبذيراً . إنّ المبذّرين كانُوا إخوْان الشّياطين ، وكان الشّيْطان لربه كفوراً » . (الإسراء : ٢٦ و٢٧) . فسأله أحد الأئمة : كيف يكون الفلاح مسرفاً ؟ والعامل مسرفاً ؟ وإذا كنت أعمل فى الريف ، والمصلون فى المسجد أرزاقهم محدودة . . . فكيف أحدثهم عن الإسراف ؟

وتحدث الوزير قائلا : إنى لا أنظر إلى العامل أو الفلاح كإنسان كل صلته بالمجتمع أن ينال أجراً على عمله ، وأن يكون مسئولا فقط عن إنفاق هذا الأجر على زوجه وأولاده . ولكنى أنظر إليه كفرد من أسرة كبيرة هى هذا المجتمع . ومسئوليته ليست أمام أهله فقط ولكنه مسئول أولا أمام الله تعالى ، وهو مسئول مسئولية مشتركة عن المجتمع كله

ويمكن أن توضح الأمثلة ما أعنيه بالإسراف : إن العامل مسئول فى المصنع عن آلة كبيرة غالية الثمن : وهذه الآلة اشتريناها بالعملة الصعبة . ويستفيد منها عدد كبير من الناس . فإذا ما انتبه العامل إلى هذه الآلة، واتقى الله فيها ، استطاعت أن تؤدى عملها فى دقة وكفاءة : وإذا ما قصر فى إدارتها وصيانتها أدى هذا إلى تلف بعض أجزائها أو توقفها ونحتاج بعد هذا إلى « قطع غيار » لتركيبها ، وهذه ندفع فيها عملة صعبة ، فضلا عن الوقت الضائع وتعطل الإنتاج . وهذه صورة من صور الإسراف :

وإذا ما نظرنا إلى مصانع النسيج ، وجدنا على العامل مسئوليات كبيرة فى الاحتفاظ بنظافة الأقمشة وعدم وجود أخطاء فيها وتقليل « العوادم » وهى نسبة التالف إلى الناتج . هذه صورة أخرى من صور الصيانة المطلوبة ومحاربة الإسراف .

والزارع أيضًا ، إذا أخذ من ماء الرى أكثر من حقه ، أدى هذا إلى إضرار بزرعه من حيث لا يدرى ، وحرم أخاه من الماء الضرورى . فالضرر مزدوج ، وهذه صورة أخرى من الإسراف . إن الفلاح هنا جعل يده مغلولة إلى عنقه : بحرمان جاره من الماء ، وجعل يده مبسوطة كل البسط : فى إعطاء أرضه أكثر مما تحتاج إليه من الماء . ولابد بعد هذا من أن يقعد ملومًا على تفريطه فى حق أخيه ، محسوراً على إفراطه فيما ظنه فائدة ، وهو فى حقيقته إضرار بأرضه وثمره .

كان هذا هو الخط الفكرى الذى عرض به الوزير للإسراف فى مجالات الصناعة والزراعة ، وكيف أنه قد يؤدى إلى إضاعة آلاف الجنيهات على الثروة القومية .

بل إن الأمر ليصل إلى أكثر من ذلك : إذا ما أهمل العامل فى صناعة مهمات ، من طعام أو ذخائر للأسلحة ذاهبة إلى الجبهة ، إن

الأثرهنا يتعدى المال إلى النفس ، والإسراف يمتد إلى مجال البشر والأرواح وإزهاقها نتيجة إهمال فى صناعة من الصناعات .

وشملت اللقاءات أيضا كبار المسئولين فى القوات المسلحة والشرطة : ورأى الأئمة بأنفسهم الدور الرائد الذى يقوم به إخوانهم فى الجبهة — ما حققوه من نصر وما عليهم من مسئوليات الحفاظ عليه والسير به نحو استرداد بقية الأرض السليبة كما زادت مجالات التعاون بينهم وبين رجال الشرطة فى الحيلولة دون وقوع الجرائم كالثأر وإحراق المزروعات . . إلخ عن طريق اللقاءات الدينية التى يطبقون بها حديث الرسول عليه الصلاة والسلام :

« ألا أدلكم على ما هو خيرمن الصلاة والصوم والصدقة » ؟

قالوا : بلى يا رسول الله قال : « إصلاح ذات البين ، فإن فساد ذات البين هو الحالقة . لا أقول تحلق الشعر ، ولكن تحلق الدين » .

١٥ — المرحلة العامة :

فى الوقت الحاضر تأخذ الوزارة بنظام المرحلتين فى البرنامج . الأولى عامة ، والثانية تخصصية . ومدة كل مرحلة نحو شهر كما سبق القول . والإطار العام متشابه بين المرحلتين كما هو موضح فى الفقرة السابقة .

وتعنى المرحلة الأولى بدراسة علوم القرآن والعقيدة والفلسفة ، وعلوم السنة ، وفقه المذاهب والفقه المقارن ، والدعوة إلى الله علمياً وعملياً ، ثم دراسات فى علم الاجتماع وعلم النفس ، وبعض المشكلات الاجتماعية والاقتصاد السياسى .

هذه هى مجموعة المواد التخصصية الفنية . ويضاف إليها مجموعتان: إحداهما عن الفكر السياسى فى المجتمع العربى : والاشتراكية والاستعمار والصهيونية والجهاد والتعاون . .

والثانية : مجموعة المعلومات الإدارية، وتعنى برسالة الوزارة وأهدافها وأعمال التفتيش والقوانين والحسابات إلخ . .

والملاحظ فى هذه المرحلة أن فيها جانبين : أولهما عام أو أصولى يتعلق بمصادر الفكر الإسلامى نظرياً وتطبيقياً . والثانى إقليمى يتعلق بحاضر مصر والعالم العربى ويزداد التخصص فى الدراسات الإدارية .

ومن الطبيعى أن المجموعة الثانية وبخاصة جانبها الثانى ، تتغير من قطر إلى قطر . فهذه تطبيقات تخضع للتطور . وإن كان بها جانب من القضايا ذات الوزن الإسلامى الشامل كالاستعمار والصهيونية والعلم والحضارة ثم فريضة الجهاد . .

والذى يحرص عليه المحاضرون هو الشرح والحوار الموضوعى الذى يؤدى إلى تجميع القلوب من أجل خير الإسلام والمسلمين ، مع احترام الأنظمة الداخلية لكل قطر من أقطار الإسلام ، والذى يعنينا أساساً أن تكون الجهود موجهة إلى المعركة المصيرية استنقاذاً لأرضنا ومقدساتنا فى أى حوار جانبى يقودنا بعيداً عن هذا الهدف الكبير .

١٦ ــ المرحلة التخصصية :

تأتى بعد هذا مرحلة تخصصية تقوم أساساً على توثيق الصلة بين الإمام وأمهات المراجع الإسلامية ، مع دراسة وتقييم لهذه المراجع . والمواد التى تدرس فيها لا تخرج فى إطارها العام عن مواد المرحلة العامة :

هناك أولا دراسات القرآن الكريم : وفيه يعنى المحاضر بتفسير المنار باعتباره من أوفى التفاسير التى تربط بين الدين والحياة المعاصرة ، مع العناية بمناهج المفسرين واتجاهاتها وارتباطها بالتيارات الفكرية للعصور التى ظهرت فيها . وفى دراسات السنة تتجه للعناية إلى كتاب فتح البارى

شرح صحيح البخارى للحافظ ابن حجر العسقلانى مع العناية بعلوم الحديث ومصادرها . وفى التصوف والأخلاق يدرس الإمام أحد كتابين : مدارج السالكين للإمام ابن القيم أو إحياء علوم الدين للإمام الغزالى مع العناية بتخريج أحاديثه وهو ما قام به الحافظ العراقى .

ولكن هذه المرحلة تمتاز بميزة أساسية هى عنايتها بقضايا نشر الدعوة الإسلامية بين قوى المجتمع : العمال والفلاحين ، المثقفين ، الجنود ، الرأسمالية الوطنية . فمع وجود قضايا مشتركة فى الفكر الإسلامى ينبغى أن يكون هؤلاء جميعاً على علم بها ، إلا أن لكل قوة من هذه القوى قضاياها التخصصية التى ينبغى أن يقابلها الإسلام ، من أجل ذلك يتلقى الإمام دراسات فى علاقة الدعوة الإسلامية بكل قطاع من قطاعات المجتمع الرئيسية .

ولنأخذ موضوع الشباب على سبيل المثال :

فى الشباب إقبال كبير على الدين — وذلك من فضل الله — حتى إن المساجد أصبحت الآن — عملياً — لا تفى بالمترددين عليها . واسترعت هذه الظاهرة انتباه عدد غير قليل من الباحثين فى العالم الخارجى . وبينت الدراسات الإحصائية أن نسبة مرتفعة من المترددين على المساجد من الشباب .

وإذا كان الإيمان الدينى الأصيل فى شبابنا ، يجذب الأجيال المتتابعة إلى العبادة ، فإن قضايا العصر ومشكلاته تفرض نفسها على الموضوعات التى ينبغى أن يتناولها الإمام فى خطبته ودروسه : العلاقة بين الدين والعلم ، بين الدين والتطور ، بين الدين والتخطيط ، بين الدين والتنمية . . .

١٧ ــ المسجد والمعركة :

وتعنى المرحلة الثانية أيضًا بإعداد نفر من السادة الأئمة بالدراسات الخاصة بالقوات المسلحة ويلتقى الأئمة بكبار المسئولين عن التوجيه المعنوى بالقوات المسلحة يتعرفون إليهم ويدرسون جانبًا من القضايا التى سيتناولها عملهم بالقوات المسلحة . . هذا العمل يأتى بعد إتمام الدورة والنجاح فى اختبارات اللياقة البدنية ، ثم يمرون فى مرحلة ثالثة أكثر تخصصًا يلحقون بها بوحداتهم . والتعاون فى هذا مستمر بين إدارة التوجيه المعنوى بالقوات المسلحة والأوقاف والأزهر عن طريق تبادل المطبوعات والخبرات والزيارات واللقاءات المشتركة ، ودعم قوة العاملين من رجال الدين بالقوات المسلحة ، كما يعملون فى مناطق التعمير الجديدة ، يدفعون إلى العمل ويساهمون بالقلب واللسان واليد فى أداء ما عليهم من واجب .

١٨ ــ خطوط المستقبل :

وهناك أكثر من مشروع فى هذا المجال نود القيام به عونًا للعاملين فى الحقل الدينى :

١ ــ من أهمها : « قاموس القرآن الكريم » أو « موسوعة القرآن » ، والذى أقصده موسوعة شاملة موجزة تشمل جوانب الجغرافية والتاريخ وشرح المفردات ــ فى أى علم كانت ــ والمواقع الجغرافية وحبذا لو كانت فى مجلد واحد ليسهل تداولها وتناولها وبخاصة بين أيدى الشباب .

٢ ــ ولو استطعنا إخراج سلسلة للمعارف العامة الإسلامية فى حجوم مناسبة للشباب تريه تاريخ القرآن والسنة والأبعاد الرئيسية لعلوم الإسلام الرئيسية بحيث تكون مرحلة تالية لقاموس القرآن الكريم من ناحية الحجم واتساع

المجال ، مع بساطة فى الأسلوب وحسن إخراج ودقة فى المعلومات . نجعلها صديقاً للشباب ومعبراً إلى آفاق الإسلام الأوسع .: لو قمنا بهذا ترجمنا واجبنا نحو الشباب إلى خطوط عملية نافعة .

٣ — ويمكن أن تمتد الدراسة إلى مشكلات الشباب الإسلامى المعاصر من حيث علاقته بالدين إيمانًا به وانصرافًا عنه أو انحرافًا بأساليبه وأهدافه وملاءمة بينه وبين المجتمع .

٤ — ويمكن أن تخصص سلسلة من الدراسات عن الشباب والحياه المعاصرة، نضع فيها المعلومات والاتجاهات التى نود تأكيدها فى نفوس شبابنا : دعمًا للعقيدة ونماذج من الشباب فى تاريخ الإسلام ، ونماذج من الشباب المعاصر فى المعارك ، وتبصرة لما تقوم به الصهيونية إعداداً لشبابها وتحديداً لخطوط العمل، وخدمة القضية المصيرية وفتحًا متوازنًا لآفاق الحياة أمامه .

٥ — من هذه الجوانب ستحدد عندنا الخطوط الرئيسية لبرامج الدراسة الدينية فى مرحلتنا المعاصرة فى مراحل التعليم العام وفى الجامعة وبخاصة فى الكليات العملية فى الأزهر الشريف ، وكليات إعداد الأئمة والوعاظ — كما ستزداد خطوط العمل فى المسجد وضوحاً مما يساعد على دعم الصلة بين الدعوة والمجتمع . وسيفتح هذا مجالا رحباً لتطوير برامج التعليم الدينى فى مدارسنا .

٦ — تعريف موضوعى مقارن للأديان المعاصرة فى وقت أصبح الحوار الدينى فيه قضية مطروحة على الصعيد العالمى ، بحيث يتعرف صاحب كل دين على ما عنده وعند غيره ، مع دعم التعاون القائم على الإيمان والفهم الموضوعى لكل من التشابه والتباين .

هذا الحوار لا يستهدف تفريطاً فى إيمان ، وإنما يستهدف الفهم الواعى لتيارات الفكر الدينى ، والمعابر القائمة والممكنة بين أهل الأديان .

خاتمة

وبعد : فقد بدأ هذا المشروع دعماً للصلة بين الإسلام والمجتمع بعد هزيمة يونيو ، وأكتب هذه الكلمة بعد نصر رمضان .. لقد عاشت هذه النشرة — وعشت معها — سنوات الهزيمة — بكل مرارتها ، وبكل تصميمها على جمع الصف ودعم العقيدة والوحدة الوطنية ، وزيادة الإنتاج ورفع كفاءة أمتنا عسكرياً ومدنياً حتى تحقق النصر الكبير .

وإننا ندعو الله أن يتابع علينا التوفيق فى التحرير والتعمير ، وأن يثبت على الطريق خطى قائد مسيرتنا الرئيس المؤمن محمد أنور السادات ، وأن يجمع عليه وبه ومعه كلمة العرب والمسلمين وكل محب للسلام عامل له مؤمن به ، حتى نسترد أرضنا المغتصبة ، ومقدساتنا السليبة ، ونستعيد حقوق شعب فلسطين وقدسنا الحبيب ونعيد السلام إلى أرض السلام وتجمعنا صلاة فى المسجد الأقصى . . . آمين .

وتحية إلى كل الإخوة الذين عاونوا على وضع قواعد هذا العمل الكبير ورعوه وهو ينمو ويستوى على سوقه ، وشاركوا فى توثيق الصلة بين الدين والحياة وفى دعم الإيمان ، وفى بناء مجتمع العلم والإيمان والدعوة إلى الله ، هنا فى مصر وفى أقطار العروبة والإسلام ، وحيث يرتفع صوت بالقرآن والأذان داعياً إلى الصلاة والفلاح ، مبلغاً رسالة الله فى مشارق الأرض ومغاربها .

ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً ! .

القاهرة فى : غرة المحرم سنة ١٣٩٥ هـ
١٣ يناير سنة ١٩٧٥ م

القدس في المنظور السياسي

* ألقيت في اللقاء الإسلامي المسيحي من أجل القدس » الذي دعت إليه جامعة الدول العربية وعقد في مقرها بالقاهرة صباح الخميس ١٦ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٥ م .

حضرات الإخوة والأخوات .

باسم السيد الرئيس محمد أنور السادات ، رئيس جمهورية مصر العربية ، أرحب بكم ، وأحمل إليكم تحياته ، وتحيات مصر حكومة وشعباً ، وتمنياته لمؤتمركم كل التوفيق ، وأمله أن تكون جهودكم خطوة إيجابية جديدة نحو تركيز العمل الدولى والشعبي وتحويل القرارات إلى أعمال نستطيع بها متعاونين الحفاظ على عروبة القدس الشريف وإعادة السلام العادل إلى مدينة السلام ونسترد حقوق شعب فلسطين والأرض العربية السليبة .

تحية شكر إلى الجامعة العربية والسيد الأمين العام أن استضافوا هذا اللقاء وتحية إلى الإخوة الذين التقوا من أجل القدس : من أجل أرضها وأهلها ، وروعة تاريخها ، وجمال آثارها ، وعراقة وجهها وما تمثله من قيم إنسانية أبرزها الإيمان والسماحة الدينية والإخاء الإنسانى .

وتحية إلى المناضلين من أجل القدس وعروبتها . تحية إليهم حيث كانوا : الذين سبقوا إلى الله شهداء ، والذين يتابعون المسيرة على طريق النضال الوعر ، والذين يرفعون من أجلها الصوت بكلمة الحق فى المحافل الدولية ، والذين يحملون السلاح مدافعين عنها بالروح والدم ، والذين يقضون أيامهم فى سجون إسرائيل ومعتقلاتها ، والذين يرفعون الدعاء فى محاريب المساجد والكنائس .

حضرات الإخوة والأخوات :

عندما دعيت إلى هذا اللقاء رجعت إلى ملف عن القدس أستعيد مافيه : فوجدت قرارات متوالية من هيئة الأمم المتحدة تؤكد وضع القدس

الإنسانى المتميز ووجوب الحفاظ على طابعها ، وقرارات من مجلس الأمن تطلب إلى إسرائيل إلغاء جميع التدابير التى صار اتخاذها ، والامتناع فوراً عن إتيان أى عمل من شأنه تغيير مركز القدس ؛ وتسجل أشد الأسف وأبلغ القلق لعدم التزام إسرائيل بقرارات مجلس الأمن .

وأقرأ هذه القرارات الصادرة من أعلى المستويات الدولية العالمية من الأمم المتحدة ومجلس الأمن ، فأراها لساناً واحداً ناطقاً يشجب جميع الإجراءات المؤدية إلى تغيير معالم القدس .

وأترك هذه المجموعة من القرارات إلى مجموعة أخرى أصدرتها الوكالات المتخصصة : فأجد هيئة اليونسكو تتابع تأكيدها لقراراتها بأن تمتنع إسرائيل عن أية حفريات أثرية ، وعن نقل أية ممتلكات مماثلة ، وعن إحداث أى تغيير لظاهرها أو خصائصها الحضارية أو التاريخية ، وبخاصة فى المواقع الدينية الإسلامية والمسيحية . بل إنه ليدعو إلى ضمان وجود اليونسكو فى مدينة القدس من أجل تحقيق تنفيذ فعال لقرارات مؤتمره العام ومجلسه التنفيذى فى هذا الشأن .

فالصوت العادل الذى يصدر عن الأمم المتحدة فى هذا الشأن هو الصوت الذى يصدر عن وكالاتها المتخصصة مسجلاً أن إسرائيل تصر على عدم الاستجابة إلى هذا . وهى تواجه الجميع : الأمم المتحدة ومجلس الأمن والوكالات المتخصصة بأنها لن تنفذ هذه القرارات .

وأنتقل من هذه المؤسسات الدولية العالمية بما لها من وزن ، بعد أن أحس هذا التناقض الظاهر بين وضوح القرارات وارتفاع مكانتها من ناحية ثم تضاؤلها حين تصل إلى إسرائيل ، حيث أرض التنفيذ . وأحس الخطر الكبير الذى يتهدد هذه القرارات دائماً ، وأنها فى حاجة إلى رصيد من القوة يجعل لها التقدير الواجب والضرورى ، وينقل كلماتها إلى فعل وتنفيذ عملى .

وأنتقل من هذه المؤسسات إلى لقاءاتنا الإسلامية المسيحية وأذكر منها — على سبيل المثال — المؤتمر الإسلامى المسيحى العالمى الأول فى قرطبة فى سبتمبر سنة ١٩٧٤ وكيف صدر عنه قرار جامع يطالب بالحفاظ على عروبة القدس واستعادة الحقوق الكاملة المشروعة للشعب الفلسطينى والأرض العربية السليبة وبأن منظمة التحرير الفلسطينية هى الممثل الشرعى الوحيد للشعب الفلسطينى .

وأفتح صفحة أخرى من ملف القدس تمثل قرارات مؤتمرات القمة الإسلامية . وكان الأول فى ديسمبر سنة ١٩٦٩ بعد حريق المسجد الأقصى فى ٢١ أغسطس ١٩٦٩ . وكان الثانى فى فبراير ١٩٧٤ بعد انتصارنا فى حرب رمضان (أكتوبر ١٩٧٣) وإذا كانت القدس هى محور هذه المؤتمرات ، فقد رأى العالم كله على لهب حريق المسجد الأقصى بشاعة العدوان الإسرائيلى ، لا على ذات المسجد ومنبره التاريخى وجدرانه ونقوشه وسقفه ، وإنما العدوان على الدين وعلى الحضارة الإنسانية . واستعاد العالم ما سبق هذا من عدوان على المساجد والكنائس تخريباً وتدنيساً وسرقة .

لقد أكدت هذه المؤتمرات عروبة القدس والحفاظ عليها كما أكدت وجوب استعادة الحقوق الكاملة والمشروعة للشعب الفلسطينى والأرض العربية السليبة .

وأتابع صفحات الملف فى مؤتمرات القمة العربية والأفريقية والتضامن الآسيوى الأفريقى ، وكلها تؤكد وجوب الحفاظ على عروبة القدس .

وأعود لأسأل :

- إذا كان هؤلاء جميعاً على كل هذه المستويات وبقرارات لو ذكرنا أرقامها ونصوصها لملأت مجلدات. ولو حددنا المواقع التى صدرت عنها لاحتجنا إلى خريطة كاملة للعالم. إذا كان هؤلاء على هذا الرأى

فلماذا تظل إسرائيل فى عدوانها ؟ ومن أين تستمد قوتها وسلاحها ؟

وأحاول أن أتتبع جذور هذا الطغيان. وأسأل: من الذى يدفع ثمنه ؟

ــ هل حكومات معينة ؟

ــ وهل تمتلك الحكومات هذه الأموال ؟

إن الحكومات لا تعدو أن تكون أجهزة تنظيمية للشعوب : والذى يدفع الثمن الأساسى فى أى نفقات حكومية عادلة أو ظالمة هو المواطن العادى . هو دافع الضرائب . وأختار من هؤلاء أكثرهم مساهمة فى هذا الإنفاق : وهو المواطن الأمريكى العادى :

إليه أتوجه بالحديث : هذا العامل فى المصنع . الزارع فى الحقل : العالم فى المختبر . التاجر فى متجره . هذا المواطن العادى الذى لا يريد من حياته أكثر من سعادة لنفسه ولأسرته ولإخوته فى الإنسانية :

إنه عمليًّا يتعرض لنوع خطير من الابتزاز الفكرى والمادى تشنه عليه أجهزة إعلام تسيطر عليها الصهيونية العالمية وتعتصر من ماله ومال أولاده. إما عن طريق ما تعتمده الحكومة أو عن طريق تبرعات هى فى حقيقتها قريبة من القهر والإرغام :

ما العلاقة بين هذا المواطن وبين قضية القدس؛ولماذا يمول هذا الإرهاب الصهيونى ؟ إرهابا يهدم به مدينة عريقة من أعرق مدن الدنيا؟ ظلت قرونا طويلة فى ظل الحكم العربى،ويخرج منها أهلها ، ويحطم فيها آثارها الموجودة فعلا باسم البحث عن آثار موهومة . وكل حفر جديد يؤكد الوجود العربى الأصيل . ولا يزداد الحافرون الإسرائيليون بعده إلا شراسة فى الحفر والتخريب ، وتضع إسرائيل الخطط لإنشاءات جديدة تستمر فيها متحدية كل القرارات التى أشرنا إلى جانب منها :

وأعود فأقول : إن جانباً كبيراً من هذا كله يموله المواطن الأمريكى

العادى فأين صوته الحر فى ذلك ؟

هل أضيف إلى ذلك ما يقدمه هذا المواطن العادى من سلاح ؟ أو على الأصح ما يقتطع من ماله ليتحول إلى سلاح يذهب إلى إسرائيل ؟ لقد آن الأوان لكى نفتح حواراً عريضاً مع هذا المواطن. وأن نتصل به فى حياته اليومية . أن نحدثه كما يحدث الإنسان الإنسان عن المسارب التى تختفى فيها أمواله بدلا من أن تتجه إلى جوانب الخير فى بلاده أو على الصعيد العالمى .

علينا أن نحدثه عن هذا المواطن الأمريكى الإسرائيلى ذى الولاءين . ولاء للولايات المتحدة وولاء لإسرائيل . أن نحدثه بسؤال بسيط : لو تعارض الولاءان فأين يقف ؟ وها هو يرى كيف أن الرأى العام العالمى والاتجاه الدولى أخذ يتحول نحو تأكيد الحق العربى . هذا المواطن ذو الولاءين الذى يفضل — كما حدث فعلا — أن يلقى ربه وهو فى أمريكا ملفوفاً فى علم إسرائيل لا أمريكا ؟

لقـــد سمعت من أصدقاء عرب يعيشون فى الولايات المتحـــدة وكندا كيف أخذت قطاعات من الرأى العام الأمريكى تضيق بما يقتطع من أموالهم ليقـــدم إلى إسرائيل ، وبخاصة فى مرحلة التضخم العالمية وارتفاع الأسعار الكبير وصعوبة الحصول على القوت . .

ولكن بعض هذه الأصوات لا يستطيع الارتفاع كثيراً . وهى أصوات وفية لوطنها ولقضية الإنسانية ككل . وعلينا أن نقيم المعابر بيننا وبين هؤلاء ، منطلقين من هذا إلى قطاعات عريضة فى الرأى العام العالمى تؤمن بحقنا .

أيها الإخوة والأخوات :

خلاصة ما أذهب إليه أن حقائق القضية علينا أن ننقلها إلى المواطن العادى بخاصة فى الأقطار التى تستند إسرائيل إلى أموالها ودعمها ،

وأن نوسع دوائر اتصالنا ، بالإضافة إلى الجهد الكبير الذى يبذل على الصعيد السياسى الرسمى .

ومع كل هذا ما زلت أذكر كلمة سمعتها بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ من مؤرخ غربى: إن كلمتكم المقبلة ينبغى أن تكون على الأرض التى انتزعها منكم إسرائيل، قولوها بعد أن تحرروا جزءاً ، أما قبل هذا فلن يسمع لكم أحد ؟

ولقد قلنا كلمتنا فى معركة رمضان . قالها قائد عبورنا الرئيس محمد أنور السادات . قالها حكامنا وقادتنا . قالتها جيوشنا وشعوبنا . قلناها فى سيناء وفى الجولان اقتراباً من قاب الأرض العربية الغالية السليبة . قالتها معسكرات اللاجئين الصامدة . قالتها دول المواجهة . قالها التضامن العربى، قالها التضامن الإسلامى المسيحى . قالها الرأى العام العالمى . قالها بصوت جديد ووزن جديد بعد معركة رمضان المجيدة .

ومع إيماننا العميق الكامل بالسلام وهو عندنا من أسماء الله الحسنى وتحمله مدننا : فالقدس مدينة السلام . ونكرره فى عبادتنا وفى تحياتنا.

ومع أن أرضنا تنبت الزيتون الذى اتخذه العالم رمزاً للسلام والمحبة . إلا أننا نحمى حقنا بسلاحنا ، وعلينا دائماً أن نجمع بين أمرين : قوة الكلمة وقوة السلاح . ونرجو كما قالت فلسطين كلمتها : ألا يدفعنا العالم إلى إلقاء غصن الزيتون وحمل السلاح . ..

أيها الإخوة والأخوات :

من مكانى هذا أبعث تحية أرجو أن تصل إلى أعماق سجون أرضنا السليبة حيث المطران كابوتشى وزملاؤه . . حيث الإخوة المجاهدون الأحرار . . . السجناء المسلمون والمسيحيون فى أوطانهم على أيدى الغرباء ٥

تحية إلى كل جندى ومناضل :: داعيا الله أن يعيد إلينا القدس لنعيدها كما كانت مدينة السلام يلتقى فيها العابدون جميعاً فى رحاب الإيمان والسماحة . .

وشكراً لكم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

خاتمة

وبعد : فهذه مجموعة من البحوث المختارة أردت أن أقدم بها — جهد المستطاع — صورة متكاملة عن العمل الإسلامى فى المستقبل ، وهى تتناول آفاقاً متعددة : بدءاً من المسجد وربطه بالمجتمع وسيراً إلى تنظيم العمل الدينى الإسلامى ، ودعم التعاون فى مجال الوحدة الوطنية والتعاون الثقافى فى مصر والسودان ، وقضية الوجود الإسرائيلى وصراعه مع الإسلام والمسيحية والتعاون الإسلامى المسيحى العالمى ، ثم التعاون العالمى على هدى مما جاءنا به ربنا من كتاب وحكمة .

والأمر لا يتعلق فقط بمجالات الأبحاث وتدرجها فى الاتساع ، وإنما عنيت — وبخاصة فى بحث التعاون بين مصر والسودان — بقضايا الشباب والأجيال الجديدة . وطرقت هذا الموضوع بشىء من الإجمال الذى يحدد رءوس الموضوعات ويعطى مؤشرات الدراسة ، ويقدم التوصيات التى يمكن أن نحولها — بعد هذا — إلى برامج عملية . ولقد كان ذلك محل قبول من الإخوة المجتمعين .

فى هذه الفترة التى كتبت فيها الأبحاث وألقيتها كنت أشغل منصب نائب وزير الأوقاف ثم وزير الأوقاف وشئون الأزهر فى جمهورية مصر العربية ما بين مارس ١٩٦٨ إلى يناير عام ١٩٧٢ وعدت نائبا لرئيس الوزراء للشئون الدينية ووزيراً للأوقاف فى مصر ما بين مارس ١٩٧٣ إلى إبريل عام ١٩٧٥ . وبين ذلك شغلت منصب أمين الدعوة والفكر والشئون الدينية بالاتحاد الاشتراكى العربى شهوراً ذهبت بعدها مديراً لجامعة

الكويت فى العام الدراسى ١٩٧٢–١٩٧٣ . وعدت بعد هذه الرحلة إلى عملى الأساسى أستاذاً للجغرافيا البشرية بمعهد الدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة .

وأخذت أراجع أوراقى ، وأنظم ما لم أنشره أو لم أكمله فى دراساتى الإسلامية والجغرافية . وبدأت إعداد هذا الكتاب فى أثناء عملى الوزارى وأكتب خاتمته الآن من معهد البحوث والدراسات الأفريقية . وتجمعت بين يدى بحوث عن الشباب كنت أفكر فى أن أضمها إلى هذه البحوث المنشورة ، ولكنى آثرت أن أفرد لها كتاباً برأسه عن « الإسلام والشباب » أحاول فيه أن أدرس بالتفصيل ما أجملته هنا .

وكان أكثر اعتمادى فى هذه البحوث على الاتصال المباشر بقضايا الحياة الإسلامية وأعتقد أن مشكلات الشباب تحتاج إلى دراسة وإلى حوار . إلى استماع وإلى توجيه . إلى دفع دون اندفاع ، وتعقل دون استرخاء .

ولقد كانت بين الإسلام والشباب أزمات بعضها من شدة الإقبال غير الواعى ، وبعضها من الانصراف واللامبالاة ، وبعضها من اهتزاز القيم وضعف الثقة فى الكلمة والعمل .

ودفع بعض شبابنا ثمن ذلك غالياً من حياته ومستقبله وكان البعض ضحايا بريئة للاستغلال والانتهازية أو التعصب أو التوجيه الخاطئ ، أو الظلم والبطش .

فكيف نفتح الحوار مع الشباب ؟ أو على الأصح نرفع من شأن الحوار مع الشباب ليؤتى الحوار ثماره ؟ وأول ثماره أن يكون الشباب أكثر فاعلية وتدينا وتعقلا وخدمة لمجتمعه .

وفى الوقت الذى أضع فيه القلم بعد هذه الجولة العالمية فى مؤتمرات تناولت بعضها بالدراسة لا أستطيع إلا أن أمد عين الأمل إلى الجهود الإسلامية العالمية الآن وأبرزها المؤتمر الإسلامى .

لقد كان لى شرف عضوية وفد مصر إلى مؤتمر القمة الإسلامى الأول فى الرباط فى ديسمبر ١٩٦٩ م ، ثم رياسة وفد مصر إلى مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية الذى مهد لمؤتمر القمة الإسلامى الثانى فى لاهور (باكستان) فى فبراير ١٩٧٤ م ، ورياسة وفد مصر إلى نفس المؤتمر فى دورة كوالالمبور فى يونيو ١٩٧٤ م ، ورياسة لجنته السياسية . ولمست عن قرب الآمال المعقودة عليه والقضايا التى طرحت هناك على جبهة تمتد من الفلبين شرقاً إلى العالم الجديد فى أقصى الغرب . . وكيف أن الملوك والرؤساء اتفقوا على مجالات واسعة من التعاون تغطى الاقتصاد والاجماع والتعاون والإعلام والدعوة الإسلامية ووضع العالم الثالث فى العالم المعاصر .

وواجبنا أن نثرى هذه التجربة وأن تُعطى فرصاً أوسع للنجاح حتى تؤتى ثمارها المأمولة إن شاء الله .

ولقد كان من عمل المؤتمر أن أخذ فى تنظيم الجمعيات والأنشطة الإسلامية على مستوى القارات

وبهذا نستطيع أن نضع خريطة سليمة تبدو بها ثغرات العمل وتحدد مجالاته وآفاقه وبرامجه الطويلة والقصيرة .

فإذا كان الغالب على هذا الكتاب ماجاء من كلمات من المؤتمرات ذات الطابع العلمى فإن جهود المؤتمر الإسلامى على الصعيد الدولى لها مكانها فى هذا المجال .

إلا أنه كما أشرت فى ثنايا الكتاب لابد من تنسيق بين المؤتمر الإسلامى وبين المنظمات ذات الطابع القريب منه ، ولكل قطر من أقطارنا الإسلامية مناشطه الدولية .

وفى غياب هذا التنسيق سيظل فى أعمالنا كثير من التكرار الذى تضيع به جهود يمكن أن نحسن استخدامها والاستفادة منها .

لقد بدأ المؤتمر تنظيم الأنشطة الاقتصادية والإعلامية وظهر صندوق التضامن الإسلامى ليخطط ويمول ويرعى مشروعات التنمية على مستوى الشعوب والجالات والجاليات الإسلامية . وإذا كانت الآمال المعقودة عليه أكبر من إمكانياته . فإن هذه سنة الحياة دائما . . أن يكون الأمل أوسع من الإمكانيات. فنحن نعيش عصر الآمال الكبيرة التى تحتاج إلى تعاون أعرض وأعمق ، لا بين الدول الإسلامية وحدها ، وإنما بين الدول النامية والدول المتقدمة . . وهذا ما أخذ بسبيله مؤتمر لاهور ودفع بمشروعاته بعد هذا إلى ساحة الأمم المتحدة .

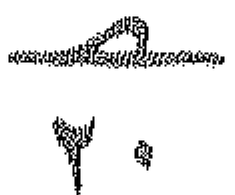
وسنجد أنفسنا قريبا بحاجة إلى مؤتمرات نوعية أكثر تخصصاً : عن الشباب والطفولة والمرأة . عن التعليم الجامعى وإعداد الإطارات العلمية وتخطيط البحث العلمى . عن تخطيط التنمية على غرار ما يقوم به « نادى روما » على الصعيد العالمى والإقليمى . بحيث تتحدد أمامنا — ما استطعنا — صورة المستقبل للعالم الإسلامى ووضعه بين القوى العالمية الكبرى مؤمنا بالله تعالى ، عاملا من أجل السلام. وهو فى الإسلام من أسماء الله الحسنى .

٢٨ من جمادى الأولى عام ١٣٩٥هـ

٨ من يونيو ١٩٧٥ م

الفهرس

تم إيداع هذا المصنف بدار الكتب والوثائق القومية
تحت رقم ١٩٧٥/٤٣٢٤
مطابع دار المعارف بمصر – ١٩٧٥
١/٧٥/٢٣٩


٢٠